The Islamic University of Gaza

Deanship of Research and Graduate Studies

Faculty of Arts

Master of Arabic Language

الجامعة الإسلامية بغزة

عمادة البحث العلمي والدراسات العليا

كلية الآداب

ماجستير لغة عربية

جُونْ فِيرثُ: جُهودُهُ الُّلغوِيةُ وآراؤه فِي ضَوْءِ عِلْمِ الُّلغةِ الحَديثِ
دِراسةٌ وَصْفِيَّةٌ تَحْليليَّةٌ

John Firth: his linguistic efforts and his views in the light of modern linguistics
(An analytical descriptive study)

إعدَادُ البَاحِثِ

خَالِدُ فُؤادُ إِسْمَاعِيلُ عَيَّادُ

إِشرَافُ الأُستاذ الدُكتُور

فَوْزي إِبْراهيمُ أبو فَيَّاضٍ

قُدّم هذا البحث استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجيستير في اللغة العربية بكلية الآداب في الجامعة الإسلامية بغزة

يناير/2021م – جمادى الأولى/1442هـ

إقـــــرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل العنوان:

جُونْ فِيرثُ: جُهودُهُ اللُّغوِيةُ وآراؤه فِي ضَوْءِ عِلْمِ اللُّغةِ الحَديثِ
دِراسةٌ وَصْفِيَّةٌ تَحْليليَّةٌ

John Firth: his linguistic efforts and his views in the light of modern linguistics
(An analytical descriptive study)

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وأن هذه الرسالة ككل أو أي جزء منها لم يقدم من قبل الآخرين لنيل درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

Declaration

I understand the nature of plagiarism, and I am aware of the University's policy on this.

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted by others elsewhere for any other degree or qualification.

Student's name:	خالد فؤاد اسماعيل عياد	اسم الطالب:
Signature:	خالد عياد	التوقيع:
Date:	2020/12/03	التاريخ:

نتيجة الحكم

مُلخَّص الدراسة

الحمد لله ذي القوةِ المتين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن اقتفى أثره بإحسان إلى يوم الدين.

فهذه رسالة بعنوان "جُونْ فِيرثُ: جُهودُهُ اللُّغوِيةُ وآراؤه فِي ضَوْءِ عِلْمِ اللُّغةِ الحَديثِ دِراسةٌ وَصْفِيَّةٌ تَحْليليَّةٌ"، تناولَ فيها الباحث المدرسة الإنجليزية ورائدها جون روبيرت فيرث، وعرَّفَ بهما، ومن ثمَّ تناولَ فيها أهم الإنجازات اللغوية التي قدمها هذا العالِم في مجالين أساسيَين في علم اللغة، المجال الصوتي، والمجال الدلالي.

وقد تكونت هذه الرسالة من مقدمة وفصلَين وخاتمة، أما المقدمة: فقد تناول فيها الباحث نشأة علم اللسانيات الحديث، وأهمية هذا العلم، وأبرز المدارس اللغوية الحديثة، ثم أهمية هذه الدراسة، وسبب اختيارها، ومنهج الدراسة، والدراسات السابقة، وأهداف هذه الدراسة، وخطة البحث، وأبرز الصعوبات التي واجهت الباحث.

ثم كان التمهيد، واشتمل على مبحثين رئيسين هما: المبحث الأول: وتحدثتُ فيه عن المدرسة الإنجليزية، من حيث نشأتها وأشهر أعلامها وأهم ما تميزت به، والمبحث الثاني: وفيه ترجمة للعالم جون فيرث وحياته ودراسته وثقافته اللغوية وأساتذته وأهم أعماله ونشاطاته اللغوية.

وبعد التمهيد تناولتُ في الفصل الأول نظرية الفونيم عند جون فيرث وأثرها في الدرس اللغوي الحديث، وقسمت هذا الفصل إلى أربعة مباحث، المبحث الأول: الفونيم: النشأة والمفهوم والتطور، والمبحث الثاني: الفونيمات التركيبية وفوق التركيبية، والمبحث الثالث: نظريات الفونيم، والمبحث الرابع: موقف جون فيرث من الفونيم.

ومن ثَمّ تناولت في الفصل الثاني جهود فيرث في علم الدلالة، وقسمت هذا الفصل إلى مبحثين، المبحث الأول: نظرية السياق عند جون فيرث وفصّلتُ في هذه النظرية الجديدة والتي ارتبطت باسم فيرث، والمبحث الثاني: المُصاحبات (المتلازمات) اللغوية عند جون فيرث.

وختمتُ الدراسة بخاتمة ذكرتُ فيها أبرز النتائج التي توصّلتُ إليها، ومن أهمها توضيح المنهج الذي سارت عليه المدرسة الإنجليزية، وبيان أثر هذا المنهج على أفكار ونتاجات جون فيرث اللغوية، ومن ثم بيَّنتُ أهم المصادر والمراجع التي استندتُ إليها في هذه الدراسة.

Abstract

All praise be to Allah, and blessings and peace be upon his faithful Messenger and his family and companions as a whole.

This study is entitled “John Firth: His linguistic efforts and his views in the light of modern linguistics, an analytical descriptive study,” in which the researcher examined the English school and its pioneer John R. Firth in the field of linguistics. The study introduces them then addresses the most important linguistic achievements made by this scientist in two main fields of linguistics; the phonetic field, and the semantic field.

This study is divided into an introduction, two chapters and a conclusion. The introduction discusses the emergence of modern linguistics, the importance of this science, and the most prominent modern linguistic schools, then the importance of the study, the reason for selecting the topic, the research methodology, previous studies, objectives of the study, research plan, and the most important difficulties faced by the researcher.

The introductory chapter included two main topics: The first topic is about the English school, in terms of its inception, its most famous scientists and its most important features. The second topic is a biography of John Firth, his life, study, linguistic culture, his professors, his most important works and linguistic activities.

The first chapter illustrates John Firth's theory of phonemes and its impact on the modern linguistics. This chapter is divided into four topics; the first topic is about phonemes: their emergence, concept and development. The second topic was about the segmental and suprasegmental phonemes, the third topic was about theories of phonemes, and the fourth topic was about John Firth's position from the phoneme.

The second chapter explains Firth's efforts in semantics. It was divided into two topics; the first topic was about the context theory of John Firth, which was discussed in details because it is associated to Firth's name. The second topic was about the linguistic collocations of John Firth.

The study concludes with the findings of the study, the most important of which is clarifying the approach of the English school, the effect of this approach on John Firth's linguistic ideas and products. The study ends with the most important sources and references of the study.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾

[التوبة:105]

الإهداء

من بحر الغربة أرسل هذا الإهداء..

إلى قمري الذي لا يغيب، والتي تتسابق الكلمات لتصف عطفها وحنانها وطيبة قلبها، مَن علمتني في صِغَري وفي شبابي؛ وخففت آلامي حتى وصلتُ إلى ما أنا فيه، أمِّي الحنون – حفظها الله عزَّ وجلَّ– ...

وإلى أبي العزيز الغالي مَن ألبسني ثوب العلم ببركة توجيهاته وأنفاسه المخلصة، وسقاني من حنانه ولم يبخل عليّ بأي شيء...

إلى زوجتي الغالية الصابرة على مرارة الغربة لأجل كفاح العلم والعمل، ولأجل حياة أفضل، وإلى طفلَيّ الجميلَين ومهجة قلبي، الذَين تزينت حياتي بقدومهما – فؤاد وعبد العزيز– ، والذَين أحلم باحتضانهما في كل ليلة...

إلى محبي اللغة العربية ودارسيها ومُدرسيها وكل من أيقنَ فضلها، وعَلِم الرسالة التي تؤديها، وإلى كل عالمٍ ومتعلم...

أهدي هذا العمل المتواضع...

شكرٌ وتقديرْ

إن الشكر لله أولاً وآخراً ثمَّ لوالديَّ، فهو القائل ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾[1]، وانطلاقاً من قول النبي –صلى الله عليه وسلم–: "لا يشكرُ اللهَ مَنْ لا يَشْكُرُ النَّاسَ"[2] فإنَّني أتقدم بجزيل الشكر والعرفان لفضلية الأستاذ الدكتور: **فوزي إبراهيم أبو فياض**، من أعلام تخصص علم اللغة التطبيقي في فلسطين، الذي قبِل الإشراف على بحثي، حيث كان خير معلم وموجِّه ومُربٍ وناصح، وكانت نصائحه الثمينة هي النبراس في إتمام هذا العمل.

والشكر موصول للجنة المناقشة، والمكونة من فضيلة الدكتور موسى سالم أبو جليدان مناقشاً داخلياً، والدكتور حسين أبو جزر مناقشاً خارجياً، اللذَين قَبِلا مناقشة هذه الرسالة وقاما بإثرائها بعلمهما الغزير، لإخراجها بأبهى وأحسن صورة.

كما لا أنسى أن أشكر جامعتي العريقة، **الجامعة الإسلامية بغزة**، فهي صاحبة الفضل الأول، والتي أتاحت لي إكمال مسيرتي التعليمية، وأخص بالذكر علماءها الأجلاء في تخصصنا العظيم الذين أناروا لنا مصابيح اللغة العربية، ويسروا لنا كل عسير.

ولا يفوتني أن أقدم الشكر إلى والدي العزيز أ. د فؤاد عياد، والذي كان رافعاً لهمتي العِلمية والعملية في كل وقت، وكذلك الشكر موصول إلى د. زياد أبو يوسف، ود. نوال فرحات من جامعة الأقصى على نصائحهم وتوجيهاتهم لي في بداية الرسالة.

ولا أنسى أن أقدم الشكر إلى كل من أفادني من زملاء أو أحبة أو أصدقاء، وأخص بالذكر الأخ والصديق عبد الله الشاويش، الذي قدَّم لي يد العون والمساعدة وأنا في غربتي، سائلاً الله أن يوفقه ويسعده في الدنيا والآخرة، وأخيراً أسأل الله أن يجزي كل من شارك وساهم في إخراج هذا العمل خيرَ الجزاء، والله ولي التوفيق.

([1]) [لقمان:14].

([2]) [أبو داود: سنن أبي داود، باب في شكر المعروف، 255/4: رقم الحديث: 4811].

فهرس المحتويات

إقـــــــــرار ..... أ

نتيجة الحكم ..... ب

مُلخَّص الدراسة ..... ت

Abstract ..... ث

الإهداء ..... ح

المقدمة 1

التمهيد 8

المبحث الأول: المدرسة الإنجليزية 8

المبحث الثاني: ترجمة للعالِم "جون روبيرت فيرث" 16

الفصل الأول: 23

نظرية الفونيم عند جون فيرث، وأثرها في الدرس اللغوي الحديث 23

المبحث الأول: الفونيم: النشأة والتطور والمفهوم 24

المبحث الثاني: الفونيمات التركيبية وفوق التركيبية 34

المبحث الثالث: نظريات الفونيم 62

المبحث الرابع: موقف جون فيرث من الفونيم 75

الفصل الثاني: 99

جهود جون فيرث في علم الدلالة 99

المبحث الأول: نظرية السياق عند جون فيرث 100

المبحث الثاني: المتلازمات (المُصاحِبات) اللغوية عند جون فيرث 152

الخاتمة: 174

المصادر والمراجع: 176

المقدمة

الحمدُ للهِ الواحدِ الأحد، الذي عمَّ بحِكْمته الوجود، وشملت رحمتُه كلَّ الوجود، نحمَدُه سبحانَه وتعالى ونشكرُه بكلِّ لسان محمود، ونشهد أن لا إله إلا هو وحده لا شريك له، له الحمد وله الملك وهو الغفور الودود، ونشهد أنَّ نبيَّنا محمداً بن عبد الله هو عبد الله ورسوله، صاحب المقام المحمود، والحوض المورود، فاللهم صلِّ عليه وسلم تسليماً كثيراً عدد ما في الكون من موجود.

أما بعد:

فيعتبر علمُ اللسانيات أحد العلوم الحديثة التي بدأت تنتشر في أوروبا منذ حوالي قرنين من الزمان، وشهد تطوّراً كبيراً في المبادئ والمصطلحات خلال النصف الأول من القرن العشرين، وتكمن أهمية هذا العلم في اهتمامه بالدراسة العلمية والعملية لجميع اللغات الإنسانيَّة، من حيث الأصوات اللُّغويَّة، والتَّراكيب النَّحويَّة، والدِّلالات والمَعاني اللُّغويَّة، وعلاقة اللُّغات البشريَّة بالعالم المادي الذي يحيطُ بالإنسان، فاللغةُ كما هو معروف ظاهرةٌ فيزيولوجية إنسانيَّة لاحظها الإنسان في كافة مراحل حياته على سطح هذه الأرض، وقد حاول منذ بداياته سبرَ أغوار هذه اللغات وما زال يحاول حتَّى الآن، ولهذا نجد أن التاريخ الإنساني كله يمتلئ بالدراسات التي تناولت المواضيع اللغوية.

ويطلق على علم اللسانيات في اللغة الإنجليزية **"linguistics"**، أمّا في اللغة الفرنسية فيسمى **"linguistique"**، فيما يسمى في اللغة الألمانية "**sprachwissenchaft**"، ويعود أصل هذه المصطلحات الثلاث إلى الكلمة اللاتينية **(lingua)**، والتي تحمل معنى اللسان، حيث استخدمتها اللغات الأوروبية المتفرعة عن اللغة اللاتينية بهذا المعنى، ولكن بتغيير شكل الكلمة بحسب نظامي النطق والكتابة في كل لغة منها.

وقد كانت دراسات العالم السويسري " فرديناند دي سوسير" بين نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين سبباً مهماً من أسباب نشوء اتجاه جديد لعلم اللسانيات، بعدما كان يتركز حول الدراسات التقليدية، فقد اتجه هذا العلم بعد ذلك اتجاها علمياً، كما أصبحت الدراسات

اللسانية متنوعة؛ في جوانب اللغة المتعددة الصوتية والتركيبية والصرفية والدلالية، كما اتصل علماء اللغة بالعلوم الإنسانية، فكان لهذا الأمر أثر واضح في ظهور فروع جديدة للسانيات مثل: اللسانيات النفسية، واللسانيات الاجتماعية، واللسانيات التداولية، وقد أسهمت هذه الاتجاهات بشكل كبير في إثراء الدراسات اللغوية، وتوضيح العلاقة بين العوامل الاجتماعية والنفسية من جهة، والعوامل اللسانية من جهة أخرى، كما عملت هذه الاتجاهات على دراسة الانحرافات اللغوية، وتحديد الاتجاهات الصوتية، ورصد الوظائف اللغوية وكذلك تحليل النصوص، وتحليل الدلالة اللغوية.

وتعرف اللسانيات بأنَّها (الدراسة العلمية للسان)[1]، ويسمى هذا العلم أيضاً: (الألسنية) و(علم اللغة)، وهو الدراسة العلمية للغة[2]، أي الدراسة العلمية والموضوعية للسان البشري من خلال الألسنة الخاصة بكل مجتمع، وهي دراسة تتميز بالعلمية نسبة إلى العلم، وهو بوجه عام المعرفة، وبوجه خاص دراسة ذات الموضوع المحدد، وطريقة ثابتة تنتهي إلى مجموعة من القوانين، والموضوعية نسبة إلى الموضوعي، وهو مشتق من الموضوع أي كل ما يوجد في الأعيان والعالم الخارجي في مقابل العالم الداخلي أو الذات[3].

وقد عَرَّف الدكتور أحمد محمد قدور علم اللسانيات بأنه "العلم الذي يدرس اللغة الإنسانية دراسة علمية تقوم على الوصف ومعاينة الوقائع بعيداً عن النزعة التعليمية والأحكام المعيارية"[4].

وينقسم هذا العلم إلى قسمين رئيسين هما: دراسة شكل اللغة أو ما يُطلق عليه بنية اللغة، ودراسة معنى اللغة أو ما يعرف بعلم الدلالة، فأما القسم الأول (بنية اللغة) فيهتم بدراسة تركيب اللغة؛ أي القواعد، كما يدرس مكونات الكلمة ومكونات الجملة وعلم الأصوات

([1]) مصطفى حركات، اللسانيات العامة وقضايا العربية، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ط1، 1998م، (ص13).

([2]) محمد محمد يونس علي، مدخل إلى اللسانيات، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2004م، (ص9).

([3]) ينظر: أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، منشورات كلية الدراسات الإسلامية والعربية، دبي، ط 2، 2013م، (ص24 و25).

([4]) أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، بيروت، دار الفكر، 1999م، (ص15).

والفونولوجيا (خصائص المقاطع الصوتية وترتيب الأصوات)، وأما القسم الثاني (معنى اللغة) فيهتم بشرح كيفية استخدام اللغة لبعض التراكيب والكلمات للتعبير عن معنى معين، وذلك بهدف إزالة الغموض المحتمل من استخدام تراكيب أخرى.

وانطلاقاً من أهميَّة علم اللسانيات ولأنَّه يتناول اللغة البشرية والتي هي وسيلة التواصل والتفاهم بين البشر، ووسيلته للتعرُّف على الماضي وتدوين الحاضر والعمل من أجل المستقبل، فقد ظهرت مجموعة من التطوُّرات المتلاحقة في هذا العلم في القرن العشرين، ساهمت في تشكُّل عدد من الاتجاهات اللسانية والتي أصبحت فيما بعد مدارس لغوية كبرى.

كانت أبرز هذه المدراس اللغوية: **مدرسة جنيف** والتي برز فيها "مفهوم البنية" وأهم أعلامها: فرديناند دي سوسير وميبه ومارتينيه، **ومدرسة براغ** والتي برز فيها "مفهوم الوظيفة" وأهم أعلامها نيكولاي تروبتسكوي وورومان جاكسبون، وفاشيك، **والمدرسة الروسية** والتي برز فيها "مفهوم المنظومة ومفهوم الفونيم" ومن أهمِّ أعلامها: بوداوين دي كورتينيه وشيربا وزيندر، **ومدرسة كوبنهاجن** "المدرسة النسقية" وعلى رأسها العالم اللساني الدنماركي لويس هيلمسليف، والمدرسة الأمريكية صاحبة "النظرية السلوكية ونظرية النحو التوليدي والتحويلي"، ومن أهم أعلامها بلومفيلد وسابير واللغوي الحديث تشومسكي، وكذلك **المدرسة الإنجليزية** أو (مدرسة لندن) أو (مدرسة السياق) والتي هي محط دراستنا حيث اشتهر من أعلامها جون فيرث ودانيال جونز وجارديز وأليس وبيتمان وهاليدي ووليام جونس وهنري سويت، وبالطبع فإن أفكار هذه المدرسة نالت شهرتها بعالِمِها الأشهر وهو (جون فيرث) وآراؤه اللغوية والتي هي محط دراستنا في هذا البحث إن شاء الله.

أما بالنسبة للمنطقة العربية فقد كانت هناك – وما زالت – بعض المحاولات لتشكيل مدرسة لسانيَّة عربية، حاول ويحاول من أجلها الكثير من اللغويين العرب، من أبرزهم في مصر: إبراهيم أنيس وكمال بشر وتمَّام حسان وأحمد مختار عمر وسعيد مصلوح، ومنهم في سورية: منذر عياشي ومازن الوعر، ومنهم في بلاد المغرب العربي: عبد القادر الفاسي الفهري وعبد الرحمن الحاج صالح وعبد السلام المسدي، ومنهم في العراق: عبد الرحمن أيوب، وفي لبنان: ميشال زكريا وبسام بركة، وغيرهم من الأدباء واللغويين العرب.

إلا أن محاولات هؤلاء اللغويين لتشكيل مدرسة لغوية موحدة لم يُكتب لها التوفيق، فمعظمُهم كان متأثراً بأحد المدراس اللغوية الغربية، ولم تكن جهودهم في قالب واحد؛ بل اتجه كل منهم إلى موضوع بعينه ليدرسه ويتعمق فيه، فلم يحصل هناك اتفاق بينهم على أسس معينة أو منهاج واضح حتى الآن.

وبالرجوع إلى المدارس اللغوية الغربية الحديثة، فإن العالم اللساني البريطاني الكبير جون روبيرت فيرث (1890–1960) يُعتبر رائداً للمدرسة اللغوية البريطانية، وشخصية أساسية في تطوير علم اللغة الحديث ليس في بريطانيا فحسب، بل في العالم أجمع، فقد حظيت آراؤه وأفكاره باهتمام العلماء والدارسين من شتى البقاع، وكان ذلك بشكل أوسع بعد أن اشتهر بنظريته التي وضع أسسها وطورها وتوسع فيها؛ وهي "نظرية السياق"[1]، وأفكاره فيما يخص المتلازمات والأنظمة التعددية، وعلم الفونيمات (علم الفونولوجيا)، وسنتعرف من خلال هذه الدراسة على أبرز هذه الجهود اللغوية والآراء التي قدمها جون فيرث والتي ساهمت في تطوير الدرس اللغوي الحديث والتوسع في اتجاهات دراسة اللسانيات في عصرنا الحالي.

أولاً: أهمية البحث:

تكمن أهمية موضوع هذه الرسالة في أمور عدة، هي:

- إن جون فيرث من أهم اللغويين واللسانيين المتعمقين في دراسة وتطوير علم اللغة في القرن العشرين.
- إن القضايا والأفكار اللغوية التي أثارها فيرث تعد ذات أهمية علمية كبيرة، وقد لاقت رواجاً واسعاً في الدرس اللغوي الحديث.
- تأثُّر فيرث بالدرس اللغوي العربي القديم، ووجود عدد من الأفكار اللغوية في العربية والتي تتقاطع مع نظريات فيرث، سواء بالاتفاق أم بالاختلاف.

([1]) تم إنشاء فصل كامل في هذه الرسالة لتوضيح هذه النظرية بالتفصيل.

ثانياً: سبب اختيار الموضوع:

- أهمية الآراء والأفكار والنظريات اللغوية التي طرحها جون فيرث، وتأثيرها الكبير على علم اللغة الحديث.
- عرض وتحليل القضايا والأفكار التي طرحها فيرث، وتفسير آرائه في ضوء الاتجاهات اللغوية الحديثة.
- معرفة مدى تأثر فيرث بالدرس اللغوي العربي والتوصل لنقاط الاتفاق والاختلاف بين الجهتين.

ثالثاً: منهج الدراسة:

لقد اقتضت طبيعة هذه الدراسة أن يسلك الباحث فيها المنهج الوصفي التحليلي، والذي يتناسب مع الفصول والمباحث التي سيتم تناولها.

رابعاً: الدراسات السابقة:

لم أجد دراسات عربية علمية كافية تختص بدراسة جميع آراء هذا العالم الكبير ونتاجه اللغوي، ولكن كان من أبرز هذه الدراسات التي وجدت فيها بعضاً من الفتات، كتاب (علم الأصوات) للدكتور كمال بشر، وكتاب (مناهج البحث في اللغة) للدكتور تمام حسان، وكتاب (دراسة الصوت اللغوي) للدكتور أحمد مختار عمر، بالإضافة إلى كتاب مترجم بعنوان (مدارس اللسانيات التسابق والتطور) لجيفري سامسون.

هذا بالنسبة للدراسات العربية، وأما بالنسبة للدراسات الأجنبية، فقد وجدت صعوبة في البحث عنها، واعتمدت على أهمها، ومنها التالية:

1. John Robert Firth , Papers in linguistics, oxford university press, London,, 1957.
2. Daniel jones, The Phoneme, its Nature and Use, Cambridge, 1962.
3. John Lyons, New Horizons in Linguistics, Penguin Books, 1972.

خامساً: أهداف هذه الدراسة:

- تحليل أبرز الآراء والأفكار والنظريات اللغوية التي طرحها جون فيرث بعد وصفها وتوضيحها وعرضها بالتفصيل.
- بيان مدى تأثير نظريات وآراء فيرث على علم اللغة الحديث، وتفسير آرائه في ضوء الاتجاهات اللغوية الحديثة، وبيان تأثره بالأصول اللغوية العربية.
- الخروج بنتائج وتوصيات تتناسب مع أهمية هذه الدراسة وأهمية المدروس عنه.

سادساً: خطة البحث:

اقتضت طبيعة الدراسة أن تتكون من مقدمة، وتمهيد يحتوي على مبحثين، وفصلين يحتويان معاً على ستة مباحث، وخاتمة، وقائمة للمصادر والمراجع.

- **المقدمة:**

وفيها تحدثت عن نشأة علم اللسانيات الحديث، وأهمية هذا العلم، وأبرز المدارس اللغوية الحديثة، ثم أهمية هذه الدراسة، وسبب اختيارها، ومنهج الدراسة، والدراسات السابقة، وأهداف هذه الدراسة، وخطة البحث، وأبرز الصعوبات التي واجهت الباحث.

- **التمهيد:** واشتمل على مبحثين رئيسين هما:

المبحث الأول: وتحدثت فيه عن المدرسة الإنجليزية، من حيث نشأتها وأشهر أعلامها وأهم ما تميزت به.

المبحث الثاني: وفيه ترجمة للعالم جون فيرث وحياته ودراسته وثقافته اللغوية وأساتذته وأهم أعماله ونشاطاته اللغوية.

- **الفصل الأول:** نظرية الفونيم عند جون فيرث، وأثرها في الدرس اللغوي الحديث.

المبحث الأول: الفونيم: النشأة والمفهوم والتطور.

المبحث الثاني: الفونيمات التركيبية وفوق التركيبية.

المبحث الثالث: نظريات الفونيم.

المبحث الرابع: موقف جون فيرث من الفونيم.

- **<u>الفصل الثاني</u>:** جهود فيرث في علم الدلالة.

  المبحث الأول: نظرية السياق عند جون فيرث.

  المبحث الثاني: المُصاحبات (المتلازمات) اللغوية عند جون فيرث.
- **الخاتمة:** وفيها نتائج البحث وتوصياته، وأهم المصادر والمراجع.

<u>سابعاً: الصعوبات التي واجهت الباحث:</u>

- قلة الدراسات المتخصصة التي تناولت جهود فيرث وحياته العلمية والأدبية ومسيرته الفكرية والعلمية وآراءه بالتحليل والتفصيل.
- عدم وجود ترجمة للدراسات والكتب الأجنبية ذات الأهمية والتي تناولت نظريات وأفكار فيرث.
- الكثير من الأبحاث غير العربية عبارة عن مقالات، أو دراسات في مجلات علمية أو جامعية غير متوفرة ويصعب الحصول عليها.

التمهيد

المبحث الأول: المدرسة الإنجليزية

تعتبر المدرسة اللسانية **الإنجليزية** إحدى المدارس اللغوية الحديثة التي ذاع صيتها في أوروبا في أواخر القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين، حيث عمل باحثو وعلماء هذه المدرسة على تطوير الدراسات اللغوية بدراسة استعمالها في التواصل (ضمن إطارها الاجتماعي) مما استدعى دراسة السياق الذي يجري فيه التلفظ بالخطاب، بالإضافة إلى دراسة العلاقة بين الصوت والمعنى، ودراسات لغوية وصوتية أخرى متعددة، وهنا برزت المدرسة الإنجليزية وهي تسمى أيضاً **مدرسة فيرث**، نسبة للعالم اللساني الإنجليزي جون روبيرت فيرث، والذي كان له الأثر الأكبر والأشهر في صياغة معالم هذه المدرسة، كما عُرف عنه رفضه لكل المناهج والأساليب التقليدية في بحث اللغة، وابتكر لنفسه منهجاً يمتاز بالبعد عن كل الأفكار الفلسفية والمنطقية والنفسية وغيرها مما يعد أجنبياً عن التفكير اللغوي الذي ارتضاه[1].

وقد كان لآراء دي سوسير ونظرياته، في النصف الأول من القرن العشرين الأثر الكبير في تفعيل وتنشيط الدرس اللغوي الحديث، وقد نجحت آراؤه في الانتشار بين أعداد كبيرة من الدارسين، وكانت معيناً لعدد من المدارس التي قامت على المبادئ النظرية التي أرسى سوسير قواعدها، والأسس المنهجية التي خطَّ معالمها ووضعها، ومن تلك المدارس اللسانية مدرسة لندن، وهذه المدرسة لم تحدد منهجاً لها إلا بالانطلاق من تحديد اللغة على أنها نظام وظيفي يهدف إلى تمكين الإنسان من التعبير والتواصل؛ أي: هي وسيلة اتصال اجتماعية يستعملها الفرد لأداء وظائف مختلفة[2].

([1]) حمدي بخيت عمران، علم الدلالة بين النظرية والتطبيق، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، ط1، 2007م، (ص124).

([2]) ينظر: أحمد عماش، جهود هاليدي في الاتجاه الوظيفي، بحث علمي، جامعة بابل، 2011م، (ص3).

ويطلق على هذه المدرسة عدة تسميات أخرى غير اسم المدرسة الانجليزية ومدرسة فيرث، فتارة يطلق عليها اسم **(مدرسة لندن)** نسبة إلى النطاق المكاني الذي انطلقت منه وهو العاصمة الإنجليزية لندن، وتارة يطلق عليها **(مدرسة السياق)** لارتباطها بالمنهج السياقي و(نظرية السياق) التي تزعمها جون فيرث، وكانت هذه النظرية هي حجر الأساس للمدرسة اللسانية الإنجليزية، وتارة يطلق عليها **(المدرسة الاجتماعية)** لاهتمامها الكبير بالوظيفة الاجتماعية للغة؛ حيث حددت – كما أسلفت– هذه المدرسة منهجها بأن اللغة هي نظام وظيفي يهدف إلى تمكين الإنسان من التعبير والتواصل، أي أنها هي وسيلة اجتماعية للتواصل بين أفراد المجتمع لأداء وظائف مختلفة.

ومن أبرز توجهات أصحاب هذه المدرسة[1]:

– ينظرون إلى اللغة على أنها نشاط معنوي في نطاق اجتماعي خاص، ويتحفظون على ما جاء به السويسري دي سوسير من أفكار مثل نظام الثنائيات، ويتضح هذا في قول فيرث: دراستنا هي دراسة اجتماعية في أساسها، فسوف أكف عن احترام ثنائية الجسم والعقل والتفكير والكلام.

– ويرى أصحاب هذه المدرسة بأن المعنى وظيفة تتحدد في السياق اللغوي، وانصبت اهتماماتهم حول دراسة الأصوات الوظيفية والدلالة الصوتية، متأثرين في ذلك بمنهج فيرث يقول سامسون جيفري: وقد صبت نظريات فيرث جل اهتمامها على الصوتيات الوظيفية وعلم الدلالة بشكل أساسي.

– التواصل اللغوي في نظرهم وسيلة اتصال المجتمع، ولذا فهم يشددون على البعد الاجتماعي للغة فيرَون على سبيل المثال أن التواصل مع الآخرين يمكن أن يأخذ شكل إثبات أو سؤال أو طلب أو أمر دون أن يتوقف حتى يكون هناك تواصل، ونلاحظ أن التواصل اللغوي محطة لسانية مهمة في البحث اللغوي الحديث، فقد احتلّت هذه القضية اهتماماً بالغاً في أعمال

([1]) عبد الرحيم البار، الفكر اللساني الغربي مقوماته وخصائصه، مجلة الذاكرة، جامعة الخيضر – الجزائر، العدد السابع، 2016م، (ص218).

اللغويين على مختلف مراحلهم الزمنية، إلى درجة أن بعض اللسانيين البارزين مثل ديسوسير أراد أن يخضع ما هو لساني إلى ما هو غير لساني.

ومما يجدر بنا ذكره هنا أن هذه المدرسة جمعت لغويين عظماء جاؤوا قبل فيرث، وبعضهم عاصره، ومنهم من جاء بعده، ولم يكونوا أقل علماً أو شأناً منه، ومنهم هنري سويت ودانيال جونز وجاردينر وغيرهم، لكنهم في أعمالهم ركزوا على الجانب الصوتي غالباً، أما جانب المعنى؛ فقد تركزت فيه جهود جون فيرث وتلميذه مايكل هاليدي، بالإضافة إلى ابتكار فيرث أراء جديدة في علم اللغة سوف نتعرف عليها في الفصول القادمة، فاستحق بها أن يكون رائداً لهذه المدرسة.

ولعل ألمع اللسانيين في هذه المدرسة الذين أسسوا للدرس اللساني: أليس وبيتمان ودانيال جونس وجاردينر وجون فيرث وهاليدي وويليام جونز وهنري سويت، إلا أن الدرس اللساني الإنجليزي لم يتم له التطور الكبير في المنهج والنوع إلا على يد جون فيرث الذي أسس نظرية سياق الحال للعناية بالجانب الدلالي للغة الطبيعية من حيث هي وسيلة للتواصل الاجتماعي، ولم يُغفل الدراسات الصوتية التي أسسها دانيال جونس وهنري سويت بتأثير من الدرس الهندي القديم، بل استفاد منها وبنى عليها، وقد أسهم من خلال مدرسته الجديدة مدرسة لندن في الاعتراف باللسانيات العامة علماً أكاديمياً في الجامعات البريطانية بدءاً من سنة 1944 و1956، وممن تأثر بمنهجه البروفيسور مايكل هاليدي، وهو أحد تلاميذ فيرث، ويعد المؤسس الثاني لهذه المدرسة[1].

"وفي إنجلترا تجلت لسانيات النص وبرزت، وخرج من رحمها أكبر أعلام اللسانيات الحديثة، ورواد التجديد ومبتكرو التخصصات الجديدة، نذكر من باب التمثيل لا الحصر: فيرث مؤسس اللسانيات في بريطانيا، وأوستن مؤسس نظرية أفعال الكلام، وهاليدي مؤسس اللسانيات

([1]) أحمد عماش، جهود هاليدي في الاتجاه الوظيفي، (ص3).

النصية، ودانيال جونز مؤسس النظرية التنغيمية في الصوتيات الوظيفية، وجون لاينز في علم الدلالة وفي اللسانيات"[1].

علماً بأن هذه المدرسة اشتملت على اتجاهين لسانيين، انتشر أحدهما بفضل جهود العالم الصوتي دانيال جونز (DANIEL JONES)، وهو أول لغوي في الغرب يستخدم مصطلح الفونيم بمعناه الحالي، وأصبح – بناء على ذلك – للبحوث والدراسات الصوتية دور كبير ليس في المقررات الجامعية البريطانية فحسب، بل في مقررات علم اللغة في أكثر جامعات العالم، وبناء على هذه النظرية ازداد الاهتمام بأدق التفاصيل الصوتية.

واشتُهِر الاتجاه الآخر من أعمال اللساني الكبير – محط دراستنا– جون روبرت فيرث (JOHN FIRTH) صاحب النظرية السياقية، والتحليل التطريزي (البروسودي)، وإذا قلنا الصواب فإن الدرس اللساني الإنجليزي لم يشهد تطوراً نوعياً ومنهجياً إلا على يده؛ فهو الذي طوّر نظريةَ سياق الحال الّتي تُعنى بالجانب الدلالي للغة الطبيعية من حيث هي وسيلة للتواصل الاجتماعي، كما ابتكر التحليل البروسودي أو التطريزي كبديل عن التحليل الفونيمي الصوتي التقليدي الذي لم يقبله فيرث.

وهذان الاتجاهان في اللسانيات الإنجليزية وما تفرع عن صاحبيهما من تلاميذ تبنَّوا آراء معلميهم وتوسعوا فيها ونظّروا لها، قد ساهما في تكوين مدرستين داخليتين كان لهما دور أساسي في إثراء الدراسات اللغوية في بريطانيا، وفي تطوير التفكير والنقد والتعمق اللغوي عند لغوييها، وهما: المدرسة الصوتية والمدرسة اللغوية.

([1]) مليكة بلقاسمي، علم الدلالة اللغوي عند جون لاينز، رسالة دكتوراة، جامعة الجزائر، 2011م، (ص242 و243).

أولاهما: <u>المدرسة الصوتية</u> (PHONETIC SCHOOL)[1]:

بدأت هذه المدرسة بالظهور قبل دانيال جونز، وذلك في القرن التاسع عشر، من خلال كتابات ودراسات وليام جونز (WILIAM JONES)، وذاع صيتها في بداية نشأتها في مجال فك مشكلات الكتابة الصوتية التي اهتم بها وليام جونز اهتماماً كبيراً، فقد بحث في مشكلة الكتابة الصوتية للغة السنسكريتية، واللغة العربية، وكذلك الفارسية، كما اهتم بضبط النطق الفصيح للغة الإنجليزية، إلى جانب إجراء الدراسات المقارنة.

ثم صارت على يد المؤسس الحقيقي وصاحب الأثر الأكبر اللغوي الإنجليزي دانيال جونز (DANIEL JONES) صاحبة اتجاه جديد في الدراسات الصوتية يهتم بالتحليل الصوتي والفونولوجي أكثر من اهتمامها بالبحث التاريخي.

إن طموح بناء نظرية صوتية إنجليزية مستقلة لم يراود جونز وحده، إنما راود مجموعة من علماء الأصوات الذين سبقوه، والذين ساهموا في تشكيل المعالم الكبرى للمدرسة الصوتية الإنجليزية فيما بعد، نذكر من بين هؤلاء الطموحين: وليام جونز، وبيتمان (PITMAN)، وهنري سويت (SWEET. H)، حيث نجِد عند هؤلاء الإرادة في التفرُّد بمدرسة صوتية مستقلة من خلال الجهود الحثيثة المبذولة من قبلهم، يقول سويت في كتابه (HAND BOOK OF PHONETICS): إنجلترا بإمكانها الآن أن تفخر بمدرستها الصوتية، من خلال العدد الهائل من المؤلفات الإنجليزية في مجال الدراسات الصوتية والفونولوجية.

وثانيهما: <u>المدرسة اللسانية</u> (LINGUISTIC SCHOOL)[2]:

مؤسسها اللغوي **جون فيرث** (JOHN R. FIRTH)، وهي مدرسة قائمة بذاتها، مستقلة عن المدارس الأوروبية والأمريكية، تُعرف بالمدرسة اللسانية اللندنية (LINGUISTIC SCHOOL OF LONDON)، أو كما يحب بعض اللغويين العرب ممن تتلمذ على يد فيرث

([1]) John Robert Firth , Papers in linguistics, oxford university press, London, 1957, (P: 92/ 94).

([2]) مليكة بلقاسمي، علم الدلالة اللغوي عند جون لاينز، (ص18 و19).

تسميتها بالمدرسة اللغوية الاجتماعية، ومن الدراسين من يصفها بالمدرسة الفيرثية نسبة إلى مؤسسها فيرث.

وهي مدرسة تجمع بين دفّاتها أهم أعلام اللسانيات الإنجليزية الحديثة بعد فيرث، ومعظمهم – إن لم نقل كلهم مخافة الجزم – أتباع فيرث وتلاميذه ممن أُعجبوا بأفكاره، وأضافوا عليها نوعاً من الجدة والتثبيت والتعمق، ويطلِقون على أنفسهم لقب الفيرثيين الجدد (NEO – FIRTHIENS)، ويدرجون أبحاثهم ضمن النظرية الفيرثية الجديدة (NEO – FIRTHIEN THEORY) التي تسعى إلى متابعة أبحاث فيرث والسير على خطاه.

وهذه المدرسة كما قلت كانت مستقلة بذاتها، فلم تتهافت على البنيوية، ولا على التداولية، رغم الصخب الذي أحدثته الأولى في فترة أواخر الأربعينيات والثانية في فترة أواخر الستينيات من القرن الماضي، وقد تسارع اللغويون وغير اللغويين لدراسة وتحليل أفكار هاتين المدرستين، مثل: علماء الأجناس وعلماء الاجتماع، والأسلوبيين، ونقاد الأدب والفلسفة، وحتى الباحثون في الرياضيات، إلا أن ذلك لم يُضعف من أفكار أو جهود فيرث وتلامذته.

وقد بدأت أفكار هذه المدرسة في النشوء والتكون في بداية الثلاثينيات من القرن العشرين، أي في بدايات اشتراك فيرث مع فالينوفسكي في أبحاثه الأنثروبولوجية، واحتكاكه بالدراسات الميدانية، وبالدراسات الصوتية التطبيقية بمعهد الصوتيات واللسانيات (DEPARTMENT OF LINGUISTICS AND PHONETICS)، وقد عرض فيرث أفكاره بشكل واضح في كتابه الشهير "مقالات في اللسانيات" (PAPERS IN LINGUISTICS) .

"ومن الملاحظ أن المدرسة اللغوية الإنجليزية تتميز عن غيرها من المدارس في أنها لم تتأثر فقط بشكل إيجابي بآراء فردينان دي سوسير – رائد اللسانيات الحديثة –، وإنما صاغت هذا التأثر في إطار الرد على بعض مقولاته الأساسية، وفي مقدمتها رأيه بأن الكلام منتج فردي لا صلة له بالجانب الاجتماعي.

وفي الحقيقة يعود هذا الموقف لدى مدرسة لندن لأصول قديمة، فقد كان الألماني "هامبولت" قد تناول هذه الأمر، مؤكداً أن اللغة ليست إلا انعكاساً للعامل الاجتماعي والثقافي والنفسي، وهي تقوم بتمثيل هذه العناصر مجتمعة، وقد انتقلت هذه الفكرة إلى لندن وتداولها اللغويون، كما تأثرت بالعالم اللغوي الفرنسي برايال Breal واضع أول كتاب في الدلالة بعنوان Semantiqe وقد نقل إلى الإنجليزية سنة 1900.

كما يجب أن ننوه إلى تأثُّر المدرسة الإنجليزية باللغوي الأمريكي سابير وكتابه في اللغة الذي يؤكد فيه على حقيقة رآها وهي أن دراسة اللغة بشكل بعيد عن السياق الثقافي والحضاري والأنثروبولوجي، هي دراسة غير مفيدة، ولا تؤدي إلى شيء نافع، لا سيما فيما يتعلق في المستوى الدلالي، وهذه الفكرة قد وجدت إعجاباً وتقبُّلاً عند اللغوي الكبير جون روبرت فيرث **J.R. Firth** وتلاميذه، فقد اهتمَّ بهذه الفكرة اهتماماً كبيراً، فاللغة عنده ترتبط ترابطاً أكيداً بالمحيط الاجتماعي"[1].

وبناء على ذلك ظهرت على يد جون فيرث أبرز ملامح المدرسة اللسانية الإنجليزية ألا وهي (فكرة السياق)، وكذلك فكرة ارتباط الصوت بالمعنى والتي نتج عنها ما سماه فيرث بالتحليل التطريزي أو البروسودي – وسنتطرق إليه لاحقاً –، وكذلك فكرة المتلازمات اللغوية أو ما يسمى بالمصاحبات اللغوية.

وقد وجدت هذه الآراء صدىً واسعاً واشتهرت بين العلماء والدارسين منذ عهد فيرث وحتى زماننا هذا، وعلى الرغم من أن فكرة ارتباط الصوت بالمعنى قد تطرق إليها – دون تعمق– اللغويون وعلماء الأصوات القدماء الذين أدركوا أثر السياق في فهم الحدث اللغوي أو الكلام، وبالرغم من اهتمام الأصوليون ومفسري القرآن الكريم بها، إلا أن (فيرث) هو صاحب الفضل في إرساء قواعد نظرية السياق، بحيث كان له الأثر الأساسي في صياغتها والتوسع في معالجتها، حتى أصبحت على يديه نظرية لغوية متكاملة، أقبل عليها الدارسون بالبحث والمدح والنقد، وقد نجد أن هذه النظرية تلتقي في بعض جوانبها مع بعض آراء اللغويين القدماء، ولكنها

([1]) ابراهيم خليل، في اللسانيات ونحو النص، دار المسيرة للنشر والتوزيع، الأردن، ط2، 2009م، (ص 28).

دون شك تختلف عن تلك الآراء من حيث المنهج والمصطلحات والأفكار وتأثر كل رأي بمنهج صاحبه وعصره، وسنبحث هذه النظريات بالتفصيل في الفصول القادمة من هذه الدراسة إن شاء الله.

المبحث الثاني: ترجمة للعالِم "جون روبيرت فيرث"

يُعتبر جون روبرت فيرث **John Robert Firth** مؤسس المدرسة اللغوية اللندنية ورائد اللسانيات الإنجليزية، وواضع حجرها الأساس، وقد اكتسب هذه المكانة بفضل النظرية السياقية للمعنى **CONTEXTUAL THEORY OF MEANING**، والتي تعد الثمرة العلمية التي أنتجها فيرث والتفَّ حولها الفيرثيون الجدد[1].

وتستحق أعمال (فيرث) ومدرسته المعروفة بمدرسة لندن اهتماماً كبيراً من اللغويين، فلقد كانت هذه الأعمال معارِضة لتقاليد الدراسات اللغوية في أمريكا من ناحية، وبخاصة أعمال بلومفيلد، ومن ناحية أخرى كانت تشترك في المواقف – وبخاصة ما يتصل ببنية اللغة– مع المبادئ التي قررها دي سوسير[2].

ويعد هذا اللغوي البريطاني الذي عاش في فترة ما بين (1890م–1960م) أحد رواد البحث اللساني الحديث في أوروبا، والقطب المؤسس للمدرسة الاجتماعية الإنجليزية أو مدرسة لندن، إحدى أهم أربع مدارس لغوية عرفها الدرس اللغوي الحديث، وكان هو المؤسس لأول قسم

([1]) مليكة بلقاسمي، علم الدلالة اللغوي عند جون لاينز، (ص23).

([2]) محمد عبد العزيز، علم اللغة الحديث، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2011م، (ص 326).

لعلم اللغة في بريطانيا، والرائد في تدريس مواد علم اللغة العام في الجامعة البريطانية عام 1944م وما بعده[1].

ويعتبر فيرث أول من حوّل علم اللسان من علم فرعي بسيط في بريطانيا، إلى علم يشكِّل واجهة أساسية من واجهات تدريس اللغة والبحث فيها، وتُجمع المراجع تقريباً – الأجنبي منها والعربي– على سيرة ذاتية موحدة لهذا العالم الكبير، وللأسف فإن هذه السيرة مختصرة ولا تفي بحقه، ولم تُفصِّل في مراحل حياته المختلفة، وإنما كانت مختصرة، وقد اجتهدت في هذا المبحث لأجمعَ ما يفيد عنه ويفي بحقه قدر المستطاع.

فقد كان مسقط رأسه في مدينة (يوركشاير) الإنجليزية، وفي دراسته الجامعية الأولى درسَ التاريخ، ومن ثم قام بواجبه كجندي في الجيش الملكي البريطاني في عدد من المناطق التي سيطرت عليها الإمبراطورية البريطانية في وقت الحرب العالمية الأولى وما بعدها، وبعد انتهاء خدمته العسكرية في الجيش استقر في الهند فترةً طويلة، وتعلّم بعض اللغات الشرقية؛ الأمر الذي جعله يتأكد بأن تطوير أو ابتكار أيّ منهج أو نظرية لغوية لا يمكن أن يكون إلّا بالمعرفة الدقيقة للصوتيات الحديثة، وبدراسة عدة لغات، وبعد أن قام بتنمية قدراته وأفكاره عاد إلى بريطانيا ليتقلد المنصب الأعلى في عدد من المناصب التدريسية، ويصبح في عام 1944 أول أستاذ في اللسانيات العامة (**General Linguistics**) في إنجلترا.

"وقد حصل على شهادة الليسانس في التاريخ من جامعة **leeds** سنة 1911م، وبعدها حصل على الماجيستير عام (1913) في التخصص نفسه، شَغَل منصب أستاذ في التاريخ في جامعة **leeds** ، وأدَّى الخدمة العسكرية ضمن القوات البريطانية في إفريقيا خلال الحرب العالمية الأولى، ثم انتقل بعد ذلك إلى الهند ليشتغل هناك لصالح Indian Education Service ، ثم أصبح أستاذاً لِلُّغة الإنجليزية في إقليم البنجاب (Penjab) من 1920 إلى 1927، وتعلم خلال إقامته في الهند بعض اللغات الشرقية، واستفاد كثيراً من الدراسات اللغوية الهندية، وبعد ذلك رجع إلى لندن وعُين أستاذاً محاضراً في قسم الصوتيات في جامعة

([1]) غنية تومي ،السياق اللغوي في الدرس اللساني الحديث، مجلة المختبر، العدد السادس، جامعة خيضر، الجزائر، 2010م، (ص1).

لندن من 1928 إلى 1938، ثم انضم إلى أعضاء هيئة التدريس بمدرسة الدراسات الشرقية والإفريقية في لندن ابتداء من سنة 1938، ومن ثَم ترأس قسم اللسانيات والصوتيات 1941، ثم عُين بعد ذلك بمنصب أستاذ كرسي في اللسانيات العامة، وهو أول منصب في الجامعة البريطانية في هذا التخصص وكان ذلك سنة 1944م، وظل يقوم بواجبه في هذا المنصب إلى أن تقاعد سنة 1956"[1].

كما قام جون فيرث بالإشراف على تدريب الكثير من مدرسي اللسانيات في بريطانيا في تلك الفترة، فجاءت أعمالهم مرآة لأفكاره، وهذا ما جعل اسم (مدرسة فيرث) ملائماً جداً للمنهج البريطاني المتميز في الدرس اللغوي الحديث، بالرغم من أن اللسانيات كانت قد بدأت تزدهر في عدة أماكن أخرى[2].

وقد عَلِمَ فيرث عدداً من اللغات الهندية واللغات الأخرى، وكتب أيضاً عن الكثير حولها، وكانت الإمبراطورية البريطانية بالنسبة إلى مدرسة لندن بمثابة الهندية الأمريكية إلى الوصفيين الأمريكيين، حيث كانت كلتا المجموعتين مزودتين بكميات من المعلومات غير مألوفة ضد الاستنتاج العقيم الذي شوه اللسانيات الأوروبية ومعظم اللسانيات التشومسكية، ومع ذلك فقد كان هناك فرق بين الحالتين، حيث ذهبَ الأمريكيون إلى دراسة لغات كانت على وشك الانقراض، بحيث مست الحاجة إلى تدوينها نظراً لأهميتها العلمية، بينما كان اللسانيون اللندنيون يعالجون بصفة رئيسة تلك اللغات التي ينطق بها الكثيرون، والتي واجهت مهمة التطور إلى وسائل فعالة للتواصل بين حضارات حديثة، وهذا يعني من جهة أن الجانب العملي من التقاليد اللسانية البريطانية كان معززاً، حيث برزت دراسات مهمة مثل إيجاد نظم الكتابة وتخطيط اللغة القومية بصورة مهمة"[3].

([1]) أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، (ص 95).

([2]) جيفري سامون، مدارس اللسانيات التسابق والتطور، ترجمة د. محمد زياد كبة، مطابع جامعة الملك سعود، السعودية، 1996م، (ص227).

([3]) المرجع السابق، ص228.

ومن الجدير بالذِّكر في هذا المقام أن الصوتيات الهندية تعدُّ من أهم العلوم اللغوية التي جذبت اهتمام اللغويين البريطانيين، واستُلْهِمت منها اللسانيات الإنجليزية بقطبيها مدرسة دانيال جونز الصوتية، ومدرسة فيرث اللغوية[1].

ويعترف فيرث نفسه بهذه الحقيقة، وبفضل الصوتيات الهندية على الصوتيات الأوروبية عامة والإنجليزية خاصة فيقول: " لولا النحاة وعلماء الصوت الهنود الذين عرَّفَنا عليهم العالم الإنجليزي وليام جونز لعَسُر علينا الآن تصور مدرستنا الصوتية التي ظهرت في القرن التاسع عشر "[2].

كما كان من أهم أعماله تدريس مقررات في علم الاجتماع اللغوي **sociology of language** في الثلاثينيات من القرن الماضي، وكان ذلك قبل الوقت الذي ظهر فيه هذا الموضوع في قائمة الدراسات الأمريكية بوقت طويل، وقد صبت نظريات فيرث جل اهتمامها على الصوتيات الوظيفية وعلم الدلالة بشكل أساسي[3].

وقد كان له العديد من المؤلَّفات والكتابات المنشورة منذ بداية مشواره اللغوي وحتى قبل وفاته بثلاث سنوات، ومن أبرز أعماله المنشورة:

كتاب (الكلام) عام (1930)، وكتاب (ألسنة الرجال) عام (1937)، وكتاب (صفحات في علم اللغة 1934–1951) عام (1957)، وكتاب (أوراق منتخبة 1930–1955) عام(1968) .

- Speech (1930) London: Benn's Sixpenny Library.
- The Tongues of Men (1937) London: Watts & Co.
- Papers in Linguistics 1934–1951 (1957) London: Oxford University Press.
- A synopsis of linguistic theory 1930-1955 (1960), in Firth, editor, Studies in Linguistic Analysis, Special volume of the Philological Society, chapter 1, pages 1-32, Oxford: Blackwell.

([1]) مليكة بلقاسمي، علم الدلالة اللغوي عند جون لاينز، (ص43).

([2]) John Robert Firth , Papers in linguistics, (P: 111).

([3]) جيفري سامون، مدارس اللسانيات التسابق والتطور، (ص 228).

وقد عملت هذه المؤلَّفات على إحداث نقلة نوعية وكبيرة في مجال الدراسات اللسانية؛ حيث أكدت على عدم جدوى البحث الدلالي الذي يعتمد على المنطِق والتفكير الفلسفي الذي كان سائداً في الثقافة الإغريقية، والتي كانت مؤثِّرة إلى حد كبير على الدراسات اللغوية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، كما عملت على إيجاد منهج جديد يدرس المعنى بطريقة تراعي الاستخدام الفعلي للغة، وفي سنوات عمره الأخيرة تقلَّدَ فيرث منصب رئيس جمعية فقه اللغة الإنجليزية منذ عام 1954 إلى أن تقاعد في عام 1956، وتعددت إنجازاته على نطاق واسع في الدراسات الدلالية والصوتية على حد سواء.

"وقد كانت اهتمامات فيرث المتعددة متركزة أساساً في ثلاثة جوانب:

1- اهتمامات تاريخية (تاريخ اللسانيات).

2- اهتمامات صوتية (الدراسات الصوتية فوق مقطعية (Phonologie prosodique).

3- اهتمامات دلالية (وضع أسس النظرية الدلالية السياقية)"[1].

"وبالنسبة لفكرة أن اللغة انعكاس للعامل الاجتماعي؛ فإنها قد أَعجبت فيرث إعجاباً شديداً، فاللغة عنده ترتبط ترابطاً عضوياً بالمحيط الاجتماعي، أي أنه رفض بناء فكره اللغوي على ما ذهب إليه ديسوسير فيما سُمي بالثنائيات، والسبب في ذلك أنه وجد صعوبة في تحقيقها من الناحية العملية، فقد كان فيرث شديد الحرص على وصف اللغة، واعتبارها نشاطاً معنوياً في سياق اجتماعي معين.

ونستطيع القول إن ما ميز مدرسة لندن بشكل عام والبريطانية بشكل خاص، هو اهتمامها بعدة مجالات لا زالت تستقطب اهتمام العديد من الأخصائيين ألا وهي المكون الاجتماعي، وسياق الموقف، ونظرية الدلالة ومنهج تحليل اللغة، والتحليل الفونولوجي، والأنظمة المتعددة بالإضافة إلى تطوير فنيات الترجمة وأساليب تدريس اللغات الوطنية والأجنبية"[2].

([1]) أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، (ص96).

([2]) عبلة شريفي، جهود فردينان دي سوسير في علم الدلالة، رسالة ماجيستير، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، 2011، (ص26).

وبعد هذه الرحلة الزاخرة بالجهود اللغوية المميزة والمتعددة، **توفي** جون فيرث في الرابع عشر من ديسمبر عام 1960م، في قرية Lindfield، في منطقة Mid Sussex في مقاطعة West Sussex بالمملكة المتحدة (إنجلترا)، وقد خلَّفَ وراءَه تركة لُغوية وعلمية مميزة، كانت وسيلة إلهام لكثير من لغويي عصره وممن بعدهم للعمل على تطوير هذه الدراسات والتوسُّع فيها، وقد كان من أبرز طلاب فيرث اللغوي البريطاني الشهير (مايكل هاليدي) مؤسس ما عُرف بعلم اللسانيات النصية، وأحد أبرز الشخصيات في المدرسة اللغوية البريطانية بعد جون فيرث.

ومن خلال الاطلاع على عشرات الكتب والأبحاث والمؤلفات في اللسانيات وعلم اللغة الحديث والمعاصر؛ فإنني لاحظت عدم وجود اهتمام كافٍ من الدراسات الحديثة بهذا اللغوي الرائد، وحتى الدراسات والأبحاث التي تناولت جهوده فإنها لم تركِّز غالب توجُّهها إلا على نظريته في علم الدلالة (نظرية السياق)، ولم يكن لآرائه الأخرى دراسات متخصصة وموسعة تفي بحقها.

واتضح لي أن اللسانيات الإنجليزية بشكل عام لم تلقَ الاهتمام ذاته الذي حصلت عليه مدارس أخرى كاللسانيات الأمريكية مثلاً، "فالمُؤلَّفات التي كُتبت في مجال اللسانيات الحديثة لا تكاد تخلو من الحديث عن المدرسة الأمريكية – سواء مع اللغويين الأوائل مثل هاريس وهوكت، أو مع المتأخرين مثل لتشومسكي وليكوف– كما لا تخلو من الحديث عن مدرسة براغ في مختلف تطوراتها، في حين أن المدرسة الإنجليزية لم تجد الاهتمام ذاته على الرغم من أن اللسانيات الإنجليزية تزخر بطروحات ودراسات جادة، وتزدحم بأسماء كبيرة في مجال البحث التداولي والدلالي"[1].

ومن بين الأمثلة على ذلك ما نجده عند جورج مونان في كتابه (LA LINGUISTIGUE DU 20 XX SIECLE)، الذي صدر سنة 1972 والذي يؤرخ فيه لأهم شخصيات اللسانيات الحديثة؛ حيث يعدد أعمال ثلاثة عشر لغوياً، ويكتفي بالتعليق على

([1]) مليكة بلقاسمي، علم الدلالة اللغوي عند جون لاينز، (ص26).

عدم الاهتمام بفيرث بالقول بأنه على الرغم من أن (أفكار فيرث جديدة؛ إلا أن هذا الأخير وكثيراً من اللغويين الإنجليز بقوا منعزلين عن الانتشار)"[1].

وربما يكون السبب في عدم حصول الاهتمام الكافي لدراسات المدرسة الإنجليزية مثل ما كان لدى المدرسة الأمريكية أو الفرنسية هو أسبقية هذه الأخيرة على المدرسة الإنجليزية، بالإضافة إلى تركيز الدراسات اللغوية البريطانية على الجانب الدلالي بشكل أكبر من الجوانب الأخرى مثل الجانب الصوتي أو الصرفي.

يقول الدكتور محمد زياد كبة في مقدمة ترجمته لكتاب (مدارس اللسانيات التسابق والتطور ل(جيفري سامسون)) مؤكداً حقيقة الإهمال الذي تعرض له فيرث ومدرسته: "ومن مميزات هذا الكتاب أيضاً أنه يلقي الضوء على مدرسة فيرث وهو العالم اللساني البريطاني الذي وقع ضحية الدعاية الأمريكية الهائلة، إذ إنَّها حولت الأنظار عن نظرياته في اللسانيات، خاصة وأنها ظهرت حين كانت المدرسة الأمريكية تروج نظرية ويليك هاريس التي تستبعد "علم الدلالة" من الدراسات اللسانية استبعاداً كاملاً"[2].

وبالرغم من ذلك؛ فإن جون فيرث ومدرسته سيبقيان في محور الاهتمام في الدرس اللغوي الحديث، خاصة بعد أن بدأت تتوجه إليهما مؤخراً العديد من الدراسات التي تُنقِّب في آثارهما وتتناولها بالبحث والتحليل، ونحن في هذه الدراسة سنقوم بالكشف عن بعض هذه الآراء وتوضيح أهميتها في الدرس اللساني الحديث.

([1]) مليكة بلقاسمي، علم الدلالة اللغوي عند جون لاينز، (ص27).

([2]) جيفري سامون، مدارس اللسانيات التسابق والتطور، 1996م، مقدمة المترجم، صفحة (هـ).

الفصل الأول:

نظرية الفونيم عند جون فيرث،

وأثرها في الدرس اللغوي الحديث

المبحث الأول: الفونيم: النشأة والتطور والمفهوم

تعدُّ نظرية الفونيم من النظريات اللسانية الحديثة، وعليه فقد يتساءل البعض: من أين أتى العلماء بنظرية الفونيم؟ وكيف خطرت الفكرة ببالهم؟ وهل هي ذات جذور ضاربة في التاريخ؟ وأبدأ فأقول إن نظرية الفونيم – مهما كان تفسيرها– قد انبثقت من ملاحظة كيفيات النطق المختلفة، ووظائف الأصوات المتنوعة، ومن محاولة وضع ألفبائيات للغات المختلفة[1].

وكعادة العلوم وتشعبها فقد أصبح الاهتمام بجزئياتها في العصر الحديث كبيراً، فما كان علماً واحداً أصبح مجموعة فروع، وغدا كل فرع علماً مستقلاً؛ فنال علم الأصوات حظه بين العلوم اللغوية، ثم تألق هذا العلم، وتشعب فيما بعد إلى أكثر من فرع، فظهر ما أطلق عليه علماء الأصوات مصطلح الفونيم **(Phoneme)**، أو علم الفونيم كما يسميه بعض اللغويين، وهو يُدْرس في مظلة علم الفونولوجيا **(Phonology)**، أي علم وظائف الأصوات، الذي يبحث في الأصوات من حيث وظائفها في اللغة، ومن حيث إخضاع المادة الصوتية للتقعيد[2].

وقد أكَّد د. أحمد مختار عمر أنَّ أولى التصورات لنظرية الفونيم يعود إلى ماض تاريخي سحيق، حين اهتدى الإنسان إلى الكتابة الألفبائية التي لا ترمز للكلمة ككل ولا للمقطع ككل وإنَّما للأصوات التي تشكِّل الكلمات، فإذا رجعنا إلى الألفبائية السنسكريتية نجدها – في جملتها – قد أقيمت على أساس فونيمي، يرمز للوحدات، وليس للتنوعات الصوتية، ومثل هذا نجده في الألفبائية الإغريقية التي تتمثل فيها الفونيمات التركيبية خير تمثيل، ونظام الكتابة الكوري الذي وضعه في عام 1450م الملك الكوري **Se–Jong** يسير أيضاً في نفس الاتجاه، وهو نظام يشعر بأن واضعه كان يتصور أسس الفونيم، فهو قد رمز للصوتين **b,p** برمز واحد،

([1]) ينظر: أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، 1997م، (ص171).

([2]) ينظر: بسام أغبر، الفونيم وتجلياته في القرآن الكريم، رسالة ماجيستير، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، 2014م، (ص30).

لأنَّه وإن كان متأكداً أنَّهما صوتان مختلفان لكن لأنهما في الكورية يقعان في توزيع تكاملي رُمِزَ لهما برمز كتابي واحد[1].

ويوضح لنا د. محمود السعران أهم الأسباب التي كانت وراء نشأة وتطور علم الأصوات اللغوية – والذي يُدرس الفونيم في ظله– فيقول: (ومنذ القرن السابع عشر أخذت الدراسات اللغوية في أوروبا في النهوض، ومن أهم فروع هذه الدراسة التي تقدمت في القرن الثامن عشر هذا الفرع الذي يسمى بعلم الأصوات اللغوية، فازدياد معرفة اللغويين بالتقدم الذي أصاب علم الطبيعة، وعلم وظائف الأعضاء، وازدياد اتصالهم بلغات مختلفة، واشتغالهم بوصفها وبالمقارنة بين أنظمتها الصوتية، كل أولئك وغيره كان عاملاً من عوامل تقدم الدراسات الصوتية، وإعطائها درجة أكبر من الدقة والضبط)[2].

ثمَّ تطور التفكير الصوتي بعد ذلك على مَرِّ العقود المتتالية، يقول د. محمود بشر: (ولهذا النوع من التفكير الصوتي تاريخ طويل لا يعنينا منه في هذا المجال إلا القول بأنَّه بدأ يلوح في الأفق اللغوي في **أواخر النصف الثاني من القرن التاسع عشر**، وكان من أوائل من أدركوا الفرق بين الأصوات بوصفها وحدات وأنماطاً، وبوصفها أحداثاً نطقية واقعية، عالم اللهجات السويسري ج. ونتلر **j. winteler** الذي استطاع أن يميز بين نوعين من المقابلات أو المعارضات الصوتية **phonetic oppositions**: أحدهما يستعمل في اللغة للتفريق بين المعاني والوظائف النحوية للكلمات، وثانيهما: لا يفيد هذا الغرض الوظيفي)[3].

وأمَّا في العصر الحديث فقد بدأ الأساس الفونيمي يفرض نفسه على يد رواد عاشوا من أواخر القرن الثامن عشر وعلى امتداد القرن التاسع عشر، ومن هؤلاء الرواد:

1- عالم اللغة البولندي **Jozef Mrozinski** (1784- 1839) الذي طبع كتاباً في وارسو عام 1822م نادى فيه باتباع المنهج العلمي في دراسة اللغة.

([1]) ينظر: أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، (ص167 و168).

([2]) محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ط1، د.ت، (ص96).

([3]) كمال بشر، علم الأصوات، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، 2000م، (ص71).

2- وفي أوروبا الغربية برز اللغوي السويسري **jost winteler** (1846- 1929)، الذي طبع كتاباً في ليبزج عام 1876م ذكر فيه أنَّ التفرقة بين الأصوات تعتمد على ما إذا كان الصوتان يمكن تحت الظروف الواحدة أن يغيرا معنى الكلمة أو لا.

3- وفي وقت واحد وُجِد لغويان كبيران اعتبرهما العلماء فَرَسَيْ رهان في اكتشاف نظرية الفونيم، أحدهما في لندن وهو **Henry sweet** والآخر في **Kazan** في جنوب روسيا وهو **Jan Baudouin de Courteney** (1845- 1929)، وقد نشر الأول كتابه عام 1877 ونشر الثاني كتابه عام 1873، وليس هناك ما يدل على أن أحدهما قد اطلع على دراسات الآخر، ولكن حتى الآن لم يكن قد ظهر مصطلح الفونيم[1].

ويبدو أن علماء الأصوات قد قرروا أنَّ الفروق الصوتية التي يمكن الاعتماد عليها في الحكم على هذا الصوت أو ذاك بأنَّه مجرد اختلاف نطقي أو سياقي، أو صوت مستقل ذو كيان خاص به إنَّما هي الفروق التي تؤدي إلى اختلاف المعاني في الكلمات، حيث نقول (كال) في مقابل (جال) و(قال) فنحصل على كلمة مستقلة ذات معنى مختلف عن الكلمتين الأخريين، وكان ذلك بفضل استخدام الكاف في هذه الكلمة التي تتفق في كل مكوناتها الصوتية مع زميلتها باستثناء هذا الصوت وحده، أمَّا الصور النطقية المختلفة للكاف فلا تؤدي إلى هذه النتيجة، هذا اللون من التفكير كان البذرة الخصبة والأساس الأول لظهور فكرة ما سموه بالفونيم **phoneme**، أو ما يمكن ترجمته (بالوحدة الصوتية) **phonetic unit**[2].

وقد يكون من الصواب أن نمسك بالخيط من أوله حين نراجع معنى هذا المصطلح (**phoneme**) في معجم اللغة الفرنسية، لنجده مستخدماً في علم الأصوات التقليدي بمعنى: أنَّ العنصر الصوتي في اللغة المنطوقة يقوم على أساسين، أحدهما: عضوي: (وهو تكوينه بواسطة أعضاء النطق)، وثانيهما: سمعي (وهو الصفة الموضوعية أو الشخصية للسمع)، وتدل إشارة

([1]) ينظر: أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، (ص168 و169).

([2]) ينظر: كمال بشر، علم الأصوات، (ص69 و70).

المعجم على أنَّ هذا المصطلح قد بدأ يتداول في النحو الفرنسي منذ عام 1873م، وهذه هي نفسها المرحلة التي ظهر فيها اللغوي السويسري فرديناند دوسوسور[1].

وعند الرجوع والبحث عن أول من استخدم مصطلح "الفونيم" فإنَّنا نجد أنَّ **Defrich–Desgenettes** استخدمه في اجتماع الجمعية اللغوية الفرنسية في مايو 1873م، ثمَّ استعمله كان **Louis Havet** ومنه انتقل المصطلح إلى **Ferdinand de Saussure** ، وإذا كان هؤلاء هم أول من استخدموا المصطلح فونيم، فقد كان **Jan Baudouin** هو أول من أعطى للفونيم تحديده الدقيق، لقد كان أول شخص يتعمق في فحص طبيعة الفونيم، وكان واعياً بأهمية هذا التصور، وربما النتائج البعيدة التي تترتب عليه، وكذلك فقد أسهم تلميذه **Kruszewski** في التمييز بين الفونيم والفون، ونشر بحثاً عام 1880م عن المفردات السلافية فضَّل فيه المصطلح فونيم على المصطلح وحدة صوتية **phonetic unit**، ثمَّ في عام 1881م كتب **Kruszewski** قائلاً: أنا أقترح أن يطلق على الوحدة الصوتية مصطلح (الفونيم)[2].

إذن فالمصطلح (فونيم) هو من حيث التسمية قد بدأ عند الفرنسيين في بحوث الجمعية اللغوية الفرنسية، وليس هو من إنتاج المدرسة الإنجليزية كما رأى بعض اللغويين ممن سنذكر رأيهم لاحقاً، ولكن الفضل يعود للمدرسة الإنجليزية والمدرسة الأمريكية في تطوير الدراسات حول هذا المفهوم وابتكار جوانب متعددة لتحليله.

وبالنسبة للمصطلح في علم اللغة الأمريكي فإنَّ **Edward Sapir** يعتبر أول لغوي أمريكي يُظهر اهتماماً بالمصطلح (فونيم)؛ ففي العشرينيات ظهر كتابه الشهير (اللغة) **Language** 1921م، وهو وإن كان قد خلا من المصطلح (فونيم) فقد كان يحتوي على بعض تلميحات عنه، ثم ظهر الأساس الفونيمي بوضوح عنده في بحث عن الفونيم نشره عام

([1]) ينظر: عبد الصبور شاهين، في علم اللغة العام، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط6، 1993م، (ص116).

([2]) ينظر: أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، (ص169).

1933، أمَّا الاهتمام الكبير بنظرية الفونيم فلم يبدأ إلا منذ ظهور كتاب **Bloomfield** المسمى **Language** (1933)[1].

وقد **كثرت تعريفات العلماء للفونيم**، وطُرِح منها العشرات في كتب اللغة والأصوات، وتباينت تعريفاتهم حسب تأثر كل منهم بالمدرسة اللسانية التي ينتمي إليها، وطريقة عرضه لأفكاره، ومنهج تفكيره، وأسلوبه الخاص، وزوايا النظر المتنوعة، والتي لاحظت اختلافاً فيها حتى بين علماء المدرسة اللغوية الواحدة، علماً بأن جزءاً كبيراً من هذه الاختلافات هي اختلافات لفظية فقط، حيث إنَّ الكثير من هذه التعريفات تحمل المضمون نفسه أو تتشابه إلى حدٍّ كبير، وهذه الفكرة أكَّد عليها دانيال جونز بقوله: (ولا واحد من التعريفات التي سمعت بها لا يمكن مهاجمته، ولا أظن أنه من الممكن تقديم تفسير لا يترك منفذاً للشذوذ والاستثناء)[2].

ويبين لنا د. أحمد مختار عمر حجم الخلاف الكبير بين العلماء بخصوص نظرية الفونيم فيقول: (وربما لم يُختلف حول أي نظرية من نظريات علم اللغة كما اختلف حول نظرية الفونيم، وربما لم يوجد تطرف في تأييد النظرية والدفاع عنها في جانب والهجوم عليها والانتقاص منها في جانب آخر، كما وجد بشأن هذه النظرية، وربما لم تتعدد الآراء وتختلف المناهج بين مؤيدي النظرية الواحدة كما حدث بين مؤيدي نظرية الفونيم، ولهذا يقول **Robins**: (وكمية كبيرة من المداد قد استخدمت في الجدال حول وداخل نظرية الفونيم))[3].

فيرى ماريو باي بأنَّه (العلم الذي يعالج الخصائص الصوتية وثيقة الصلة بلغة معينة من وجهة إحساس المتكلمين، وإذا كان من الممكن أن يشتمل الفونيم على صوت واحد: فون **Phone** (أو صوت موضوعي) فهو في الكثير الأعم يشتمل على مجموعة من الألفونات المتشابهة، أو التنوعات الصوتية (**Phonetic Variants**)، التي يتوقف استعمال كل منها أساساً على موقعه في الكلمة (أولاً – وسطاً – آخراً) وعلى الأصوات المجاورة له)[4].

([1]) أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، (ص170).

([2]) ينظر: المرجع السابق، (ص174).

([3]) المرجع السابق، (ص165 و166).

([4]) ماريو باي، أسس علم اللغة، تر: أحمد مختار عمر، مكتبة عالم الكتب، القاهرة، ط8، 1998م، (ص88).

ويوضح الدكتور عبد الصبور شاهين قبل تعريفه للفونيم بأنَّ هناك مصطلحات يجب فهمها قبل معالجة الأفكار الأساسية في هذا الموضوع، "وأول المصطلحات كلمة (**phone**) وتعني حين يستخدم في علم اللغة (الصوت المفرد)؛ أي: الصوت اللغوي البسيط الذي يمكن تسجيله بالآلات الحساسة في المعمل، وقد يستخدم في نفس المعنى كلمة (**Son**)، ولكن الأولى هي المشهورة، ثمَّ يتولد عن هذا المصطلح مصطلح آخر هو (**phoneme**)، ويقصد به (الوحدة الصوتية) على مستوى التشكيل أو التنظيم الأدائي، ولقد تقوم هذه الوحدة على صوت واحد (**phone**)، وقد يدخل تحتها مجموعة من الأصوات أو الأعضاء، التي يطلق عليها أيضاً: الألوفون (**Allophone**) ومعناه: صوت آخر، إشارة إلى وجود هذا الصوت الآخر إلى جانب غيره داخل الفونيم"[1].

أمَّا عند الدكتور كمال بشر فإنَّ الفونيم على أحسن الأحوال وأقربها إلى الصحة من وجه نظره هو "وحدة صوتية قادرة على التفريق بين معاني الكلمات، وليست حدثاً صوتياً منطوقاً بالفعل في سياق محدد، فالفونيمات أنماط الأصوات **types of sounds**، والمنطوق بالفعل هو صورها وأمثلتها الجزئية التي تختلف من سياق إلى آخر، فالكاف فونيم وكذلك الجيم والقاف، أمَّا الصورة النطقية المختلفة لكل واحدة منها فهي أمثلتها **variants** أو ما تسمى **phones** أو **allophones**"[2].

"وقد وضع تروبتسكوي للفونيم تعريفاً مختصراً، يعتبر تلخيصاً لعملية تحليلية قدمها بين يدي التعريف، قال: (الفونيم هو أصغر وحدة فونولوجية في اللسان المدروس)، وليس من الممكن فهم هذا التعريف إلا بعرض لمحة عن التحليل الذي قدم له، ذلك أنَّ تروبتسكوي يرى أنَّ كلَّ صوت مكون من مجموعة من العناصر، هي بمجموعها غير قابلة للتجزئة أو التحليل، قال: (من الناحية الصوتية كل (باء) تتمثل في سلسلة من الحركات النطقية، وكل هذه الحركات مرتبط بأثر سمعي محدد، بحيث إنَّ أية جزئية من هذه الجزئيات السمعية لا يمكن اعتبارها وحدة فونولوجية، لأنها تبدو دائماً كلاً لا يمكن افتراقها فيما بينها مطلقاً، فالباء كلها إذن تعتبر

([1]) عبد الصبور شاهين، في علم اللغة العام، (ص115).

([2]) كمال بشر، علم الأصوات، (ص70).

وحدة فونولوجية، غير قابلة للتحليل من حيث الزمن، ومن الممكن أن نقول الشيء نفسه عن الوحدات الفونولوجية الأخرى، وهذه الوحدات التي لا يمكن تحليلها إلى وحدات فونولوجية متوالية أصغر هي التي نطلق عليها (فونيمات)"[1].

ويعرض مؤلفو (معجم اللسانيات الحديثة) تعريفاً للفونيم تُعبر الفقرة الأولى منه عن جوهر مفهوم الفونيم؛ فهو عندهم "أصغر وحدة صوتية تقابلية في اللغة تتميّز عن غيرها بمجموعة من السمات الصوتية قادرة على التمييز بين كلمتين مختلفتين كما نرى في العربية في الكلمتين (حرير) و(خرير)، اللتين تختلفان في جزء واحد فقط وهو الصوت الأول، فالكلمة الأولى تبدأ بصوت الحاء والثانية بصوت الخاء، أمَّا باقي الأصوات في الكلمتين فتتساوى صوتياً"[2].

كما عرض الدكتور محمد علي الخولي في كتابه (معجم علم اللغة النظري) أربعة مقابلات عربية لمصطلح **Phoneme** الإنجليزي، هي: (فونيم، فونيمية، صوتيم، صوت مجرَّد)، ويرى بأنَّ الفونيم مفهوم مجرد؛ لأنَّ ما ينطق فعلاً هو الألوفون وليس الفونيم، ويعرف بعض اللغويين الفونيم بأنَّه صوت نموذجي يحاول المتكلم تقليده، كما يعرفه بعضهم بأنَّه أصغر وحدة صوتية عن طريقها يمكن التفريق بين المعاني[3].

ويعرفه البعلبكي بأنَّه "الوحدة التقابلية الصغرى المجرَّدة في النظام الصوتي للغة ما؛ ومعنى أنَّها "تقابلية" أنَّ لها وظيفة في ذلك النظام، والفونيم وحدة مجردة، تحققها الأصوات الكلامية (را. **phone** ب)، وتُسمى بدائلها بدائل صوتية أو ألوفونات. م. **Psychophone** = سايكوفون. را. **Idiophoneme** = فُنيم؛ والمصطلحات الواردة تحت "فونيم" في المسرد العربي الأول"[4].

([1]) عبد الصبور شاهين، في علم اللغة العام، (ص121 و122).

([2]) سامي عياد حنا (وآخران)، معجم اللسانيات الحديثة، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، 1997م، (ص101).

([3]) ينظر: محمد علي الخولي، معجم علم اللغة النظري، مكتبة لبنان، بيروت، 1982م، (ص209).

([4]) رمزي منير بعلبكي، معجم المصطلحات اللغوية، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1990م، (ص372).

كما أنَّ مؤلفي المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات قد اختاروا مُصطلح (صوتية) للتعبير عن الفونيم، مع أنَّ هذا المصطلح غير مستعمل بكثرة في اللسانيات العربية الحديثة، وعرّفوه بأنَّه "أصغر وحدة غير ذات معنى يُمكن الحصول عليها عبر تقطيع السلسلة الكلامية، وتقدِّمُ كل لغة حسب سننها عدداً محدوداً ومقيداً من الصوتيات (من عشرين إلى خمسين حسب اللغات)، وتأتلف فيما بينها بالتتابع لتشكل العناصر الدالة في الخطاب اللغوي"[1].

ويبدو أنَّ هذا التعريف لِـ (الصوتية) كمقابل للفونيم هو تعريف مميز من حيث إنَّه ذكر أبرز صفات الفونيم والتي لم تذكر في التعريفات السابقة وهي صفة (غير ذات معنى)، التي هي صفة أساسية نميز من خلالها الفونيم عن غيره من الوحدات اللغوية الأخرى، مثل المورفيمات، كما أنَّ هذا التعريف عرفنا على عدد الوحدات الصوتية في كل لغة، وهي كما يرون من عشرين إلى خمسين.

يقول فندريس: "لسنا في حاجة إلى القول بأنَّنا لا نستطيع إحصاء الأصوات المستعملة في لغة ما بعدد الحروف الموجودة في أبجديتها، فكل لغة فيها من الأصوات أكثر مما في كتابتها من العلامات، فعدد الأصوات في أيَّة لغة لا يكاد يتعدى الستين عادة، بل يمكن أن ينزل عن ذلك نزولاً محسوساً، وهذا العدد لا يثير الدهشة، بل يفسر بداهة تنوع الأصوات في الجهاز الإنساني، والتي لا يمكن استعمال عدد كبير منها في لغة واحدة، فعدد الأصوات اللغوية الممكنة يكاد يمتد إلى ما لا نهاية، ومع ذلك فإن الأصوات المستعملة في كل لغة محدودة العدد"[2].

وبعد دراسته المستفيضة لتعريفات الفونيم، والاتجاهات المتعددة التي تمخض عنها هذا المصطلح سواء كانت نفسية أو فيزيائية أو وظيفية، يرى الدكتور عبد الصبور شاهين بأنَّ "فكرة الفونيم وسيلة إلى تصنيف الأصوات اللغوية في مستواها السياقي، وهي أيضاً وسيلة إلى تحليل

([1]) مكتب تنسيق التعريب، المعجم الموحّد لمصطلحات اللسانيات، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط2، 2002م، (ص111).

([2]) فندريس، اللغة، تر: عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2014م، (ص62).

الصيغ اللغوية على أساس من الأصوات ووظائفها الدلالية، وهو تحليل لا ينبغي أن يتجاهل اصطلاح أصحاب اللسان، إلى جانب اعتماده على العناصر العضوية والنطقية في تحديد الفونيم"[1].

ونستطيع أن نبسط الأمر بمفهوم الفونيم بالمثال الآتي: الوحدة الصوتية (س) تختلف عن الوحدة الصوتية (ز) في هاتين الكلمتين: ساد – زاد، أو الوحدتين الصوتيتين (ح) و(ع) في الكلمتين حالي – عالي، فإنَّنا نجد أنَّ كل كلمة من الكلمات السابقة تختلف عن جارتها في الشكل والمعنى، حيث أدى استبدال فونيم بفونيم آخر إلى تغيير شكل ومعنى الكلمة، ومن هنا نتأكد بأنَّ الخاصية الأساسية والأهم للفونيم هي تغيير المعنى، وقد لاحظنا مفهوم (التمييز) من خلال التعريفات السابقة، أي أن الفونيم يميز الكلمات عن بعضها البعض من حيث الشكل والمعنى.

واستناداً إلى كلام فندريس السابق، فإنَّنا يمكن أن نطرح سؤالاً: هل الفونيم هو الحرف أو الصوت؟ والجواب بالتأكيد: لا، "فقد يقول قائل إنَّ هذه المصطلحات ذات مدلول واحد، وما الأمر سوى تعدد في الأسماء والألقاب، وإرهاق للعقول، ولكنَّ الحقيقة العلمية تؤكد وجود اختلاف كبير بينها؛ فا**لفونيم** كما ذكرنا، هو وحدة صوتية، ينضم تحتها كم هائل من الصور الصوتية، في حين يعد **الحرف** الصورة الكتابية للفونيم **(Grapheme)** أو العلامة له؛ فالحرف عندما يكتب، لا يرمز إلى الصور الصوتية للفونيم، فالمسؤول عن إظهار تلك الصور ما ينطقه المتكلم، وهو الصوت، فالصوت أعمُّ من الحرف"[2].

كما أكَّد الدكتور تمام حسان وجود فرق بين الحرف والصوت، في قوله: "والفرق بين الصوت وبين الحرف هو الفرق بين ما بين العمل والنظر، أو بين المثال والباب، أو بين أحد المفردات والقسم الذي يقع فيه، **فالصوت** عملية نطقية تدخل في تجارب الحواس، وعلى الأخص السمع والبصر، يؤديه الجهاز النطقي حركة، وتسمعه الأذن، وترى العين بعض حركات الجهاز النطقي حين أدائه، **أمَّا الحرف** فهو عنوان مجموعة من الأصوات، يجمعها نسب معين، فهو

([1]) عبد الصبور شاهين، في علم اللغة العام، (ص138).

([2]) بسام أغبر، الفونيم وتجلياته في القرآن الكريم، (ص37 و38).

فكرة عقلية لا عملية عضلية، وإذا كان الصوت مما يوجده المتكلم، فإنَّ الحرف مما يوجده الباحث"[1].

كما أننا– في معرض التفرقة بين الحرف والفونيم– نعتبر الحركات في اللغة العربية مثل الفتحة والضمة والكسرة فونيمات، حيث إنَّ المعنى يتغير بتغيرها حتى مع ثبات الحروف في الكلمة نفسها، فنحن مثلاً نقول (عَلَمْ) فهذه الكلمة تعتبر اسماً في العربية، أمَّا (عَلِمْ) فهي فعل، فالفتحة فونيم والضمة فونيم والكسرة فونيم.

([1]) تمام حسان، اللغة بين المعيارية والوصفية، عالم الكتب، القاهرة، ط4، 2000م، (ص129).

المبحث الثاني: الفونيمات التركيبية وفوق التركيبية

علم الفونيم يُدرس بشكل عام تحت مظلة علم وظائف الأصوات أو ما يسمى بعلم الفونولوجيا (**phonology**) وهو العلم الذي يختص بدراسة الأصوات من حيث وظائفها في اللغة وإخضاع المادة الصوتية للتحليل والتفسير.

وقد اتجهت آراء علماء اللغة والأصوات لتقسيم الفونيمات إلى قسمين، أولهما سماه بعضهم بـ(الفونيمات الرئيسة)، وسُمي عند آخرين (الفونيمات القِطعية) –نسبة إلى قِطعة–، وعند غيرهم (الفونيمات التركيبية) وهي التسمية الغالبة، وأمَّا القسم الثاني فهو الفونيمات الثانوية، أو ما سُمي عند آخرين الفونيمات فوق القِطعية، وعند غيرهم – وهي التسمية الغالبة– الفونيمات فوق التركيبية.

وهذه التسميات متقاربة إلى حد كبير، وتعبر عن المفهوم نفسه تقريباً، فالتسمية الأولى (الفونيمات الرئيسة والثانوية) نجدها على سبيل المثال عند د. نادر جرادات في كتابه (الأصوات اللغوية عند ابن سينا) فيقول في "أنواع الفونيمات:

1– فونيمات رئيسة **Primary**: ويعني تلك الوحدة الصوتية التي تكون جزءاً بسيطاً من أبسط صيغة لغوية ذات معنى منعزلة عن السياق، أو قل: الفونيم الرئيسية هي ذلك العنصر الذي يكون جزءاً أساسياً من الكلمة المفردة وذلك كالباء والتاء والثاء...إلخ، ثم سميت هذه الفونيمات بالفونيمات التركيبية.
2– فونيمات ثانوية **Secondary**: هي ظاهرة أو صفة صوتية ذات مغزى في الكلام المتصل، فالفونيمات الثانوية – بعكس الرئيسة– لا تكون جزءاً من تركيب الكلمة، وإنما تظهر وتلاحظ فقط حين تضم كلمة إلى أخرى، أو حين تستعمل الكلمة

الواحدة بصورة خاصة، كأن تستعمل في جملة، ويطلقون عليها بفونيمات ما فوق التركيب"[1].

وأما التسمية الثانية (الفونيمات القطعية وفوق القطعية) – وهي كما أشرت أعلاه نسبة إلى قِطعة أو جزء (**Segmental**)– فنراها عند غير واحد من اللغويين وعلماء الأصوات، حيث "يمكن تقسيم الفونولوجيا حسب المركبات التي تكونها إلى قسمين، هما:

1- الفونولوجيا القطعية: **Segmental Phonology**، ويقوم هذا النوع على تحليل الكلام إلى قطع متميزة، تسمى الفونيمات، ومن أمثلة ذلك في اللغة العربية الصوامت، والحركات.

2- الفونولوجيا فوق القطعية: **Supra-segmental Phonology**، أو الفونولوجيا التطريزية **Prosodic Phonology**، وهي ظواهر صوتية تنبئ عن خواص الكلام وتحدد نوعياته، وكيفيات أدائه، وذلك مثل المَفصل، والتنغيم، والنبر"[2].

"والفونيم نوعان: قطعي **segmental** وفوق قطعي **suprasegmental**، ويشمل النوع الأول الصوامت والصوائت، وأما النوع الثاني فيشمل النبرات والأنغام والفواصل، ويتكون الفونيم من ألوفونات تتوزع المواقع بشكل تكاملي أو تتغير بشكل حر"[3].

وأمَّا التسمية الثالثة (الفونيمات التركيبية وفوق التركيبية) وهي المتداولة بشكل أكبر، فنجدها عند معظم المتأخرين من اللغويين وعلماء الأصوات، مثل الدكتور عبد القادر عبد الجليل في كتابه (الأصوات اللغوية)، حيث قسم الفونيمات إلى:

1- الفونيمات التركيبية: فيقول فيها: "إنَّ أفضل ما يمكن أن نقول في تعريف الفونيم: إنَّه أصغر وحدة صوتية غير قابلة للتجزئة، أو هو أصغر وحدة صوتية تفرق بين المعاني: جَلَبَ، حَلَبَ، فالجيم والحاء هما اللذان يفرقان بين معنى التركيب الأول

([1]) نادر جرادات، الأصوات اللغوية عند ابن سينا، الأكاديميون للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2015م، (ص125).

([2]) بسام أغبر، الفونيم وتجلياته في القرآن الكريم، (ص30).

([3]) محمد علي الخولي، معجم علم اللغة النظري، (ص209).

والتركيب الثاني، حيث تكون وظيفة الفونيم تحديد مدلولات التراكيب اللغوية، من مثل: نام، صام، قام، لام، رام، حام"[1]، وهو يشير في هذه الأمثلة إلى الصوامت التي تتحكم في مدلولات التراكيب.

2- الفونيمات فوق التركيبية: ويقول فيها: "إنَّ السلسلة التركيبية لأية لغة من اللغات، ليست في الواقع، مجموعة من التكتلات المفردة، تنطق مستقلة بكيانات ذاتية، بل هي مجموعة هذه الأصوات، المتناسقة والمنتظمة في تراكيب لغوية، يحمل كل تركيب منها خصائص تعكس الصور الذهنية، والدلالات المرتبطة في السياقات اللغوية، وسياقات الحال، وفق تنوعات صوتية منتظمة، وتشمل هذه التنوعات التي تمثل ظواهر الكلام: المقطع- النبر- التنغيم. وقد سُميت بالفونيمات فوق التركيبية **Supra-segmental Phonology** أو غير التركيبية **Non-segmental Phonology**؛ لأنَّها لا تدخل في جوهر التراكيب اللغوية، بيد أنَّ لها تأثيرات موجّهة للبنى الوظيفية"[2].

ويجدر بنا قبل أن نفصل في الحديث عن الفونيمات التركيبية وفوق التركيبية أن نتعرف على بعض المصطلحات الصوتية المهمة، والتي تتصل اتصالاً مباشراً بالفونيم، وتتردد كثيراً في التحليل الفونيمي، حتى لا يحدث خلط بينها وبين الفونيم بشكل عام، وعند الحديث عن الفونيمات التركيبية وفوق التركيبية بشكل خاص، علماً بأنَّ هذه المصطلحات جزء لا يتجزأ من الفونيم، بل هي التي تكوِّن معاً أسرة الفونيم، وقد وصفها اللغويون بصفات متعددة، أبرزها أنَّها (أعضاء) أو (تنوعات) أو (أجزاء) للفونيم، وهي: **الألوفون والديافون والفاريفون**.

فقد "تجلى هذا الاهتمام، وهذه التفرقة الصوتية لدى الإنسان، منذ أقدم العصور في الكتابة الألفبائية أو الكتابة الهجائية، التي اعتمدت وما زالت تعتمد، على الوحدات الصوتية

([1]) عبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللغوية، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمّان، ط2، 2014م، (ص98 و99).

([2]) المرجع السابق، (ص212 و213).

ذات القدرة التمييزية على مستوى الدلالة والمعنى، **ونعني بها الفونيمات**، دون غيرها من التشكلات والتنوعات الصوتية السياقية لهذه الوحدات، **ونعني بها الألوفونات**"[1].

وتسمَّى التنوعات أو التشكلات المختلفة الممكنة للوحدة الصوتية الواحدة؛ أي: للفونيم الواحد، تسمَّى ألوفونات، فعلى سبيل المثال نفترض كلمة مثل: (صلاة)، حين يسمعها الإنسان منطوقة بلام مرققة ثمَّ يسمعها بلام مفخمة، فإنَّه لن يولي ذلك اهتماماً؛ لأنَّه لا تأثير له على المعنى، فهذان التغيران يسمَّى كل واحد منهما ألوفوناً لفونيم اللام، فهذه الوحدة الصوتية الواحدة (اللام) ترتبط في ذهن المستمع بمعنى واحد ودلالة وظيفية واحدة، كذلك نعتبر أنَّ فونيم الراء (حرف الراء) له ألوفونات متعددة، كالراء المفخمة، والراء المرققة مثلاً، وهذه الفروق الصوتية من حيث المخارج يدركها المستمع بالطبع ولكنَّه لا يوليها اهتماماً لعدم تأثيرها على المعنى.

في حين سوف يجد السامع نفسه فرقاً كبيراً في الدلالة والمعنى بين كلمتين مثل: (قام وصام)، وذلك بسبب اختلاف وتغير الوحدتين الصوتيتين أو الفونيمين فيهما، وهما فونيم القاف وفونيم الطاء، وذلك بالرغم من توافق هاتين الكلمتين في باقي الأصوات المكونة لكل منهما.

"وفي الكتابة الألفبائية الإنجليزية على سبيل المثال نجد أنَّ تشكلي أو تنوعي أو قل – إن شئت عزيزي الدارس–: ألوفوني صوت الدال في الكلمتين الإنجليزيتين **does** و**do** يمثَّلان برمز كتابي واحد، هو "الحرف" أو "الوحدة الصوتية" أو قل "الفونيم" المعروف باسم **/d/**، في حين نجد نظيريهما في اللغة العربية وهما الدال والضاد يُمثلان بحرفين كتابيين، أو بوحدتين صوتيتين، أو بفونيمين مختلفين، ويعود السبب في ذلك إلى أن التفخيم الذي يطرأ على صوت الدال في اللغة الإنجليزية، في بعض السياقات النطقية التي يقع فيها لا يحمل أي قيمة تمييزية، أو أيَّة قيمة دلالية، خلافاً لما هو عليه الحال في لغتنا العربية"[2].

في حين أنَّ اختلاف اللهجات في نطق فونيم معين – مثل نطق فونيم الجيم بصفات في منطقة تختلف عن منطقة أخرى– يؤدي إلى حصول ما يعرف بالـ**(الديافون)**، ومن الأمثلة

([1]) محمد جواد النوري، علم الأصوات العربية، منشورات جامعة القدس المفتوحة، الأردن، ط1، 1996م، (ص114).

([2]) المرجع السابق، (ص114).

على ذلك نطق فونيم القاف في صورة كاف، كما هو الحال لدى سكان الأرياف والقرى – وحتى بعض المدن – في الضفة الغربية، وكذلك نطق الفونيم نفسه (القاف) في صورة همزة، كما هو الحال عند معظم سكان المدن المتحضرة في البلاد العربية. "وقد عرفه دانيال جونز بقوله: اسم لعائلة من الأصوات تتكون من الصوت الذي ينطق به المتكلم في مجموعة معينة من الكلمات مع الأصوات الأخرى المختلفة التي يستعملها متكلمون آخرون في اللغة نفسها، ويمكننا أنَّ نمثل لذلك في اللغة العربية بأشكال نطق الجيم الفصحى بين التركيب والاحتكاكية والانفجار، أو أشكال النطق المتعددة لفونيم القاف، إلى غير ذلك من أنماط النطق اللهجي العربي للعربية"[1].

وأمَّا **الفاريفون**، فيُقصد به التنوع النطقي للفونيم بحسب البيئة الاجتماعية أو النفسية أو الإقليمية التي يكون فيها المتكلم في وقت الكلام، فالمتكلم نفسه قد يستعمل فونيماً واحداً بتنوعات نطقية متعددة، من غير وعي من المتكلم بهذا التنوع، والسبب هو تفاعل المتكلم مع البيئة التي ينتمي لها، ومن الأمثلة على ذلك طريقة النطق (الشخصية) لصوت من الأصوات المفخمة مثل الطاء أو الصاد في بعض المجتمعات العربية، حيث تُنطق مرققة في تلك المجتمعات، فتصبح الطاءُ تاءً، وتصبح الصادُ سيناً. "يقول دانيال جونز: من القضايا المسلمة أنَّ الشخص الواحد لا يمكن أن ينطق كلمة معينة مرتين بصورة متطابقة، حتى في نفس السياق، فكل منطوق من منطوقاته يختلف عن الآخر في بعض التفصيلات الدقيقة التي يصعب على الأذن، أو حتى على الآلة التقاطها"[2].

وفي مقارنة بين الفاريفون والديافون يقول د. أحمد مختار عمر: "واضح إذن أن الفاريفون غير الديافون، وأنه يختلف عنه في أنه يقع في كلام الشخص الواحد في الأسلوب الواحد دون تأثر بلهجة خارجية، وبدون وعي أو قصد، وبغير اشتراط بيئة صوتية معينة، أمَّا الديافون، فكما سبق أن ذكرنا، يتحقق إذا تعدد الشخص، أو تعدد الأسلوب، أو تعدد نطق الشخص تحت تأثير اللهجة"[3].

([1]) بسام أغبر، الفونيم وتجلياته في القرآن الكريم، (ص37).

([2]) أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، (ص262).

([3]) المرجع السابق، (ص264).

الفونيمات التركيبية Segmental Phonemes:

تتكون اللغة العربية – بحسب رأي معظم اللغويين في الدرس اللغوي الحديث– من أربعةٍ وثلاثين فونيماً تركيبياً **Segmental Phonemes**، وتنقسم لثلاثة أقسام؛ الصوامت **Consonants** وعددها ستة وعشرون فونيماً وهي حروف اللغة العربية من الألف إلى الهاء؛ وأنصاف الصوائت أو ما عرفت بأشباه الصوائت **Semi vowels** وهما فونيمان: الواو والياء، والصوائت **Vowels** وهي ستة فونيمات، وهي تنقسم إلى قسمين: صوائت طويلة **Long vowels** وهي ثلاثة فونيمات: الفتحة الطويلة (الألف) والضمة الطويلة (الواو) والكسرة الطويلة (الياء)، وصوائت قصيرة **Short vowels** وهي ثلاثة فونيمات: الفتحة والضمة والكسرة.

ومن الجدير بالذكر أنَّ هذه التقسيمات غير متفق فيها بين علماء الأصوات وأهل اللغة سواء المتقدمين أو المتأخرين، حيث اختلفوا في عدد الفونيمات الصامتة، ومن ذلك على سبيل المثال الدكتور أحمد مختار عمر حيث اعتبر أنَّ فونيمات اللغة العربية هي خمسة وثلاثون فونيماً؛ فقد اعتبر أنَّ الصوامت سبعةٌ وعشرون فونيماً، عادّاً اللام المرققة فونيماً والمفخمة فونيماً آخر، إلا أنَّ هذا التقسيم يبدو أنَّه غير مناسب، على اعتبار أنَّه يفتح الباب لفونيمات أخرى مثل الراء أن تضاف إلى هذا التقسيم؛ لأنَّه يمكن تقسيمها كذلك إلى عدة فونيمات مرققة ومفخمة بدرجات متفاوتة.

أمَّا **الصوامت Consonants** فهي "تلك الأصوات التي يتعرض تيار الهواء الصادر من الرئتين، في أثناء إنتاجها، إلى قدر كبير من التضييق، والتوتر، والاحتكاك، والغلق، في بعض الأحيان، ومن أمثلتها في اللغة العربية، أصوات التاء والراء والشين والحاء...، وغيرها من الصوامت الأخرى"[1].

والصوامت أطلق عليها نفر آخرون من اللغويين اسم الأصوات الساكنة، وأطلقوا على أشباه الصوامت (الحركات) اسم أصوات اللين، يقول الدكتور إبراهيم أنيس: "والأصوات الساكنة إمَّا ينحبس معها الهواء انحباساً محكماً فلا يسمح له بالمرور لحظة من الزمن يتبعها ذلك

([1]) محمد جواد النوري، علم الأصوات العربية، ص132.

الصوت الانفجاري، أو يضيق مجراه فيحدث النفس نوعاً من الصفير أو الحفيف، والأصوات الساكنة على العموم أقل وضوحاً في السمع من أصوات اللين، فأصوات اللين تسمع من مسافة عندها قد تَخفَى الأصوات الساكنة أو يُخطَأ في تمييزها، فالفتحة مثلاً وهي صوت لين قصير، تسمع بوضوح من مسافة أبعد كثيراً مما تسمع عندها الفاء، ولهذا عُدّ الأساس الذي بني عليه التفرقة بين الأصوات الساكنة وأصوات اللين أساساً صوتياً وهو نسبة الوضوح في السمع، ففي الحديث بين شخصين بعدت بينهما المسافة قد يخطئ أحدهما سماع صوت ساكن، ولكنَّه يندر أن يخطئ سماع صوت لين، وكذلك الحال في الحديث بالتليفون"[1].

وأما **الصوائت (الحركات) Vowels**: "فيُقصد بها تلك الأصوات التي يواجه معها تيارُ الهواء، في أثناء خروجه من الرئتين، ماراً بالأعضاء النطقية، أقلَّ قدر ممكن من التضييق، والتوتر، والاحتكاك، ولذلك فإن هذا النوع من الأصوات، ويشمل الفتحة والكسرة والضمة، قصيرةً وطويلةً، تَنتُجُ دون حدوث إعاقة من أي نوع تقريباً، وكل ما يحدث، في أثناء إنتاج هذه الأصوات، ينحصر أو يكاد ينحصر، في تعديلات لمجلى الهواء في التجويف الفموي أساساً، ويتمثل ذلك في عضوين رئيسين هما: اللسان، والشفتان"[2].

وكما ذكرت من وجود اختلاف في التسمية لهذه الأنواع من الفونيمات التركيبية، فالصوائت أو (الحركات) يطلق عليها البعض أصوات اللين، والدكتور إبراهيم أنيس يقول فيها: "الصفة التي تجمع بين كل أصوات اللين **Vowels** هي أنَّه عند النطق بها يندفع الهواء من الرئتين ماراً بالحنجرة، ثمَّ يتخذ مجراه في الحلق والفم في ممرٍّ ليس فيه حوائل تعترضه فتضيق مجراه كما يحدث مع الأصوات الرخوة، أو تحبس النفس ولا تسمح له بالمرور كما يحدث مع الأصوات الشديدة، فالصفة التي تختص بها أصوات اللين هي كيفية مرور الهواء في الحلق والفم وخلو مجراه من حوائل وموانع"[3].

([1]) إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، ط5، 1975م، (ص26 و27).

([2]) محمد جواد النوري، علم الأصوات العربية، (ص132).

([3]) إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، (ص26).

فعلى سبيل المثال: أصوات اللين ليست ذات نسبة واحدة في الوضوح السمعي؛ بل منها الأوضح، فالمتسعة منها أوضح من الضيقة؛ أي: إنَّ الفتحة أوضح من الضمة والكسرة، وكذلك الأصوات الساكنة ليست جميعها ذات نسبة واحدة فيه؛ بل منها الأوضح أيضاً، فالأصوات المجهورة أوضح في السمع من الأصوات المهموسة[1].

وقد أطلق عليها د. أحمد مختار عمر وغيره من اللغويين اسم (أصوات العلة) واختصاراً (العلل)، وعَلَّلَ كونَ الحركات الطويلة فونيمات مختلفة عن الحركات القصيرة "بقوله:

أ- إن التقابل بين الحركة الطويلة والحركة القصيرة قد يؤدي إلى تغيير المعنى أو الصيغة، ومعنى هذا أنَّ كلاً منهما فونيم مستقل، بالإضافة إلى أنَّ كلاً من الطويل والقصير قد يقع موقع الآخر، وأمثلة ذلك كثيرة منها:

ضارَبَ: ضَرَبَ، سامَحَ، سَمَحَ.

ضورِب: ضُرب، مهندسو إدارة الكهرباء: مهندسُ إدارة الكهرباء.

بيعَ: بِع، عليمْ: علِمْ.

ب- كما أنَّ الدراسة التشريحية أثبتت أنَّ الخلاف بين العلل الطويلة والعلل القصيرة ليس خلافاً في الكمية فقط، وإنَّما في الكيفية كذلك، فموقع اللسان مع إحدى العلتين المتقابلتين مختلف قليلاً"[2].

وأمَّا **أنصاف الصوائت Semi vowels:** فيُقصد بها تلك الأصوات التي يكون التضييق فيها -الذي يواجه تيار الهواء عند إنتاجها- ضئيلاً، بَيْدَ أن نسبة هذا التضييق تكون أقل من نسبته عند إنتاج الصوامت، وأكثر من نسبته عند إنتاج الحركات، أو هي الأصوات التي تقوم بدور صامت؛ ولكن تنقصها بعضُ الخصائص الفوناتيكية المرتبطة بالصوامت، مثل: الاحتكاك، والانغلاق، ويشمل ذلك صوتَيْ الواو، والياء، في نحو: ولد، ويلد[3].

([1]) ينظر: إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، (ص27).

([2]) أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، (ص329).

([3]) ينظر: محمد جواد النوري، علم الأصوات العربية، (ص132).

وبالرجوع إلى تصنيفات اللغويين للفونيمات التركيبية في اللغة العربية في كتبهم، فإنَّ طائفة منهم لم يعتبروا وجود أنصاف صوائت (الواو والياء)، بل اعتبروا الفونيمات التركيبية نوعين هما: الصوامت (الأصوات الساكنة)، واعتبروا أن الواو والياء منها، والصوائت (أصوات اللين) وهي الحركات القصيرة والطويلة.

يقول د. ابراهيم أنيس: "لقد كان من نتائج تحليل المحدثين للأصوات اللغوية أن قسموها إلى قسمين رئيسين سموا الأول منهما **Consonants**، والثاني **vowels**، ويمكن تسمية القسم الأول بالأصوات الساكنة والثانية بأصوات اللين، وأصوات اللين في اللغة العربية هي ما اصطلح القدماء على تسميته بالحركات من فتحة وكسرة وضمة، وكذلك ما سموه بألف المدِّ، وياء المدِّ، وواو المدِّ، وما عدا هذا فأصوات ساكنة"[1].

ولا نستطيع أن نقول: إنَّ أصحاب هذا التصنيف على صواب وأصحاب ذلك التصنيف مخطئون؛ لأنَّ الحقيقة أنَّ كلاً منهم استند إلى ناحية معينة، فالقائلون بوجود التصنيف الثالث وهو (أنصاف الصوائت) أو أنصاف العلل كما سمَّاه بعضهم، قد استندوا إلى الناحية الفوناتيكية المحضة، وأمَّا القائلون بتصنيف الواو والياء مع الصوامت، فقد استندوا إلى الناحية الوظيفية؛ أي: من حيث قدرتها على التفرقة الدلالية بين الكلمات.

وقد نتساءل عن ماهية الاختلاف أو الفروق بين كلٍّ من الواو والياء المدِّيَّتين (العلة) وبين الواو والياء كأنصاف علة؟

لقد طرح هذا السؤال نفسه الدكتور أحمد مختار عمر وقدم لنا إجابة رائعة ومقنعة؛ حيث قال: " تتلخص الإجابة في أنَّ هناك فروقاً بين الواو كنصف علة، والواو كعلة، وهو نفسه الفرق بين الياء كنصف علة والياء كعلة، وتتلخص هذه الفروق فيما يأتي:

أ- قلة وضوح الأولى بالنسبة للثانية.

([1]) إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، (ص26و28).

ب–ضيق المجرى مع الأولى بالنسبة للثانية، ولذا فكما ألحقها بعضهم بالعلة، واعتبرها نصف علة **Semi vowels** ألحقها بعضهم بالساكن واعتبرها نصف ساكن **Semi consonant**.

ت– الخواص الوظيفية لكل منهما مختلفة عن الأخرى، فالواو والياء كنصفي علة تقومان بدور الأصوات الساكنة، وتقعان موقعها تماماً في التركيب الصوتي للغة العربية، ويتضح ذلك من الثنائيات الآتية:

بلد: ولد ، نترك: يترك

ثغر: ثور، بخت: بيت.

ومِّما يؤيد أنَّهما في المثالين الأولين ونحوهما يؤديان وظيفة الأصوات الساكنة أنَّهما – كالأصوات الساكنة تماماً– متبوعتان بحركات (الفتحة في كل منهما)"[1].

وقد حظيت الفونيمات التركيبية بعدة أنواع من التقسيمات والتوزيعات عند علماء اللغة والأصوات، كان من أبرز هذه التوزيعات: التوزيع بحسب المخرج بحيث يتم وصف المكان أو عضو النطق الذي يتم إنتاج الصوت فيه، والتوزيع بحسب الجهر والهمس (أي الدور الذي يقوم به الوتران الصوتيان)، وكذلك التوزيع بحسب التفخيم والترقيق، والتوزيع بحسب طريقة التحكم في مجرى الهواء عند إنتاج الصوت.

وسنكتفي في هذه الدراسة بأحد تلك التصنيفات، وهو التصنيف بحسب طريقة التحكم في مجرى الهواء، فنجد أنَّ هناك ثمانية أنواع من التحكم في المجرى عند إنتاج هذه الأصوات، وهذه الأنواع هي[2]:

1– تحكم عن طريق توسيع المجرى، ويشمل العلل الستة: الكسرة القصيرة والطويلة، والضمة القصيرة والطويلة، والفتحة القصيرة والطويلة (واسعة).

2– تحكم عن طريق توسيع نسبي (بالنسبة للأصوات الساكنة) وتضييق نسبي (بالنسبة لأصوات العلة)، ويشمل ذلك نصفي العلة: الواو والياء (شبه واسعة).

([1]) أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، (ص330 و331).

([2]) ينظر: المرجع السابق، (ص322).

3- تحكم عن طريق تضييق المجرى، ويشمل ذلك ثلاثة عشر صوتاً ساكناً هي: الفاء والذال والثاء والظاء والزاي والسين والصاد والشين والخاء والغين والعين والحاء والهاء: (استمرارية).

4- تحكم عن طريق قفل المجرى، ثم وقفة ثم تسريح فجائي، ويشمل ذلك ثمانية أصوات ساكنة هي: الباء والدال والتاء والطاء والضاد والكاف والقاف والهمزة (انفجارية).

5- تحكم عن طريق قفل المجرى، ثم تضييقه، ويشمل صوتاً واحداً هو: الجيم (مركب).

6- تحكم عن طريق قفل المجرى في نقطة وتسريح الهواء من الأنف، ويشمل صوتين هما: الميم والنون (أنفي).

7- تحكم عن طريق قفل المجرى في نقطة والسماح للهواء بالمرور من نقطة أخرى جانبية، ويشمل صوتين هما: اللام المرققة واللام المفخمة* (جانبي).

8- تحكم عن طريق قفل المجرى مع فتحه لمرات متتالية، ويشمل صوتاً واحداً هو صوت الراء (تكراري).

الفونيمات فوق التركيبية Supra-segmental Phonemes:

الفونيمات فوق التركيبية كما ذكرنا سابقاً هي ظاهرة أو صفة صوتية أو ملمح صوتي ذا مغزى في الكلام المتصل، وهي لا تكون جزءاً من تركيب الكلمة، أو بتعبير آخر هي ملمح صوتي تتأثر به وحدات صوتية قد تشتمل على أكثر من صامت، أو أكثر من حركة في الكلام المنطوق، ويظهر هذا الملمح ويُلاحظ فقط حين تُستعمل الكلمة الواحدة بصورة خاصة، كأن نستعملها مثلاً في جملة أو حين نضم كلمةً إلى أخرى، وسنتطرق هنا إلى اثنين من أشهر الفونيمات فوق التركيبية؛ وهما التنغيم والمفصل.

"والنظام الصوتي للغة العربية ، وغيرها من اللغات الأخرى أيضاً، لا يقتصر في وجوده وأدائه، على تلك الوحدات الفونيمية فقط – الفونيمات التركيبية –، نظراً لأنَّها أي تلك الوحدات الفونيمية، لا تقوى بمفردها على استيعاب كل ما في المنطوقات اللغوية من تنوعات ذات شأن، وإنَّما يشتمل ذلك النظام على نوع آخر من الفونيمات التي يطلق عليها مصطلح الفونيمات غير التركيبية أو الفونيمات غير القطعية، وهي عبارة عن ملامح صوتية إضافية تؤثر على الأصوات الكلامية"[1].

"إنَّ أصوات العلة، والأصوات الساكنة، تُكوِّنُ ما يُسمى بجزيئات الكلام **Speech segments** ولهذا توصف بالتالي بأنَّها فونيمات جزيئية أو تركيبية **segmental phonemes**، يوجد إلى جانب ذلك ملامح صوتية إضافية تؤثر على الأصوات الكلامية أو مجموعاتها، وهذه يطلق عليها أسماء الفونيمات الإضافية أو الثانوية **secondery** أو **supra segmental**"[2].

وحتى نتعرف بشكل أكبر على الفونيمات فوق التركيبية، لابد أن ننظر إلى أهم الفروق بينها وبين الفونيمات التركيبية، وهي كالتالي[3]:

([1]) محمد جواد النوري، علم الأصوات العربية، (ص261).

([2]) ماريو باي، أسس علم اللغة، (ص92).

([3]) ينظر: محمد جواد النوري، علم الأصوات العربية، (ص130).

1- يعدُّ الفونيم غير التركيبي أكثر بقاءً من الفونيم التركيبي، بمعنى أن الأخير؛ أي الفونيم التركيبي، قد يتعرض للتغيير، أو الزوال، الذي يحكمه التطور اللغوي التاريخي، في حين يبقى الفونيم غير التركيبي في الأعم الأغلب، محافظاً على وجوده.

2- كما أن الفونيم غير التركيبي أكثر بقاءً من الفونيم التركيبي لدى الأشخاص الذين يصابون ببعض حالات أمراض الكلام، كبعض أنواع الحُبْسة النطقية، فهؤلاء المصابون بهذا المرض، يحافظون على عددِ النبضات الصدرية المساوية لعدد المقاطع الموجودة في المنطوق الذي يحاولون النطق به، وذلك على الرغم من نسيانهم وعجزهم عن النطق ببعض الصوامت والحركات المكونة لتلك المنطوقات.

3- وعلاوة على ما سبق، فإنَّ الارتباط القائم بين الفونيمات غير التركيبية، والقيم الدلالية، أقلُّ من الارتباط القائم بين الفونيمات التركيبية وهذه القيم، وهذا يعني أنَّ الأداء الدلالي للفونيمات التركيبية أقوى من الأداء الدلالي للفونيمات غير التركيبية، فكلمة "نعم" على سبيل المثال، ترتبط بمكوناتها الفونيمية التركيبية، وهي: النون والعين والميم، والحركات الملابسة لها، ترتبط دلالياً بمعنى الجواب، أو الإجابة، على نحوٍ قوي، في حين أنَّ نطق هذه الكلمة بتنغيم معين لدى الناطق، قد يفهم منه عكس المطلوب، أو عكس المقصود منه، في بعض الحالات.

4- وللفونيمات غير التركيبية صلة بالتعبير عن المعنى القواعدي، أكثر من صلتها بالمعنى المعجمي، وهذا يعني أنَّها؛ أي: الفونيمات غير التركيبية، تقوم بدور مهم في رسم حدود وحدة القواعد المعروفة، وهي الكلمة، أو تعيين سماتها، فالنبر – مثلاً–، وهو أحد الفونيمات غير التركيبية، قد يُستغل أحياناً للتفريق بين الأسماء والأفعال في اللغة الإنجليزية.

والفرق الأساسي والأهم بينها هو أنَّ "الفونيمات الرئيسة عناصر تركيبية؛ أي: عناصر أساسية في تركيب الكلمة، ومواقعها محددة، يمكن قطعها أو فصلها بعضها عن بعض، في حين تكون الفونيمات الثانوية، أو فوق القطعية، ليس لها

نصيب في تركيب الكلمة أو بنيتها، إنها فوق التركيب، أي تكسوه كله فلا يمكن قطع أو تمزيق امتدادها"[1].

([1]) بسام أغبر، الفونيم وتجلياته في القرآن الكريم، (ص38).

التنغيم (intonation):

التنغيم هو قمة الظواهر الصوتية التي تكسو المنطوق كلَّه، ولا يزال التنغيم هو الخاصية الصوتية الجامعة التي تلف المنطوق بأجمعه، وتتخلل عناصره المكوّنة له، وتكسبه تلويناً موسيقياً معيناً حسب مبناه ومعناه، وحسب مقاصده التعبيرية، وفقاً لسياق الحال أو المقام، إنَّه الآلة التي تَعزِف نوتها وفقاً لمقتضياتها وكفاية عازفيها، وطبيعة القطعة (الكلام) التي يراد إبرازها في صورة (سيمفونية) لها مذاقها الخاص، أو قل: هو (الجوقة) العازفة المؤتلفة الخطوط والخيوط، فيصبح المردود نسيجاً موسيقياً متكاملاً في البناء والطلاء[1].

وقد جاء في البيان والتبيين للجاحظ "والصوت هو آلة اللفظ، والجوهر الذي يقوم به التقطيع، وبه يوجد التأليف، ولن تكون حركات اللسان لفظاً ولا كلاماً موزوناً ولا منثوراً إلا بظهور الصوت، ولا تكون الحروف كلاماً إلا بالتقطيع والتأليف، وحسن الإشارة باليد، والرأس، ومن حسن البيان باللسان، مع الذي يكون مع الإشارة من الدّلِّ والشَّكلِ والتَّفتُّل والتّثنّي[2]"[3].

وإشارة الجاحظ هذه، دليل على أهمية التنغيم في السياقات التنظيمية للمتكلم، وهي التفاتة واضحة المعالم إلى الجرس الصوتي الذي يرافق الحركة أثناء تأدية الفعل الكلامي، يلتمس الجاحظ في تيار الكلام –الذي يتطلب الوضوح– أن يكون مقروناً بما اصطلح عليه (الدّلّ والشّكل والتّفتّل والتّثني) مما له القدرة على إضفاء حالة البيان، وإكساب السياق قبولاً حسناً، وقوة في إيصال الدلالة، وإسراعاً في الفهم[4].

وقد استخدم الفارابي مصطلح (النغم) **Ton** ، ليستدل به على التنغيم، فقال: "والنغم، الأصوات المختلفة في الحِدّة والثقل التي تتخيل أنها ممتدّة"[5].

([1]) ينظر: كمال بشر، علم الأصوات، (ص531).

([2]) الدّل والتّشكل: دلُّ المرأة وغنجها وغزلها، والتفتل والتثني: الاختيال والتثني والتكسر في المشي.

([3]) الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، د.ط، د.ت، (ج79/1).

([4]) ينظر: عبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللغوية، (ص255).

([5]) أبو نصر الفارابي، الموسيقى الكبير، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، د.ط، د.ت، (ص109).

وعند ابن منظور: النغمة "جَرْسُ الكلمةِ وحُسْنُ الصوتِ في القراءة"[1]. وفي صحاح الجوهري: لا نقول لشخص إنَّه حسن النغمة إلا "إذا كان حسن الصوت في القراءة"[2].

وقد أطلق عليه الدكتور إبراهم أنيس (موسيقى الكلام)، وقال فيه: "لقد برهنت التجارب الحديثة على أنَّ الإنسان حين ينطق بلغته لا يتبع درجة صوتية واحدة في النطق بجميع الأصوات، ومن اللغات ما يجعل لاختلاف درجة الصوت أهمية كبرى، إذ تختلف فيه فيها معاني الكلمات تبعاً لاختلاف درجة الصوت حين النطق بها، ويمكن أن نسمِّي نظام توالي درجات الصوت بالنغمة الموسيقية"[3].

وقد أشار علماء العرب القدامى إلى صور الكلام التنغيمية، وبينوا آثارها في سلسلة الأحداث النطقية[4]، ففي قول جرير[5] وهو من شواهد ألفية ابن مالك (ت672)[6]:

أَقِلِّـــي اللـــومَ عـــاذِلَ والعتابـــا وقـــولي إن أصـــبْتُ لقـــد أصـــابا

ويُروى و(العتابن)، حيث مدّ الشاعر الألف للترنم والتنغيم.

قال سيبويه (ت180): "إذا ترنَّموا ألحقوا الألف والياء والواو، وهذه من الصوائت الطويلة التي تكسب اللفظ مداً ومساحة وفضاءً أكبر، نظراً لتمتعها بخاصية الجهر والوضوح

([1]) ابن منظور، لسان العرب، دار صادر للنشر والطباعة، بيروت، ط1، 1990م، مادة (ن غ م)، (ج590/12).

([2]) الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عطّار، دار العلم للملايين، بيروت، ط 4، 1990م، مادة (ن غ م)، (ج2045/5).

([3]) إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، (ص175).

([4]) عبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللغوية، (ص256).

([5]) جرير، ديوان جرير، (ص68).

([6]) ينظر: العيني، المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية، تح: علي محمد فاخر، وآخرون. ط1، القاهرة: دار السلام، 2010م، (ج164/1).

السمعي، مقارنة بالأصوات العربية الأخرى[1].

وهذا ابن جني (ت392) يختتم مقدمة كتابه (سر صناعة الإعراب) الذي حوى إشارات تدلُّ على علم أصوات العربية، بقوله: (وهذا العلم هو علم الأصوات والنغم)[2]، فالتعبير بالمصطلح (النغم) فيه دلالة واضحة على إدراك أن الكلام المنطوق يصدرُ منغّماً، وأن هذا التنغيم جزء لا يتجزأ من خواص الكلام[3].

والتنغيم في الاصطلاح هو: موسيقى الكلام، فالكلام عند إلقائه تكسوه ألوان موسيقية لا تختلف عن (الموسيقى) إلا في درجة التواؤم والتوافق بين النغمات الداخلية التي تصنع كلاً متناغم الوحدات والجنبات، وتظهر موسيقى الكلام في صورة ارتفاعات وانخفاضات أو تنويعات صوتية، أو ما نسميها نغمات الكلام، إذ الكلام – مهما كان نوعه – لا يُلقى على مستوى واحد، بحال من الأحوال[4].

ويطلق مصطلح التنغيم **intonation** على تلك التغييرات التي تحصل في درجة نغم الصوت في الكلام المتصل، وهي تغيرات تتعلق بدرجة نغم النوتة الموسيقية الناتجة عن اهتزازات الوترين الصوتيين **vocal cords**، أو هو نمط اللحن **melodic pattern** الذي ينشأ عن اختلاف درجة الصوت في أثناء الكلام.

ويطلق أيضاً على ارتفاع الصوت وانخفاضه بوساطة تتابع النغمات الموسيقية، أو الإيقاعات، في حدث كلامي معين، وذلك من أجل التعبير عن الحالات النفسية المختلفة وعن

([1]) سيبويه، عمرو بن عثمان، الكتاب. تحقيق: عبد السلام محمد هارون. ط3، القاهرة: مكتبة الخانجي، 1988م، (ج4/204).

([2]) ابن جنّي، سر صناعة الإعراب. ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 2000م، (ص22).

([3]) كمال بشر، علم الأصوات، (ص550).

([4]) ينظر: المرجع السابق، (ص533).

المشاعر والانفعالات[1]. وللأوتار الصوتيَّة وذبذباتها دور فاعل في إظهار القيمة التمييزية للتنغيم، الذي لا يخرج، كما قال ابن منظور، عن حسن الصوت وجرس الكلام[2].

إذن فإنَّ التنغيم يلعب دوراً أساسياً في التمييز والدلالة، سواء في اللغة العربية أو في غيرها من الكثير من اللغات، فهو قد يدل على الموافقة أو الرفض لأمر ما، كما يدل على التوكيد والتعجب من أمر ما، ومن خلاله قد نفرق بين الاستفهام والنفي، والإنكار والزجر، كما أنَّنا نستطيع التعرُّف على حالة الإنسان من خلاله، مثل الغضب واليأس والفرح والحزن والشك واليقين، كل ذلك عن طريق اختلاف الدرجة التنغيمية.

"ونغمات الكلام دائماً في تغير من أداء إلى آخر ومن موقف إلى موقف، ومن حالة نفسية إلى أخرى، وللنغمات مدى من حيث الارتفاع والانخفاض تحسّه الأذن المدربة، فعندما ترتفع درجة التلوين الموسيقي نحصل على تنغيم مرتفع **rising tone**، وعندما تنخفض هذه الدرجة نحصل على تنغيم منخفض **falling**، أمَّا إذا لزمت هذه الدرجة مستوى واحداً فالحاصل إذن نغمة مستوية **level**"[3].

والتنغيم على الرغم من اختلاف صوره وإمكاناته يمكن حصر نغماته الرئيسية في نغمتين اثنتين، وذلك بالنسبة إلى نهايتهما فقط، أمَّا إطارهما الداخلي فينتظم عدداً كبيراً من التنويعات الجزئية، والنغمة الأولى تسمى **النغمة الهابطة**، وسميت بهذا الاسم؛ لأنَّها تتصف بالهبوط في نهايتها، ومن الأمثلة عليها الجمل التقريرية ،مثل: (محمود في البيت)، والنغمة الثانية تسمى **النغمة الصاعدة**، وسميت كذلك لصعودها في نهايتها، ومن الأمثلة عليها الجمل الاستفهامية التي تستوجب الإجابة بنعم أولا، مثل: (محمود في البيت؟)[4].

"ولكل لغة عاداتها التنغيمية أو (لحونها)، ونحن عندما نتعلم لغة أجنبية نفرض عاداتنا التنغيمية على اللغة الجديدة، ويصعب علينا أن نتعلم اللحون الجديدة، بل إنَّ التنغيم ليختلف من

([1]) ينظر: محمد جواد النوري، علم الأصوات العربية، (ص 273 و274).

([2]) ينظر: عبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللغوية، (ص259).

([3]) كمال بشر، علم الأصوات، (ص533).

([4]) المرجع السابق، (ص534).

فرد إلى فرد، بين متكلمي لغة من اللغات شيئاً من الاختلاف، وإنَّه ليختلف اختلافاً أشد من هذا من إقليم إلى إقليم، فغالباً مما يميّز كل إقليم لحن الكلام"[1].

فالتنغيم موجود في أغلب اللغات، ولكن بدرجات متفاوتة، حيث يصل تأثيره في بعضها إلى تأثير الفونيمات التركيبية، ومن الأمثلة على ذلك "اللغة الصينية حيث تعدُّ فيها درجة الصوت أو نغمته جزءاً متأصلاً من الكلمة، وقيمته الفونيمية تعادل تماماً قيمة أصوات العلل (الحركات)، أو الأصوات السواكن (الصوامت)، وفي اللغة السويدية تستعمل نغمة نازلة إلى جانب نغمة مركبة: فكلمة مثل **anden** مع النغمة البسيطة النازلة تعني (البط)، ومع النغمة المركبة تعني (النفس) أو (الروح)"[2].

فقد تشترك كلمتان في الفونيمات المكونة لكلتيهما، ولكن إحداهما تنطق بلحن أو (تنغيم) معين، وتنطق الثانية بلحن آخر، ولكل منهما معناها، وهذا كثير في اللغة الصينية وفي بعض لغات وسط أفريقيا"[3]؛ فإذا قال الناطق باللغة الإنجليزية كلمة **Yes**، بنغمة هابطة **Falling Tone**، يكون معنى ذلك أن الجواب (نعم)، أمَّا إذا كان النغم صاعداً عالياً **Yes High Rising Tone**، فإنَّ ذلك يعني سؤالاً، وإذا كان النغم الصاعد منخفضاً **Low Yes Rising Tone**، كان ذلك يعني (استمر أنا أنصِت)[4].

ونستطيع أن نُمثِّل للتنغيم وأثره في تمييز المعنى في اللغة العربية من خلال أمثلة متعددة، أبرزها:

1- عندما تسمع أحدهم يقول: (محمد)، فإن هذه الكلمة تكون بنغمة معينة إذا كانت جواباً لسؤال: من الذي حضر، وتكون بنغمة أخرى إذا كانت لشخص ينادي على محمد – وقد حُذفت أداة النداء–، وتكون بنغمة أخرى إذا كانت للتعجب حين يسمع أحدهم أن شخصاً يقول محمد هو الذي ارتكب هذه الجريمة!.

([1]) محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، (ص192 و193).

([2]) ماريو باي، أسس علم اللغة، (ص94).

([3]) ينظر: محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، (ص198).

([4]) ينظر: محمد جواد النوري، علم الأصوات العربية، (ص274).

2- لا: إذا نطقت بنغمة منخفضة تكون جملة تقريرية بمعنى: لا أوافق، وإذا نطقت بنغمة مرتفعة تدل على الدهشة والاستنكار.

3- والجملة العامية: (نجح محمد؟) كاستفهام تختلف في تنغيمها عن الجملة التقريرية: (نجح محمد).

4- قال تعالى: ﴿**هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ**﴾[1]، وقال تعالى: ﴿**الْقَارِعَةُ (1) مَا الْقَارِعَةُ (2) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ (3)**﴾[2]، ففي كلتا الآيتين أداة استفهام، ولكن التنغيم المصاحب لكل آية أثناء نطقها يجعل للاستفهام معاني أخرى، ففي الأولى ذهب المعنى للنفي وفي الثانية ذهب المعنى للتهويل. ومن تلك الأمثلة أيضاً في الشعر العربي: قول جرير[3]:

أَلَسْتُمْ خَيرَ مَن رَكِبَ المَطَايا وأندى العالمينَ بطونَ راحِ

وقول البارودي[4]:

يَا دهرُ فِيمَ فَجعتَنِي بحليلةٍ كانت خلاصة عُدتي وعتادي

فقد تضمن كل بيت من هذين البيتين أداة استفهام معينة، ولكن الجملة، أو لنقل البيت كلَّه، قد ابتعد عن فكرة الاستفهام، في كل صورة أداء، إلى معنى آخر يعبر عن موقف، أو إحساس خاص للمتكلم، وهو في البيتين السابقين، التقرير، والتحسُّر، على التوالي[5].

والتنغيم لا يقل أهمية عن غيره من وسائل تمييز المعنى في اللغة العربية وغيرها، فهو مثلاً لا يقل أهمية عن علامات الترقيم، يقول الدكتور عبد القادر عبد الجليل: "ونرى التنغيم أكثر أهمية من الترقيم، فبالإمكان أن نتابع الكلام المكتوب دون ترقيم، ولكن مع الكلام

([1]) [الرحمن: 60].

([2]) [القارعة: 1-3].

([3]) جرير، ديوان جرير، (ص93).

([4]) محمود سامي البارودي، ديوان البارودي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، د.ط، 2013م، (ص93).

([5]) ينظر: محمد جواد النوري، علم الأصوات العربية، (ص276).

المنطوق تبرز أهمية التنغيم في إبراز القيم الدلالية في الفعل الكلامي، فالتنغيم، تنويع في درجات الصوت خفضاً وارتفاعاً في الوحدة الدلالية، مهما تنوعت مقاطعها، وظهورها ضمن سياق الكلام"[1].

ومن علماء الأصوات اللغوية من يطلق كلمة (تونيم) (من **tone** بمعنى نغمة) على التنغيم عندما يتخذ وسيلة للتمييز بين المعاني، وكلمة (كرونيم) على مدة استمرار الصوت عندما تكون وسيلة مميزة، وأكثر علماء أمريكا يدخلون هاتين الوسيلتين مع الفونيمات فيسمون الوسيلة الأولى فونيم نغمة = (فونيم نغمي)، والوسيلة الثانية فونيم مدة = (فونيم كَمّي)[2].

([1]) عبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللغوية، (ص257).

([2]) ينظر: محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، (ص198).

المفْصَل (juncture):

المِفْصَل له دور مهم ومؤثر على التنغيم، حيث إنَّ الأخير "إنَّما يتحدد إطاره وتدرك أنماط نغماته في نهايات الجمل **بالفواصل الصوتية**، ونعني بها الوقفات والسكتات والاستراحات، فهما (التنغيم والفواصل) متلازمتان، وهما معاً الأمارات الأساسية الدالة على أنماط التراكيب وكيفيات تكوينها، وبهما أيضاً يمكن تصنيف هذه التراكيب إلى أجناسها النحوية، وتحليلها تحليلاً لغوياً سليماً، ومن ثم كان الجميع بينهما في هذا المقام"[1].

والأصل اللغوي لهذا المصطلح يعود إلى الجذر الثلاثي (ف ص ل)، ومن معانيه: الفَصْل، وهو " بَوْنُ مَا بيْنَ الشَّيْئَيْن"[2].

"والمفصل **juncture** يسمى أيضاً الانتقال **transition** وهو عبارة عن سكتة خفيفة بين كلمات أو مقاطع في حدث كلامي بقصد الدلالة على مكان انتهاء لفظ ما أو مقطع ما، وبداية آخر"[3].

وهو أيضاً "مصطلح فونولوجي يستعمل للدلالة على الملامح الصوتية التي تتصف بها حدود الوحدات القواعدية، كالمورفيم، أو الكلمة، أو العبارة، أو التركيب، أو الجملة، ومن هذه الملامح السكوت الذي يغلب أن يكون خفيفاً"[4].

فنجد – مثلاً – أن المفصل هو الذي يساعدنا في على أن نميز بين **an icebox** و **a nice box**، وبين **light housekeeper** و**lighthouse keeper**، وحتى في الحالات التي لا يلعب فيها المفصل دوراً فونيمياً، فإنَّه يؤدي دوراً ملحوظاً في التفريق بين نطق الأجانب، ونطق أبناء اللغة[5].

([1]) كمال بشر، علم الأصوات، ص 532.

([2]) ابن منظور، لسان العرب، مادة (ف ص ل).

([3]) ماريو باي، أسس علم اللغة، ص 95.

([4]) محمد جواد النوري، علم الأصوات العربية، ص 278.

([5]) ينظر: ماريو باي، أسس علم اللغة، ص 96.

وقد أطلق عليه الدكتور كمال بشر (الفواصل الصوتية)، ووصفها بأنَّها "مصطلح نطلقه على مجموعة من الظواهر الصوتية التي تشكل تلويناً خاصاً بالمنطوق، يحدد طبيعة التركيب وماهيته ودلالته، هذه الفواصل هي: الوقفة **stop** والسكتة **pause** والاستراحة أو أخذ النفس، وكلها ذات أهمية كبيرة في صحة الأداء الصوتي وتجويده، وفي التحليل النحوي والدلالي والتركيبي"[1].

الوقفة، والسكتة، والاستراحة هي الكيفيات الثلاثة لتطبيق المفصل في الكلام المنطوق[2]، **فالوقفة stop** تكون عند تمام الكلام في مبناه ومعناه، وتأتي الوقفة الكاملة مصحوبة بنغمة هابطة، ورمزها في الكتابة النقطة (.) ، وهذا في الجمل التقريرية، أما في الجمل الاستفهامية؛ فيكون رمزها (؟) ، وأمَّا **السكتة pause** فهي أخف من الوقفة وأدنى منها زمناً، وتدل على أنَّ ما قبلها مرتبط بما بعدها ومتعلق به، وتكون مصحوبة بنغمة صاعدة، وعلامتها في الكتابة الفاصلة (،) ، وهي فاصلة نطقاً ولكنَّها واصلة بما بعدها بناء ومعنى، وتقع السكتة في النطق الصحيح في نماذج معينة من التراكيب، منها على سبيل المثال الجمل الشرطية، كما في قوله تعالى: ﴿**وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا**﴾[3]، **والاستراحة** هي وسيلة صوتية لمنح الكلام خاصية الاستمرارية، إذ لا يكاد يلاحظها السامع غير المجرب، إنها فرصة لمجرد أخْذ النفَس، وهي أقل في فترتها الزمنية من الوقفة والسكتة، ومن الأمثلة عليها السكت على كلمة (السماء) في قوله تعالى: ﴿**أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا**﴾[4].

وهناك في بعض اللغات (ثنائيات صغرى) لا يُميِّزُ الواحد منها عن الآخر إلا موضع المفصل، ولذلك سمَّاه اللغويون (فونيم المفصل)، وحين حصر **Dinneen** فونيمات اللغة

([1]) كمال بشر، علم الأصوات، (ص553).

([2]) ينظر: المرجع السابق، (ص554 و555).

([3]) [الطلاق: 2].

([4]) [النازعات: 27].

الإنجليزية في خمسة وأربعين فونيماً ذكر من بينها فونيم المفصل[1]، ومن الأمثلة على استخدام المفصل كفونيم في ثنائيات اللغة الإنجليزية:

an aim مع **a name**

at ease مع **a tease**

an ocean مع **a notion**

وهناك تصنيفان أساسيان للمفصل هما[2]:

1- المفصل المفتوح **open juncture** – ويُسمى أيضاً بالمفصل الزائد– يرمز له في الكتابة بالعلامة (+)، وهو الانتقال الحاد، ونلاحظه مثلاً في الانتقال الحاد بين **night** و **rate** في **night rate (night+rate)** .

2- المفصل الخفي **close juncture** – أو المغلق أو الضيق– ويعبر عنه في الكتابة عن طريق علامة ناقص (–)، وهو يقابل الانتقال الحاد (المفصل المفتوح)، ونلاحظه مثلاً بين **r** و**t** في **nitrate**.

وقد عرفت اللغة العربية هذا النوع من الفونيم فوق القطعي، وإن لم يكن له علامات أو رموز كما في اللغات الأجنبية، وقد بلغت عناية القدماء به عناية فائقة، وبخاصة علماء التجويد والقراءات، سواء على مستوى التنظير أو على مستوى التطبيق، ويبدو ذلك الاهتمام جلياً في تلك المؤلفات التي خصصوها لمعالجة تحديد مواضعه، وبيان أثر الوقف على المعنى في كل موضع، ومن تلك المؤلفات: (المُكتفَى في الوقف والابتدا) لأبي عمرو الداني (ت444هـ)، و(منار الهدى في بيان الوقف والابتدا) لمؤلفه الأشموني (ت929هـ)[3].

وقد اهتم علماء العرب اللغويون وغير اللغويين بهذه الظاهرة، وخاصة في القرآن الكريم الذي يقوم فيه المفصل أو الوقفة بتغيير المعنى في أثناء تلاوة بعض آياته، ومن هذا المنطلق

([1]) ينظر: أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، (ص231 و232).

([2]) ماريو باي، أسس علم اللغة، (ص95).

([3]) ينظر: بسام أغبر، الفونيم وتجلياته في القرآن الكريم، (ص45).

وبهدف خدمة الجانب الدلالي في قراءة القرآن الكريم، فقد وضع علماء القراءات علامات الوقف الواجب، والجائز، والممتنع، في المصحف الشريف، ومن الأمثلة على ذلك، علامة الوقف اللازم (مـ) في قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ ۘ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ**﴾[1]، فبدون الوقفة عند قوله: يسمعون، يصبح (الموتى) ضمن من يستجيب[2].

ومن تلك العلامات أيضاً علامة النقاط الثلاثة التي على شكل مثلث، ويطلق عليها علامة تعانق الوقف، والتي يترتب عليها حكماً للقارئ بأنه يجوز له الوقوف على أحد الموضعين لا على كليهما، ومثاله قوله تعالى: ﴿**ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ**﴾[3].

ولذا فإنَّ للفواصل الصوتية دوراً بارزاً في دقة التحليل اللغوي على المستويات كافة، وعلى الأخص في حسبانها عاملاً فاعلاً في تصنيف الجمل والعبارات إلى أجناسها النحوية المختلفة، وفي توجيه الإعراب كذلك، فقد لاحظنا أنَّ بعض الأمثلة أو الآيات القرآنية الكريمة تُلقى إلينا بأكثر من وجه إعرابي، وبتقليب هذه الأوجه والنظر الدقيق في أحوالها المختلفة، نرى أنَّ المسوغ الحقيقي لها كيفيات أدائها نطقاً[4].

ويمكن ملاحظة دور وأهمية المفصل من خلال النصوص الآتية[5]:

1- جادلك أخوك.

أ- جادلك أخوك: جادل (فعل ماضٍ) + ك: ضمير المخاطب مفعول به، والمعنى: ناقشك أخوك، وفي هذه الحالة ننطق بـ جادلك، دونما وقفة أو سكتة بين مكوناتها.

([1]) [الأنعام: 36].

([2]) ينظر: محمد جواد النوري، عم الأصوات العربية، (ص280).

([3]) [البقرة: 2].

([4]) ينظر: كمال بشر، علم الأصوات، (ص560 و561).

([5]) ينظر: محمد جواد النوري، علم الأصوات العربية، (ص280).

ب- جادَ لك أخوك: جاد (فعل ماضٍ) + لك: شبه جملة، جار ومجرور، والمعنى: أعطاك أو منحك أخوك، وفي هذه الحالة يفصل بين الفعل: جاد، وشبه الجملة (لك) بسكتة خفيفة.

2- قال الشاعر[1]:

عضَّنَا الدَّهرُ بِنَابِهِ   ليتَ ما حلَّ بِنَا بِهْ

أ- عضنا الدهر بنابه: ناب (اسم) + الهاء: ضمير مضاف إليه، والمعنى: عضنا الدهرُ بأسنانه على المجاز، في هذه الحالة ننطق بالعبارة: بنابه دونما وقفة أو سكتة بين عناصرها.

ب- ليت ما حل بنا به: بنا (شبه جملة جار ومجرور) + (شبه جملة جار ومجرور)، وفي هذه الحالة يفصل بين شبه الجملة (بنا) وشبه الجملة (به) بسكتة خفيفة.

وفي الشعر العربي، وردت نماذج من المفصل، فمن ذلك بيتا الفرزدق(ت110هـ)[2]:

هيهاتَ قدْ سفِهَتْ أميةُ رأيَها   فاستَجهَلَتْ، حُكماؤها سُفَهاؤها

حربٌ تردَّدُ بينها بتَشاجُرٍ   قد كفَّرَتْ، آباؤها أبناؤها

فقوله: (حكماؤها سفهاؤها) فظاهر الكلام يقتضي أن يكون الثاني: مرفوعاً، فاعلاً لـ(استجهلت)، والأول: منصوباً على أنَّه مفعول به. ولكنَّ الجواب هو: إنَّ قوله: (استجهلت) كلام تام، فيه ضمير يعود على (أمية)، وقوله (سفهاؤها) و (حكماؤها) مبتدأ وخبر، أي: سفهاء الحرب حكماؤها.

أمَّا البيت الثاني فالإشكال في قوله: (قد كفَّرَت آباؤها أبناؤها) برفعهما، وظاهر الكلام، رفع الأول، ونصب الثاني، على ما تقدم في البيت الأول.

([1]) البيت لم يعرف له قائل. ينظر: النويري، أحمد بن عبد الوهاب، نهاية الأرب في فنون الأدب، ط1، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 1423هـ، (ج92/7).

([2]) الفرزدق، ديوان الفرزدق، شرحه وضبطه د. عمر فاروق الطباع. ط1. بيروت: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، 1997م، (ص7).

ولكن الجواب، أن قوله: (قد كفَّرَت) كلام تام، ومعناه: قد لبست أمية السلاح، من الكفر وهو التغطي، وقوله: (آبـاؤها أبناؤهـا) مبتدأ وخبر، أي: أبا أمية هم أبناء الحرب[1].

([1]) ينظر: بسام أغبر، الفونيم وتجلياته في القرآن الكريم، (ص46).

المبحث الثالث: نظريات الفونيم

تعددت المدارس والاتجاهات الفكرية واللغوية التي تناولت الفونيم بالبحث والدراسة والتنظير، وكان لكل منها آراؤه ووجهات نظره، وسنتعرف في هذا المبحث على أبرز هذه النظريات ومواقفها حول الفونيم، ولكن قبل أن نتعرف على هذه النظريات يجدر بنا أن نتعرف على **مكونات الفونيم**، وهو أمر بالغ الأهمية لارتباطه برؤية تلك النظريات للفونيم.

فقد اختلف علماء اللغة في هذا الأمر اختلافاً بيِّناً، فيرى جزء منهم – وهم أقلية – أن الفونيم وحدة واحدة غير قابلة للتقسيم أو التحليل إلى أجزاء وعناصر أصغر، في حين يرى الجزء الآخر – وهم الأغلبية – عكس ذلك تماماً، فعندهم أن الفونيم عبارة عن مجموعة من العناصر والمكونات التي يمكننا تحديدها بتحليل الفونيم.

ومن أصحاب الرأي الأول اللغوي الروسي **Sidorov** الذي يقول: "إذا نحن تحدثنا عن الفونيم، فإن الفونيم ليس فقط غير منقسم إلى وحدات صغرى، ولكن لا يمكن أيضاً أن يحلل إلى عناصره الأكوستيكية[1]، إنَّه مجموع كلي، وكيفية غير قابلة للتقسيم"[2].

وأمَّا أصحاب الاتجاه الرأي الثاني، ومنهم لغويو مدرسة لندن، "وهو الاتجاه السائد لدى علماء الأصوات، فيرون أنَّ الفونيم يتكون من أسرة، أو أنَّه وحدة صوتية "تجمع تحتها متعددات"، فقد اختلفوا في ماهية هذه المتعددات"[3]، "وفي تحديد هوية تلك المكونات انقسموا إلى قسمين رئيسين، هما:

1- قسم يرى أن الفونيم يتألف من مكونات تتمثل في تحققاته الصوتية المختلفة، وتشكلاته السياقية المتنوعة، وهي التي يُطلق عليها مصطلح ألوفونات، وعلى هذا، فإنَّ الفونيم (يشتمل على مجموعة من الفونات المتشابهة، أو التنوعات الصوتية

([1]) الأكوستيكية: هو العلم المتخصص في دراسة الخصائص المعينة للأصوات بما فيها أصوات اللغة، ويقوم بتحليل أصوات الكلام المنطوق ووصفه من حيث خصائصه الفيزيائية، مثل: التوتر والشدة وغيرها.

([2]) أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، (ص183).

([3]) بسام أغبر، الفونيم وتجلياته في القرآن الكريم، (ص35).

Phonetic variants التي يتوقف استعمال كل منها، أساساً، على موقعه في الكلمة، وعلى الأصوات المجاورة له)"[1].

ويرى أصحاب هذا القسم بأنَّه لا يمكن تحديد ألوفون لفونيم ما، إلا داخل السياق، أو الموقع الصوتي الذي يرد فيه[2]. "وربما كان هذا القسم أسبق في الوجود وأكثر أنصاراً، ويمثله اللغوي الإنجليزي دانيال جونز، الذي يحلل الفونيم إلى أفراد أو أعضاء تسمى ألوفونات، أو تنوعات مشروطة، وهو رأي مارتيني (في أحد رأيين له)، وجوزيف فاشك، وجلسون، وبدوين، وسوداش وغيرهم"[3]. ويوضح الأستاذ محمد جواد النوري بأنه "من الممكن أن توضع في كل لغة، قواعد، من شأنها أن تقوم بعملية تحديد الطابع الفوناتيكي (الصوتي) للألوفون، وذلك بحسب:

1- تمثيله وانتمائه إلى فونيم معين.

2- تعيين البيئة الصوتية السياقية التي يقع فيها"[4].

2- القسم الآخر: "أصحابه يعرفون الفونيم على أنَّه: (تجمع من الملامح التمييزية، مثل: الجهر والوقف والأنفية والاحتكاك)، أو (حزمة من الملامح تتميز عن الحزم الأخرى، أو تجمعات الملامح الأخرى)، أو (سلسلة من الاختيارات الثنائية) أو (الملامح التمييزية المتزامنة الموضوعة في حزمة واحدة) أو (طاقم من الملامح المتزامنة القادرة على التمييز)"[5].

فمكونات الفونيم عندهم هي مجموعة من الخصائص والسمات، التي أطلقوا عليها مصطلح الملامح التمييزية **Distinctive Features** ، وهذه الملامح هي عبارة عن خصائص صوتية يمكن أن تميِّزَ معنى منطوق من معنى منطوق آخر،

([1]) محمد جواد النوري، علم الأصوات العربية، (ص125).

([2]) ينظر: بسام أغبر، الفونيم وتجلياته في القرآن الكريم، (ص35).

([3]) أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، (ص184).

([4]) محمد جواد النوري، علم الأصوات العربية، (ص125).

([5]) أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، (ص185 و186).

وأغلب هذه الخصائص هي خصائص مخرجية، وبعضها خصائص أكوستيكية فيزيائية[1].

ومن الأمثلة على ذلك الكلمات الآتية: ثَلْم، وذَلْم[2]، وظُلْم، ففونيم الثاء في الكلمة الأولى، يتألف من مجموعة من الملامح التمييزية الآتية: أسناني، احتكاكي، مهموس، أمَّا فونيم الذال في الكلمة الثانية، فهو يتألف من مجموعة من الملامح التمييزية، هي: أسناني، احتكاكي، مجهور، وأخيراً فونيم الظاء في الكلمة الثالثة، فإنه يتألف من مجموعة من الملامح التمييزية الآتية: هي: أسناني، احتكاكي، مجهور، مفخم. ففي الكلمات السابقة يوجد تشابه كبير في الملامح التمييزية، ولكن الذي جعل كل فونيم منها (الثاء والذال والظاء) يختلف عن الآخر، هو وجود ملمح واحد على الأقل، مختلف كلياً عن الآخر[3].

"وعلى الرغم من أنَّ هذه الخصائص تعد مكونات للفونيم، من وجهة نظر أصحاب هذا الاتجاه، إلا أنَّه لا يمكن التوصل إليها، في المنطوقات، من خلال تَجْزِئة الفونيم، وإنما يتم التوصل إلى الملمح التمييزي من خلال تبادل مجموعات الملامح بعضها مع بعض، بحيث تختلف مجموعةٌ عن أخرى في هذا الملمح أو ذاك، ومن الجدير بالذكر أن مكونات الفونيم، أي الملامح التمييزية التي يتألف منها، لا تَرِدُ وحدها في المنطوقات الفعلية، وإنما ترِدُ هذه الملامح مصحوبة في العادة، بملامح غير تمييزية **Non-distinctive features** ، وهي ملامح تعبر عن شخصية الناطق، ونوع انفعاله، وغير ذلك"[4].

كانت هذه أهم الآراء والمفاهيم التي يجب أن نتعرف عليها قبل أن نبحث في النظريات والمدارس اللغوية التي تبنت هذه النظرية، **وسنتعرض لثلاثة من أهم هذه النظريات**، وهي: النظرية العقلية (النفسية) ، والنظرية المادية (الفيزيائية)، والنظرية الوظيفية (الفونولوجية).

([1]) ينظر: محمد جواد النوري، علم الأصوات العربية، (ص125).

([2]) ذلم: أي: التهذيب، لسان العرب، مادة (ذ ل م).

([3]) ينظر: بسام أغبر، الفونيم وتجلياته في القرآن الكريم، (ص35 و36).

([4]) محمد جواد النوري، علم الأصوات العربية، (ص125 و126).

1- النظرية العقلية (النفسية):

لقد ظهر من اللغويين من اعتبر الفونيم فكرة تقوم في الذهن، فهي أساساً ذات طابع عقلي تجريدي، ودور المتكلم في تحقيقها هو أنَّه يقوم باستحضارها في عقله، ويحاول أن ينطقها في الكلام، بقدر ما تدرب على النطق في بيئته؛ أي: على أساس السليقة، التي تفترض عدم شعور المتكلم بخصائص لغته عند ممارستها[1].

ويعدُّ العالم اللغوي جان بودوان دي كورتينيه رائداً لهذه المدرسة اللغوية، وهو يعرف الفونيم بأنَّه (الصورة العقلية للصوت)، ويرى بأنَّ الفونيم عبارة عن صوت يتصوَّرُهُ المرء، أو يقصد إليه، وهو يقابل الصوت المنطوق مقابلةَ الظاهرةِ الصوتيةِ النفسية للواقعةِ الصوتية العضوية[2].

"ويستحضر المتكلم هذه الصورة إلى عقله بالإرادة ويحاول بلا وعي أن ينطقها في الكلام، فينجح في بعض الأحوال في تحقيق صورة الصوت بالنطق، ولكنه في أحوال أخرى يخفق، فيستحضر أقرب الأصوات إلى هذه الصورة، وهذا شبيه بنظرية المُثُل عند أفلاطون"[3].

و"تعتبر هذه النظرية الفونيم صوتاً واحداً مثالياً، أو صوتاً نموذجياً يسعى الناطق إلى تحقيقه، غير أنَّه، أي الناطق، يخرجُ، أو ينحرف عن هذا الصوت المثالي أو النموذجي، نظراً لصعوبة إنتاج صورة مطابقة ومكررة لصوت ما من جهة، ونظراً للتأثير الناجم عن الأصوات المجاورة من جهة أخرى"[4].

ولتوضيح ذلك بالمثال: لنفرض أن متكلماً عربياً قد استحضر في ذهنه صورة الفونيم المسمى (نوناً)، فقد ينجح هذا المتكلم في تحقيق هذه الصورة وإبرازها بصورة مادية حينما ينطق النون في مثل (نحن) فهي (أسنانية – لثوية)، ولكنَّه في أماكن

([1]) ينظر: عبد الصبور شاهين، في علم اللغة العام، (ص128).

([2]) ينظر: محمد جواد النوري، علم الأصوات العربية، (ص120).

([3]) تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، د.ط، 1990م، (ص128 و129).

([4]) محمد جواد النوري، علم الأصوات العربية، (ص 120).

أخرى لا ينجح وينطق صوراً أخرى تقترب من هذه النون، وذلك كالنونات في (ينفع) و (انكسر) إلخ"[1].

ولقد نحا (بودوان دي كورتيني) مكتشف هذه النظرية نحواً نفسياً في التفكير فيها، حيث عرّف الفونيم بأنه صورة ذهنية، وفرق لهذا بين نوعين من علم الأصوات، أولهما علم الأصوات العضوي، وثانيهما علم الأصوات النفسي، وجعل الأول لدراسة الأصوات المنطوقة، والثاني لدراسة الأصوات المنوية في النطق، ويفرق بين مجموعتين من الرموز الكتابية الأصواتية، على هذا الأساس أيضاً، أولاهما لكتابة الأصوات المنطوقة، والثانية لكتابة الفونيمات، أو الصور الذهنية، أو الأصوات المنوية في النطق[2].

ومن أصحاب المدرسة النفسية العقلية، اللغوي الأمريكي (سابير) **sapir** فهو في بحث مشهور له يستعمل المصطلح (أصوات مثالية) **ideal sounds** ليعني بها الفونيمات من وجهات النظر العقلية، يقول: (إن هذه الأصوات المثالية التي يكونها الإحساس الفطري بوجود علاقات مهمة بين الأصوات الحقيقية أكثر واقعية وتحققاً بالنسبة للمتكلم العادي من الأصوات الحقيقية نفسها)[3].

"فالفيصل في تمييز الفونيم تبعاً لهذه التحديدات، ليس هو الأساس العضوي، أو الوظيفي، أو النطقي، ولكنه (شعور الجماعة) أو (إحساس المتكلمين)، وهو ما انتقده تروبتسكوي في آراء بودوان وغيره"[4].

وقد رفض طائفة من العلماء هذا التحديد النفسي للفونيم، واعتبروا بأنَّه لا يمكن وصف الفونيم من خلال النظرة العقلية (الذهنية)، بل يمكن ذلك – في كل لغة على حدة– من خلال وظيفتها في التركيب.

([1]) كمال بشر، علم الأصوات، (ص487).

([2]) ينظر: تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، (ص129).

([3]) ينظر: كمال بشر، علم الأصوات، (ص488).

([4]) عبد الصبور شاهين، في علم اللغة العام، (ص131).

وكان من أبرز هؤلاء الرافضين تروبتسكوي وبلومفيلد وتودال، يقول تروبتسكوي: "الذي يبدو أنَّه يعتبر الفونيم أي واحد من الخلافات الصغرى التي تفرق بين الكلمات في المعنى، ويحدد الفونيمات بأنَّها وحدات تشكيلية لا يمكن تقسيمها من وجهة النظر اللغوية إلى عناصر متتابعة أدق، وقال إنَّها علامات مميزة، لا يمكن تعريفها إلا بالرجوع إلى وظيفتها في تركيب كل لغة على حدة، كما يرى بأن الفونيم مجموع الصفات التشكيلية ذات الصلة بالموضوع، ويؤكد بأن الفونيم فكرة لغوية لا نفسية"[1].

وتروبتسكوي بكلامه السابق في هذا النقد يحاول إثبات أمرين: **أولهما:** أن الصوت اللغوي لا يعامل كوحدة مستقلة، وإنما هو عنصر في بناء كلي هو حدث الكلام المستمر المسموع، وذلك انطلاقاً من فكرته القائلة بأن الفونيم يتحدد بوظيفته في التركيب الصوتي المنطوق، لا بذاته. **ثانيهما:** أن العلاقة بين الصوت والفونيم ذات صبغة لغوية، لا يتدخل فيها أي عامل آخر نفسي، كما يرى أتباع المدرسة النفسية، وأننا نستدل على خصائص الصوت الوظيفية بخصائص الفونيم، لا العكس.

ويخلص تروبتسكوي إلى قوله: (إن الفونيم قبل كل شيء مفهوم وظيفي ويجب أن يعرف بالنسبة لوظيفته، وتعريفه لا يمكن أن يتحقق بواسطة المفاهيم النفسية)"[2].

وأهم ما وُجِّه من اعتراضات لهذه النظرية: أنه ليس أمراً سهلاً أن نضع اختبارات عملية لتقعيد مثل هذا (الصوت النموذجي)، كما أن استخدام المنهج النفسي يعني أنَّ اللغوي يُلقي عبء شرح وحدته على فرع آخر من العلم[3].

2- النظرية المادية (الفيزيائية):

ترى هذه المدرسة أنَّ الفونيم عبارة عن عائلة أو أسرة من الأصوات تحقق الشرطين التاليين:

1- أنَّ هناك تشابهاً صوتياً يقوم بين أفراد العائلة الصوتية الواحدة.

([1]) تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، (ص130).

([2]) عبد الصبور شاهين، في علم اللغة العام، (ص129، 130).

([3]) ينظر: أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، (ص177).

2- أنَّ أياً من أفراد هذه العائلة لا يمكن أن يَرِدَ في السياق الصوتي الذي يرد فيه الآخر، ويطلق على هذه الخاصية، كما سنرى، بعد قليل، مصطلح التوزيع التكاملي **Complementary distribution**[1].

ومن أبرز مَن تبنوا هذه النظرية المادية أو الفيزيائية **physical** – بل يعد رائدها- اللغوي الإنجليزي دانيال جونز الذي يقول: "إن نظرية الفونيمات التي قدمتها هي في أساسياتها النظرية الأصلية كما تصورها في السبعينيات من القرن التاسع عشر (جان بوداون دي كورتينيه) ولكنها بسطت بصورة تقريبية على خطوط فيزيائية (كشيء متميز عن السيكولوجية)[2].

وهو يعرف الفونيم بأنَّه "مجموعة أو عائلة من الأصوات، في لغة معينة، متشابهة الخصائص، ومستعملة بطريقة لا تسمح لأحد أعضائها أن يقع في كلمة من الكلمات، في نفس السياق الصوتي الذي يقع فيها الآخر"[3]. ويرى أيضاً أنَّ أحد هذه الأعضاء عضو رئيسي، وأنَّ الأعضاء الأخرى أعضاء تابعة أو تنوعات له، أما سبب تسمية أحدها عضواً رئيساً فقد يكون:

1- كثرة ورود هذا العضو في الاستعمال اللغوي بصورة تفوق بقية الأعضاء.

2- أو لأنه العضو الذي يستعمل وحده منعزلاً عن السياق الفعلي.

3- أو لأنه في الموقع الوسط بين بقية الأعضاء[4].

ومن الأمثلة التي توضح هذه النظرية، نلاحظ أن الفتحة الطويلة في كلمة (صار) تختلف عن الفتحة الطويلة في كلمة (سار)، ففي كلمة (صار) الفتحة طويلة مفخمة، أمَّا في (سار) فهي فتحة طويلة مرققة، إذن فهناك اختلاف صوتي بين الفتحتين، ومع ذلك فإننا نعدهما ألوفونين لفونيم واحد، هو فونيم الفتحة الطويلة.

([1]) ينظر: محمد جواد النوري، علم الأصوات العربية، (ص115).

([2]) ينظر: أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، (ص177).

([3]) Daniel jones, The Phoneme, its Nature and Use, Cambridge, 1962, P:10.

([4]) ينظر: كمال بشر، علم الأصوات، (ص485 و486).

"وهذه الأعضاء، الرئيسي منها والتوابع على السواء، لا تتبادل المواقع الصوتية فيما بينها، فكل عضو خاص ببيئة صوتية معينة، أمَّا الفونيم نفسه فإنه يتبادل المواقع مع الفونيمات الأخرى، فنقول: (داب وراب) أو (قال وقام) فنرى تبادلاً بين الدال والراء في الكلمتين الأوليين، وتبادلاً بين اللام والميم في الكلمتين الأخريين، فالفونيمات هي التي تتبادل، ولكن أفرادها أو أعضاءها لا تتبادل، ومن هنا كان الحكم بأن كلاً من الدال والراء واللام والميم فونيم مستقل، أمَّا أعضاء كل واحد منها فهي تنوعات لها"[1].

وقد ذكرنا فيما سبق أن هذه التنوعات أو التشكلات المختلفة الممكنة للوحدة الصوتية الواحدة أي للفونيم الواحد، تسمى ألوفونات.

ومن المصطلحات البارزة عند أصحاب هذه النظرية، مصطلح (التوزيع التكاملي) **Complementary Distribtion**، "ويقال إن بين صوتين من أصوات اللغة توزيعاً تكاملياً، إذا كان حلولُ أحدهما محل الآخر، في أي سياق يرد فيه، أمراً ممتنعاً، ولقد أفادت المدرسة الفيزيائية من قاعدة التوزيع التكاملي في تحديد مجموعة الألوفونات المنتمية إلى فونيم واحد"[2].

ومن أنصار هذه النظرية أيضاً اللغوي الإنجليزي (جون ليونز)، حيث "طبق مصطلح التوزيع التكاملي على فونيم اللام، وخرج باستنتاج يقول فيه: إن تلك الألوفونات أو الصور الصوتية للفونيم الواحد، لا يمكن أن يحل أحدها مكان الآخر، كما أن هذه الألوفونات لا تغير في معنى الكلمة، وفي ذلك يقول: (وعموماً فما دامت كل أصوات (ل) سواء منها المفخم أم المرقق، فإنها تقع في توزيع تكاملي، فلا يمكن أن تكون في تقابل وظيفي، فهي تناسب الشروط المذكورة التي تحدد الوحدة الصوتية وتحدد التماثل الصوتي والتوزيع التكاملي لها، وتخصَّص على وجه العموم للوحدة الصوتية المفردة، كما تخصَّص لصورها الصوتية أي ما يميزها من الناحية الصوتية،

([1]) كمال بشر، علم الأصوات، (ص486).

([2]) محمد جواد النوري، علم الأصوات العربية، (ص117).

وما يميز أشكالها المختلفة تبعاً للموضع، وهو ما يعد جوهر العناصر الفونولوجية التي يجب أن تكون في تقابل وظيفي في مكان ما على الأقل في النظام اللغوي"[1].

وبناء على ذلك يصبح كل صوت، عنواناً على مجموعة من الصور المنطوقة، وهكذا مضى دانيال جونز في تطويره لنظريته عن الفونيم، وأضاف مصطلحاً جديداً وهو الصوت المزدوج (الديافون) وقد كان يفهم من هذا المصطلح (عائلة من الأصوات يمكنها أن تتبادل الأماكن دون تعديل في معنى الكلمة)، وجعل مدلول الفونيم: (عائلة من الأصوات المزدوجة غير القابلة للتبادل)، وقد سبق أن قلنا: إن لبعض الأصوات صوراً سياقية تتبادل فيما بينها، كصورتي السين في كلمة (بسطة – بصطة)، فهذا عند دانيال جونز (ديافون)[2].

ومن أهم ما وُجِّه لهذه النظرية من نقد صعوبة التحقق من التشابه الصوتي لأفراد (أعضاء) الفونيم في بعض الأحيان؛ لأنَّه قد يصعب أن تحكم ما إذا كان صوتان كلاميان متشابهان أو لا؛ لأنَّ الصوت ذو طبيعة مركبة، فهو قد يكون مشابهاً لصوت آخر في ناحية ومخالفاً في ناحية أخرى[3].

ومن أهم من انتقدوا هذه النظرية الدكتور عبد الصبور شاهين، حيث اعتبر تعريف دانيال جونز للفونيم يحمل نقطة ضعف واضحة؛ لأنَّه يقصر الفونيم على مجموعة الأصوات المتقاربة المحكومة بالسياق الصوتي، كما يرى بأنَّ هذا التصور يصطدم بحقيقة أخرى هي أنَّ الصوت قد يكون ذا صورة واحدة في إدراك الأذن المجردة له، ولكنَّه في الواقع وكما برهن علم الأصوات التجريبي، مجموعة من الأصوات، إذ أن من المستحيل أن ننطق صوتاً معيناً بنفس الطريقة وفي إطار صوتي مختلف[4].

([1]) بسام أغبر، الفونيم وتجلياته في القرآن الكريم، (ص33 و34).

([2]) ينظر: عبد الصبور شاهين، في علم اللغة العام، (ص133).

([3]) ينظر: أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، (ص178).

([4]) ينظر: عبد الصبور شاهين، في علم اللغة العام، (ص132).

3- النظرية الوظيفية (الفونولوجية):

تنطلق هذه المدرسة في تصورها للفونيم، من منطلقات فونولوجية بحتة، لا مادية، كالمدرسة الأولى، ولا نفسية أو ذهنية، كالمدرسة الثانية، وهي تعتمد الأساس الوظيفي في تعريف الفونيم، فالفونيم عند تروبتسكوي – رائد مدرسة براغ اللغوية، وأحد أنصار هذا الاتجاه في دراسة الفونيم- هو (مجموع صفات الصوت التي لها صلة بالفونولوجيا) أو هو: (الوحدة الصغرى التي تقوم بدور في تمييز المعاني) أو هو: (أصغر وحدة فونولوجية في اللغة موضع الدرس)[1].

وكما ذكرنا مسبقاً في نقد تروبتسكوي للنظرية النفسية، فإنَّه "يحدد الفونيمات بأنَّها وحدات تشكيلية لا يمكن تقسيمها من وجهة النظر اللغوية إلى عناصر متتابعة أدق، وقال: إنَّها علامات مميزة، لا يمكن تعريفها إلا بالرجوع إلى وظيفتها في تركيب كل لغة على حدة"[2].

وليس من الممكن فهم هذا التعريف إلا بعرض لمحة عن التحليل الذي قدم له؛ لأن تروبتسكوي يرى أن كل صوت مكون من مجموعة كم العناصر، هي بمجموعها غير قابلة للتجزئة أو التحليل، قال: (من الناحية الصوتية كل (باء) تتمثل في سلسلة من الحركات النطقية: أولاً: تقترب الشفتان إحداهما من الأخرى، بحيث تغلِقان إغلاقاً تاماً المجال الفموي الأمامي، وفي نفس الوقت: يبدأ الوتران الصوتيان في التذبذب، في حين يخترق الهواء الصاعد من الرئتين الفراغ الفموي، ويتجمع خلف عقبة الشفتين، وأخيراً: تزول هذه العقبة تحت ضغط الهواء المندفع، وكل من هذه الحركات مرتبط بأثر سمعي محدد، وأي من هذه الجزئيات السمعية لا يمكن اعتبارها وحدة فونولوجية، لأنها تبدو دائماً كلاً لا يمكن افتراقها فيما بينها مطلقاً، فالباء كلها إذن تعتبر وحدة فونولوجية

([1]) ينظر: محمد جواد النوري، علم الأصوات العربية، (ص121 و122).

([2]) تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، (ص130).

غير قابلة للتحليل، ومن الممكن أن نقول نفس الشيء عن الوحدات الفونولوجية الأخرى[1].

وترى هذه النظرية بأنَّ "كل فونيم في أي كلمة يمكن أن يؤدي وظيفتين، إحداهما إيجابية والأخرى سلبية، أمَّا الأولى فحيث يساعد في تحديد معنى الكلمة التي تحتوي عليه، وأمَّا الثانية فحيث يحتفظ بالفرق بين هذه الكلمة والكلمات الأخرى، وعلى هذا فالفونيم **k** في **call** يقاسم بقية شركائه في أداء الوظيفة الإيجابية وهي الكلام المرتفع المقصود توجيهه للسامع من بعيد، أمَّا الوظيفة السلبية، فتتمثل في حفظ الكلمة مختلفة – مثلاً – عن **tall** و **pall** ...إلخ"[2].

"وينظر بلومفيلد اللغوي الأمريكي المشهور إلى الفونيم بنظرة تكاد تتفق مع رأي تروبتسكوي، يقول بلومفيلد: (الفونيمات هي أصغر وحدات صوتية مميزة)، ويقول أيضاً: (إنَّها أصغر وحدات تقوم بعملية التفريق بين معاني الكلمات)، ويؤكد بلومفيلد أنَّ الفونيمات ليست أصواتاً، ولكنها مجرد صفات صوتية يستطيع المتكلم بالتدريب والخبرة اللغوية أن ينتجها وأن يتعرف عليها في سياق الأصوات الكلامية الحقيقة"[3].

ويبدو أنَّ النظرية الوظيفية للفونيم قد اتخذت أكثر من اتجاه، وكان اتجاه تروبتسكوي وبلومفيلد أبرزها، إلا أنها اشتهرت بآراء أخرى غيرهما[4]:

1- فبعضهم شرح الفونيم مشيراً إلى وظيفته كوحدة مناسبة للتعبير الألفبائي، ومن هؤلاء **F. S. Wingfield** الذي كان معظم اهتمامه في المسائل اللغوية تشكيل هجاء إنجليزي، وهو يعرف الفونيم على أنه (مجموعة من أصوات الكلام متماثلة تقريباً، وبشكل كاف لأن تعالج كوحدة لأغراض ألفبائية).

([1]) ينظر: عبد الصبور شاهين، في علم اللغة العام، (ص122).

([2]) أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، (ص180).

([3]) كمال بشر، علم الأصوات، (ص489).

([4]) أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، (ص179).

2- وآخرون شرحوا الفونيم مشيرين إلى وظيفته الأساسية في التفريق بين المعاني، كقول ترنكا: (هو كل صوت قادر على إيجاد تغيير دلالي)، ومن التعريفات التي قدمت بهذا الخصوص: (أصغر وحدة صوتية، عن طريقها يمكن التفريق بين المعاني).

فأصحاب هذه النظرية بشكل عام وفي مقدمتهم (تروبتسكوي)، يرفضون التفسير النفسي للفونيم، وكذلك يرفضون التفسير الفيزيائي ويرون بأن الفونيم لا يمكن وصفه من خلال عائلة (أسرة) الأصوات التي توضحه، بل من خلال الوظيفة التركيبية في اللغة.

وقد جاءت آراء هذه النظرية مختلفة عن آراء النظرية الفيزيائية "لأنَّها تدخل التفرقة بين المعاني في تعريف الفونيم، وما دام كل من **(k)** و **(q)** لا يفرقان بين المعاني في الإنجليزية، فلا يُعتبران فونيمين مختلفين، ولكنهما يُفرقان بين المعاني في العربية، لذا يجب اعتبارهما فونيمين مختلفين في العربية"[1].

أي أن صوت الكاف **(k)** وصوت القاف **(q)** بما أنهما لا يقومان بإحداث أي تمييز دلالي في اللغة الإنجليزية –لأن النطق واحد لكليهما وهو (كاف) فصوت القاف غير منطوق في الإنجليزية أصلاً–، فهما يعتبران فونيماً واحداً هو فونيم الكاف **(k)**، بينما في العربية، فإن القاف والكاف كلٌ منهما يُحدِثُ تمييزاً دلالياً، فيكون كل واحد منهما فونيماً مستقلاً عن الآخر.

"وكذلك يعدُّ كلٌّ من فونيم الدال، وفونيم الضاد، فونيماً متميزاً في العربية، نظراً لقدرة كل منهما على القيام بدور تمييزي في المعنى، في حين يعدُّ نظيراهما، في اللغة الإنجليزية، فونيماً واحداً، هو فونيم الدال **/d/**، وذلك لأن وجود صفة التفخيم، أو

---

(1) John Lyons, New Horizons in Linguistics, Penguin Books, 1972, P:80.

فقدانها، بين هذين الصوتين في الإنجليزية، لا يؤدي إلى إحداث تمييز دلالي في هذه اللغة"[1].

ومن الواضح أن تروبتسكوي، رغم إصراره على تعريف الفونيم تبعاً لوظيفته، فقد اعتمد على تحديد الجانب العضوي والسمعي في وصفه، وكأنه بذلك يسجل اعترافاً بما ذهب إليه قبله اللغوي الرائد فرديناند ديسوسير، وهذه هي النتيجة التي انتهى إليها تروبتسكوي، وهي توشك أن تجعل من الفونيم وحدة تجريدية، تتحقق ببعض خصائصها في الصورة الصوتية المختلفة، وهو فعلاً ما عبر عنه حين قال: (إن الأصوات المحسوسة التي تبرز في اللغة ليست سوى رموز مادية للفونيمات، وليست هذه الأصوات هي الفونيمات في ذاتها)[2].

هذه النظريات الثلاثة هي الأهم من بين النظريات التي درست وعالجت الفونيم، "وتوجد آراء أخرى، منها: المدرسة التجريدية، التي تعد الفونيمات مستقلة استقلالاً كاملاً عن الخصائص المرتبطة بها، كذلك توجد آراء حول نظرية الفونيم للعالم اللغوي دي سوسير، الذي طالب بالاعتماد على التأثير السمعي للتمييز بين الأصوات، ويبدو ذلك جلياً في قوله: (إن الانطباع السمعي هو أساس أية نظرية صوتية، فالانطباع السمعي له وجود لا شعوري عند المرء يسبق دراسة الوحدات الفونولوجية)"[3].

وفي الحقيقة إن كل هذه النظريات تتوصل في النهاية إلى نتيجة واحدة، ألا وهي أن الفونيم يقوم بوظيفة تمييزية في المعنى والدلالة، حيث يتم تكوين عناصر الدلالة في الجمل من خلال الفونيمات والمورفيمات والسياق ومن ثم الكلمات، ومع ذلك فقد كان لاختلاف هذه المدارس (النظريات) فوائد جمّة، أبرزها تسهيل فهم جوانب اللغة المتعددة مثل النحو والصرف، وكذلك تسهيل تحليل التراكيب اللغوية المختلفة، وصناعة أساسات وقواعد عملية للكتابة الصوتية، وكذلك تسهيل الدراسات اللغوية وتوسيع دائرة البحث فيها.

([1]) محمد جواد النوري، علم الأصوات العربية، (ص 123).

([2]) ينظر: عبد الصبور شاهين، في علم اللغة العام، (ص125).

([3]) بسام أغبر، الفونيم وتجلياته في القرآن الكريم، (ص34).

المبحث الرابع: موقف جون فيرث من الفونيم

شهدت إنجلترا تطورات في بعض جوانب اللسانيات، ولها تاريخٌ طويلٌ في ذلك، ويكتسب الوصف اللساني قدراً من الأهمية عند أمة من الأمم عندما يطوِّر لغة "رسمية" أو قياسية خاصة به من مزيج من استعمالات متضاربة ومتنوعة مما يلاحظ عادة في أية منطقة نعمت بالاستقرار مدة طويلة من الزمن، وقد شاءت الظروف أن تكون إنجلترا في هذه الناحية بالذات، في طليعة أوروبا، أمَّا في المناطق الأخرى فإنَّ اللغات المعاصرة أقرب إلى اللهجات المحلية العامية التي لا تستحق الدراسة الجدية، وقد طورت إنجلترا لغة قياسية متعارفاً عليها في القرن الحادي عشر[1].

ولقد كان لبريطانيا تراث ضخم في مجال الدراسات اللغوية، منذ القرن الحادي عشر الميلادي؛ حيث صب الباحثون كل اهتمامهم على ميكانيزمات الوصف اللغوي الدقيق قصد انتقاء لغة رسمية فصيحة بين اللهجات المستعملة في مختلف أرجاء الجزيرة، وبعد هذا القرن – بعد وضوح اللغة الرسمية– نشطت الدراسات في لندن نشاطاً كبيراً، وقد اتبعت تلك الدراسات في القرن التاسع عشر نهج الدراسات التاريخية المقارنة، محاولة منها مسايرة البحث اللغوي في ألمانيا، ثم انكب جمع من علماء بريطانيا على دراسة الأصوات اللغوية دراسة وصفية موضوعية، ورغم جهودهم إلا أنهم لم يستطيعوا تغيير المنهج المتبع والتيار اللساني العام، إلى أن أتى اللساني الذي أحدث ثورة في التنظير اللساني البريطاني، والحديث هنا عن عالم اللسانيات الإنجليزي جون فيرث **John Firth**[2].

وقد تميزت المدرسة اللغوية الإنجليزية بتوجهين بارزين كان لهما الأثر الأكبر في شهرتها، أما التوجه الأول فهو الدراسات الصوتية الفونولوجية والتي كان رائدها اللساني الإنجليزي دانيال جونز، وأما التوجه الثاني فهو الدراسات الدلالية، والتي كان رائدها اللساني الأبرز في هذه المدرسة وهو جون فيرث صاحب نظرية السياق وهي الأبرز في هذا التوجه.

([1]) ينظر: جيفري سامسون، مدارس اللسانيات التسابق والتطور، (ص225).

([2]) ينظر: إيمان بن حشاني، جهود اللسانيين العرب (تمام حسان نموذجاً)، كلية الآداب واللغات، جامعة بسكرة، د.ط، 2012م، (ص24).

حيث لوحظ الاهتمام الكبير للباحثين الإنجليز في دراسة الأصوات ولكن كانت هذه الدراسات في بداياتها تتميز بالجانب التاريخي، ثمَّ انتقلت بعد ذلك إلى المرحلة العلمية والدراسات الوصفية النظرية والتطبيقية.

"وعلى الرغم من أن اللسانيات الإنجليزية لم تكن ذات منهجية واحدة عند العلماء اللسانيين هناك، فإنَّه يمكن رصد اتجاه عام فيها، ونعني به ذلك الاتجاه الذي اهتم بالأصوات في المجال التطبيقي خاصة، فقد اهتم بإصلاح الإملاء، وتعليم اللغات، وابتكار رموز أبجدية، والبحث عن أنظمة صوتية عامة وجديدة، زيادة على تنظيم اللفظ الصحيح وتعليمه، وعلم المعاجم **(Lexicology)** ، وإصلاح التهجئة، والبحث عن اللغات الفلسفية المصطنعة"[1].

بدأت الدراسات المبكرة لعلماء المدرسة الإنجليزية لمبحث الفونيم عند اللغوي الإنجليزي هنري سويت وتلاميذه، فيرى الدكتور كمال بشر أنَّ "هذا الخط التفكيري في عمومه بالنسبة لجوانب الصوت نلحظه كذلك بصورة ضمنية في الآثار المبكرة لكلٍّ من سويت **Sweet** الإنجليزي، وتلميذه الدانمركي يسبرسن **Jespersen**، كما يظهر ذلك مثلاً في الألفباء الصوتية التي ابتكرها سويت لكتابة اللغة والتي عرفت باسم **Broad Romic Alphabet**، كما يبدو هذا التفكير واضحاً في تلك المناقشات التي أثارها يسبرسن في بحثه **phonetic Grundfragen** (1904)، ولكنَّ الأمر بالنسبة لهذين العالِمين الأخيرن مرَّ هكذا دون أن يتوصلا إلى وضع نظرية أو رسم أو منهج يقتفى من بعدهما للنظر في هذه الجوانب، واكتفى بمعالجة الموضوع كلِّه بأسلوب فوناتيكي صرف **Phonetic not phonological**، على وفق النمط التقليدي السائد آنذاك"[2].

وقد ذكرنا في المبحث الأول من هذا الفصل أنَّ ممن كان لهم الفضل في إبراز مفهوم الفونيم هو اللغوي السويسري **jost winteler**، ويبدو أنَّ آراءه اللغوية قد لاقت قبولاً عند أوائل لغويي المدرسة الإنجليزية، مثل: **Sweet** ، فيرى د. أحمد مختار عمر بأنَّ "**winteler** هو

([1]) يحيى عباينة وآمنة الزعبي، علم اللغة المعاصر مقدمات وتطبيقات، دار الكتاب الثقافي، الأردن، ط1، 2005م، (ص34).

([2]) كمال بشر، علم الأصوات، (ص71 و72).

الذي أثر على **Sweet** في استعماله مصطلح الثنائيات الصغرى **minimal pairs** في اختبار التبادل **commutation test** وفي التفرقة بين الاختلاف التمييزي **distinctive difference** ومجرد التنوعات **variations**"[1].

كما يرى د. أحمد مختار عمر بأنَّ فكرة الفونيم "قدمت إلى مدرسة لندن لأول مرة عام 1911 حين قدمها البروفيسور **L. Scerba** (1880- 1944) من مدرسة لينجراد إلى **Daniel Jones** ثمَّ عرفت في إنجلترا حوالي عام 1916، وقد كانت أول مرة يستعمل فيها جونز مصطلح الفونيم في محاضرة عامة ألقاها عام 1917، ولكن مع الأسف حُذِف من هذه المحاضرة الجزء الخاص بتصوره الفونيميي حين نشرت الجمعية الفلولوجية **Philological Society** محاضر جلساتها"[2].

ومِن الباحثين واللغويين مَنْ يؤكد أنَّ منشأ فكرة الفونيم ككل، كانت من أفكار بدايات مدرسة لندن اللغوية، "ومهما يكن من أمر فقد ظهر الفونيم لأول مرة في القرن التاسع عشر، وقد تمثل ذلك في كتابات كل من هنري سويت **Henry Sweet**، في بريطانيا، وجان بودوان دي كورتينيه في روسيا، ثمَّ ما لبث هذا المفهوم أن انتشر وذاع في مؤلفات كبار اللغويين في القرن العشرين، أمثال: فرديناند دي سوسير، ودانيال جونز **Danial Jones**، وبلومفيلد **Bloomfield**، وغيرهم، وبعد ذلك تعددت الكتابات والبحوث حول مفهوم الفونيم، مما أدَّى إلى تشعُّب وجهات النظر حوله"[3].

ولابد قبل الشروع في بيان موقف جون فيرث من هذه القضية الصوتية (الفونيم) من إلقاء نظرة على اثنين من اللغويين العظماء من أبناء هذه المدرسة، والَّذَيْنِ كان لهما المجهود الأكبر في إبراز هذه القضية.

كما كان لهما أثر كبير على جون فيرث في الجانب الصوتي، حيث درس نتاجهما اللغوي واهتم به اهتماماً كبيراً وتأثر به، لذا كان لزاماً علينا أن نتعرف على أبرز جهودهما

([1]) أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، (ص168).

([2]) المرجع السابق، (ص170).

([3]) محمد جواد النوري، علم الأصوات العربية، (ص114).

اللغوية، وبخاصة الصوتية المتعلقة بالفونيم، وجهودهما ضمن هذه المدرسة في أواخر القرن التاسع عشر وفي القرن العشرين:

1- هنري سويت (1845- 1912م):

"يعتبر هنري سويت في طليعة المهتمين بالدراسات الصوتية، وهو من علماء اللسانيات التاريخية القلائل الذين أنجبتهم بريطانيا في القرن التاسع عشر، لمنافسة اللسانيات التاريخية التي كانت تنمو في ألمانيا، ولكن سويت، على العكس من العلماء الألمان، بنى دراساته التاريخية على فهم مفصل لحركة الأعضاء الصوتية، وكان الفسيولوجيون على وجه الخصوص هم الذين يجرون مثل هذه الأبحاث الصوتية التي تمت في ألمانيا دون الاهتمام بالمسائل اللغوية"[1].

"وقد بدأت جهود هنري سويت في مجال الدراسات الصوتية بداية تاريخية مقارنة، وربط الدراسات التاريخية بالأعضاء الصوتية عند الإنسان، وألف كتاباً في هذا الشأن عنونه بـِ (كتيب علم الأصوات **Handbook of phontics**) ضمنه نظام الكتابة الصوتية **Phonetcs transcription**، كما أسهم في إنشاء نموذج الأبجدية الصوتية العالمية **Alphabet phonetique international (API)** بمشاركة مجموعة من أساتذة اللغة الريطانيين والفرنسيين، وقد أصبح سويت أحد الرواد البارزين في مجال الدراسات الوصفية في بريطانيا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر"[2].

وقد ألف سنة 1877 كتاباً يعد أساساً لكل دراسة لغوية، ومنطلقاً لكل تحليلي لساني، تناول فيه الكتابة الصوتية **Phonetcs transcription** وهو بعنوان **(Handbook of phontics)**[3]. "وكما ذكر تي. سي. أونيونز **T. C. Onions** في قاموس السيرة القومية **Dictionary of National Riography** فإنَّ كتاب (دليل الصوتيات **Handbook of phontics)** الذي

([1]) جيفري سامسون، مدارس اللسانيات التسابق والتطور، (ص226).

([2]) أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، (ص90 و91).

([3]) ينظر: مليكة بلقاسمي، علم الدلالة اللغوي عند جون لاينز، هامش (ص22).

ألفه سويت: علَّمَ أوروبا الصوتيات، وجعل من إنجلترا مهداً لهذا العلم الحديث"[1].

"يقول سويت: إنَّنا أكثر عناية باللغة الحية، وبالدراسة اللغوية الوصفية، ويعدُّ كتاباه: **Primer of Spoken English** (التمهيد في الإنجليزية الملفوظة) و **Handbook of phontics** (الموجز في علم الأصوات اللغوية) على غاية من الأهمية في علم الأصوات اللغوية في القرن التاسع عشر، وقد كتب نحواً للغة الإنجليزية، وفقه لغة لها على طريقته الخاصة"[2].

ولقد كانت الصوتيات عند سويت عملية أكثر منها أكاديمية، حيث أبدى اهتماماً كبيراً بتنظيم الكتابة الصوتية فيما يختص بمشكلات تعليم اللغة وإصلاح التهجئة، فالعنوان الكامل لكتابه دليل الصوتيات يحمل عبارة تقول: (بما في ذلك شرح شعبي لمبادئ الإصلاح الهجائي)[3].

وقد وضع سويت نوعين من الأبجدية الصوتية سُميت أولاهما بالأبجدية الصوتية الواسعة، حيث تمثل الآن ما يُسمَّى بالفونيمات فقط، وسُميت ثانيتهما بالأبجدية الصوتية الضيقة، وتمثل التنوعات الصوتية المختلفة أو الألوفونات، وقد قدّم نظام كتابته الواسع إلى الجمعية الصوتية الدولية فتبنته، وأقامت عليه أبجديتها الصوتية، ولذا فإن **Sweet** يعد بحق أبا الأبجدية الصوتية الدولية"[4].

ومن أبرز الانتقادات التي وجهت لهذا العالم أنَّه لم يستخدم مصطلح الفونيم بصريح العبارة، يقول د. أحمد حساني: "وعلى الرغم من هذه التوجه إلى المدرسة الصوتية الوصفية إلا أن هنري سويت لم يستخدم مصلح **الفونيم (Phoneme)**، وإن كانت أعماله العلمية في مجال الدراسات الصوتية توحي بهذا المفهوم"[5].

([1]) جيفري سامسون، مدارس اللسانيات التسابق والتطور، (ص226).

([2]) محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، (ص340).

([3]) ينظر: جيفري سامسون، مدارس اللسانيات التسابق والتطور، (ص226).

([4]) ينظر: أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، (ص79 و80).

([5]) أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، (ص90 و91).

2- دانيال جونز (1881 – 1967م):

يعتبر دانيال جونز مؤسس المدرسة الصوتية الإنجليزية، وقد درّس مادة الفونولوجيا منذ عام 1907 في معهد الصوتيات بجامعة لندن، ومارس التحليل الفونولوجي على اللغة الإنجليزية، ويعرف بفضله في إضفاء خصوصية على الدراسة الصوتية الإنجليزية من خلال اهتمامه بمجال التحليل النبري الذي لم يحْظَ باهتمام الإنجليز من قبل[1].

وقد اهتم جونز بالأداء النطقي عند الأطفال، وعندما كان مدرساً في جامعة لندن حققت محاضراته نجاحاً فائقاً، وقد أنشأت الجامعة قسم الدراسات الصوتية سنة 1912، وكان أول قسم من نوعه في بريطانيا يترأسه دانيال جونز، وبعد تقاعده ترأس الجمعية الدولية لعلم الأصوات حتى وفاته، وقد واصل الأعمال العلمية التي أسسها هنري سويت في مجال الدراسات الصوتية[2].

"كما عُرف دانيال جونز بضخامة عطائه في مجال الصوتيات والفونولوجيا، وهذا ما تترجمه مؤلفاته المتنوعة التي أنتجها، نذكر منها كتاب **Outline of English phonetics** الذي عرّف فيه بالمدرسة الصوتية الإنجليزية، فذاع صيته لأهميته البالغة، فطبع تسع مرات، وكانت طبعته الأخيرة عام 1918، **وكتابه الذي حدد فيه الفونيم** من حيث طبيعته وتأدياته **(THE PHONEME ITS NATURE AND USE)** عام 1962، كما تعرّض جونز لكيفية التلفظ السليم باللغة الإنجليزية في كتابيه **(THE PRONUNTIATION OF ENGLISH)** أو الآخر المسمى **PHONETC READINGS IN ENGLISH** عام 1956"[3].

"كما أكَّد جونز على أهمية التدريب الواسع في المهارات العملية مثل الإدراك والكتابة الصوتية ونطق الفوارق الدقيقة بين أصوات الكلام، لما لها من أهمية في دراسة اللغة، كما وضع نظام (نقاط القياسات الأساسية) وهي التي يسّرت تدوين

([1]) ينظر: مليكة بلقاسمي، علم الدلالة اللغوي عند جون لاينز، (ص22).

([2]) ينظر: أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، (ص92).

([3]) مليكة بلقاسمي، علم الدلالة اللغوي عند جون لاينز، (ص22).

الصوائت بشكل دقيق ومنتظم، وبفضل التقاليد التي أرسى دعائمها هو وسويت أصبح لتدريب الأذن في الصوتيات دور كبير في المقررات الجامعية في اللسانيات البريطانية"[1].

"وكان أنِ اهتمَّ **(Jones)** بمصطلح الفونيم، وزاد في جوهره، وذلك في الوقت الذي طفت فيه مشكلة الفونيم على سطح الخلاف بين علماء الأصوات، فقد اشتدّ النقاش حول ماهيته وحدوده ومكوناته الجزيئية، وجوانب تطبيقاتها، كما ظهرت عند ملامح ما نسميه الآن الطاقات فوق الفونيمية كالنبر والتنغيم، زيادة على الطاقات المتعلقة بالمقطع والمفصل، وقد تابع في ذلك كله خطى العالم الأول (هنري سويت)"[2].

"وقد جعل دانيال جونز **الفونيم** مرتكَزاً أساساً للكتابة الصوتية الواسعة في مقابل الكتابة الضيقة، وقد اعتمد هذين المصطلحين (الكتابة الواسعة والكتابة الضيقة) اللذين وضعهما هنري سويت سابقاً، ليميز بين الكتابة التقليدية المحددة في الألسن المختلفة، والأبجدية الموسعة التي تحتوي كل الإمكانات النطقية في اللغات الإنسانية، وقد ورد مفهوم الفونيم لاحقاً في مؤلف دانيال جونز: مختصر الصوتيات الإنجليزية **Outline of English phonetics** سنة 1914"[3].

"والتعريف الذي تبناه دانيال جونز للفونيم هو: أسرة من الأصوات – في لغة معينة – متشابهة في الخصائص، ومستعملة بطريقة لا تسمح لأحد أعضائها أن يقع في كلمة، في نفس السياق الصوتي الذي يقع فيه الآخر"[4].

وكُنَّا قد ذكرنا مسبقاً – في المبحث الثاني والثالث من هذا الفصل– أنَّه من الصعب أن ينطق الشخص المتكلم نفس الفونيم دون تغير في حال تعدد نطق

([1]) جيفري سامسون، مدارس اللسانيات التسابق والتطور، (ص 226 و227).

([2]) يحيى عباينة وآمنة الزعبي، علم اللغة المعاصر، (ص35).

([3]) أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، (ص92).

([4]) أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، (ص177).

الشخص في سياقات مختلفة، وبتأثير من اللهجات المختلفة، كنطق القاف همزة عند سكان المدن المتحضرة، وهذا ما أطلق عليه دانيال جونز الديافون.

"وقد لجأ دانيال جونز إلى نظرية الأصوات المجردة (**Les sonsabstraits**)، التي طورها البروفيسور الياباني جمبو (**jimbo**) واللغوي الإنجليزي بالمر – في طوكيو– ، ومقتضى الأخذ بهذه النظرية أنَّهم اعتمدوا على السمات المشتركة التي يسفر عنها أداء الأصوات عدة مرات، رغم الاختلاف في كل مرة، وبذلك تنشأ الفونيمات على أساس من التجريد للعائلة الصوتية، وبذلك يقع دانيال جونز في خطأ هو أنه يعرِّفُ الفونيم بعلاقاته بالصور الصوتية"[1].

كما كان دانيال جونز من أنصار الرأي القائل بتحليل الفونيم إلى أفراد أو أعضاء تسمى ألوفونات، أو تنوعات مشروطة، في حين رأى غيره من لغويي عصره بأن الفونيم كل موحد غير قابل للتحليل[2].

وكان من إنجازاته اقتراح مصطلح جديد في علم الأصوات وهو مصطلح (التونيم) **toneme**[3] لعائلة التنوعات التونية "وكان ذلك في عام 1921، وعرف التونيم بقوله: (هو عائلة من التونات في في لغة تونية معينة تستخدم في أغراض لغوية كما لو كانت شيئاً واحداً، والفروق بينها ترجع إلى محيط آخر)، وسمى كل عضو من أعضاء التونيم (ألوتون) **allotone** ، وذلك على نمط تسمية العائلة من الأصوات فونيم **phoneme**، وكل عضو من أعضائه ألوفون **allophone**، ومع ذلك اعترف جونز بأنَّه من الصعب أو المستحيل أن نحدد تصور التونيم بالنسبة

([1]) أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، (ص177).

([2]) ينظر: المرجع السابق، (ص184).

([3]) ذكرنا في المبحث الثاني من هذا الفصل أنَّ بعضاً من علماء الأصوات اللغوية يطلقون كلمة (تونيم) (من tone بمعنى نغمة) على التنغيم عندما يتخذ وسيلة للتمييز بين المعاني، وقد أخذوا هذا المصطلح عن دانيال جونز، علماً بأن هناك فرقاً بين التونيم والتون؛ فالتون tone ويطلق عليه (النغمة) هو عبارة عن درجات الصوت المختلفة التي تقوم بدورها المميِّز على مستوى (الكلمة) ولذلك تسمى تونات الكلمة، أما التنغيم intonation، فهو عبارة عن درجات الصوت المختلفة التي تقوم بدورها المميز على مستوى (الجملة) أو العبارة أو مجموعة الكلمات. يُنظر: أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، (ص225).

للتون في الكلمات المنفصلة، حيث إنه في اللغات التونية لا يوجد مجموع التونات إلا حيث توجد الكلمات فيي اتصال مع كلمات أخرى"[1].

ونستنتج هنا أنَّ دانيال جونز اعتبر مصطلح التونيم – وهو مرادف للتنغيم عند علماء الأصوات– كأنَّه خارج عن إطار الفونيم، وهذه القضية مختلف فيها عند اللغويين فمنهم من اعتبر التنغيم على اتصال مباشر بالفونيم، وهو عندهم فونيم فوق تركيبي، ومنهم من قصر الفونيم على التحليل الصوتي الداخلي الكلمة، واعتبروا أنَّ التنغيم ظاهرة صوتية خارج إطار الفونيم، وكان دانيال جونز من أنصار هذا الرأي الأخير.

ويبدو أنَّ دانيال جونز كان حريصاً ومهتماً بفكرة الفونيم، وظلَّ يدرسها من جميع الجوانب النظرية، ومن ثمَّ طورها لمرحلة التطبيق، حتى أصبحت على يديه تقريباً نظرية متكاملة، بعد أن وضع لها مفهوماً وحدوداً واضحة، وأدخلها في ميدان التحليل الصوتي، حتى أطلَّ علينا بكتابه المتكامل حول هذه النظرية في عام **1962**م، وهو كتابه ذائع الصيت الفونيم: طبيعته واستخدامه **The Phoneme: Its Nature and Use**.

([1]) أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، (ص228).

جون فيرث والفونيم:

بعد أن تعرفنا على سويت وجونز، يتبين لنا حجم الاهتمام بالجانب الصوتي في المدرسة الإنجليزية، ومن هذا المنطلق أعطى فيرث جزءاً ليس بالبسيط من دراساته لصالح هذا المجال، وصحيح أنَّ آراء جونز وسويت قد أثرت عليه، غير أنَّه لم يكن مجرد ناقل عمن سبقوه؛ بل وضع بصماته الخاصة كما سنرى.

وقد تمثَّلَ فيرث في دراساته في منتصف القرن الماضي المنهج اللغوي التركيبي، وانصرف عن الدراسات التقليدية، حيث تمثل المدرسة التركيبية ثورة على المناهج التقليدية في الدراسة اللغوية، وتتمثل هذه الثورة ابتداء في اختلاف النظرة التركيبية عن التقليدية فيما يتعلق بالمجال الذي يجب أن تتجه إليه النظرة اللغوية في دراسة الظاهرة اللغوية، فبينما تركز المدرسة التقليدية على تحليل كيف وصلت صيغة لغوية معينة إلى أن تُستخدم بالطريقة التي نعرف، وتفسير هذا الأمر تاريخياً أو دلالياً، نجدُّ في مقابل ذلك أنَّ المدرسة التركيبية تحدد مجال الدراسة التركيبية اللغوية على أساس سلوكي، فتجعل السؤال المهم هو: كيف تعمل اللغة فعلاً في الواقع؟[1]

وحدَّدَ الدكتور كمال بشر منهج (فيرث) ومدرسته بدقة وإيجاز بقوله: وإذا كان لنا أن ننعت مدرسة بنعت موجز يشير إلى أبرز خواصها جاز لنا أن نقول بأنَّها (المدرسة الشكلية التركيبية **Formalistic-Structuralistic**) ومعناه أنَّها طريقة من البحث تُعنى في المقام الأول بتسجيل الحقائق اللغوية وفقاً للصور الشكلية، والأنماط الحقيقية للصيغ الكلامية في التركيب، يقال هذا مع أنَّ (فيرث) نفسه ينكر بشدة أنه (تركيبي) بمعنى الانحياز إلى مبادئ **الفونيميين phonemicists**، ولكنَّه في الحقيقة (تركيبي) بالمعنى الذي أرساه دي سوسير، ومصطلح تركيب أو بنية **structure** وما اشتق منه عند فيرث قد ناقشه دي سوسير مناقشة مستفيضة[2].

([1]) ينظر: يحيى عباينة وآمنة الزعبي، علم اللغة المعاصر، (ص31).

([2]) ينظر: محمد عبد العزيز، علم اللغة الحديث، (ص327 و328).

"ويتبوأ فيرث مكانة عظيمة في المدرسة التركيبية الإنجليزية، وله تأثير واضح في الدرس اللغوي العربي الحديث، الذي اشتهر عبر تلامذة المدرسة التركيبية العربية، الذين حصَّلوا علمهم الجديد من بريطانيا في العقد الأول من النصف الثاني للقرن العشرين، وينتسب عدد كبير من أعلام الدرس اللغوي العربي الحديث إلى مدرسة لندن، التي أسسها فيرث، ومنهم: إبراهيم أنيس، وعبد الرحمن أيوب، وتمام حسان، وكمال بشر، ومحمود السعران، وقد انتشر تأثير دراساتهم في الأوساط الأكاديمية العربية انتشاراً كبيراً، لدرجة تستحق معها أن يفرد الباحثون لها دراسات راصدة مستقلة"[1].

"وقد كان لحياة فيرث التي قضاها في الهند أثر كبير في توجُّهه نحو الدراسات الشرقية، إذ إنه قد تأثر بالدراسات اللغوية للعلماء الهنود القدامى، **ولا سيَّما فيما يتعلق بدراسة الفوناتيك** بهدف الوصول إلى فهم عميق للغة، وانطلاقاً من هذا الإطار، فقد اهتمَّ فيرث بقضيتين مهمَّتين، وهما: **الفنولوجيا والدلالة (phonology and Semantics)**، ولكنَّه لم يتحدث عن النحو والصرف **(Syntax and Morphology)** إلا قليلاً، ولعلَّ أهم ما أنجزه فيرث في مجال الفنولوجيا كان ما أطلق عليه التحليل البروسودي، زيادة على نظريته في المعنى، وهما أمران مهمَّان يمثلان أهم التحديات أمام بنائية بلومفيلد **(Bloomfield)**"[2].

وأعلن فيرث بشكل واضح أنَّه قد تأثر واستفاد في تحليله الجديد من عمل (بانيني) النحوي الهندي، والذي تعتبر دراسته للغة السنسكريتية نقطة من النقاط ذات الأهمية الكبيرة التي تأسس بناءً عليها علم اللغة الحديث في أوروبا وأمريكا، حيث أنَّ الهنود من خلال محاولاتهم لتطوير رموزهم الكتابية توصلوا إلى طريقة للدلالة على الأصوات بصورة دقيقة متضمنة ملامح معينة سماها فيرث بروسودات[3].

وقد كان فيرث معارضاً للتحليل الفونيمي التقليدي، ولا يرى حاجة لوجود ما ذكره اللغويون الآخرون من أعضاء أو تنوعات للفونيم، كما يرى بأنَّ كل نظام صوتي في لغة ما،

([1]) يحيى عباينة وآمنة الزعبي، علم اللغة المعاصر، (ص33).

([2]) المرجع السابق، (ص36).

([3]) المرجع السابق، (ص46).

يؤدي عمله بطريقة مغايرة للنظم الصوتية في اللغات الأخرى، وليس هناك حاجة لإسقاط طريقة عمل نظام صوتي ما في لغة على أخرى؛ لأنَّ هذا الأمر يؤدي إلى ظهور الكثير من المشكلات التي نحن في غنى عنها، وقد كان أفضل من غيره حيث قدَّم البديل وهو ما أطلق عليه (التحليل البروسودي) والذي سنتعرف في هذا المبحث، في حين أن الكثير من اللغويين عارضوا، ولكن لم يقدم البدائل إلا قليلٌ منهم.

ولم يكن فيرث وحده الرافض للتحليل التقليدي من مدرسة لندن، "بل إن معظم الرافضين لهذا التحليل، والمهاجمين له، كانوا من مدرسة لندن وعلى رأسهم **Firth** الذي حاول أن يقدم بديلاً عنها كما سنرى، وقد أعلن فيرث في عام 1957 أننا قد أخذنا كفايتنا من التحليل الفونيمي، ومن الفونولوجي التجزيئي، وتنبأ بأن السنوات العشر التالية سترتد إلى التركيب بدل التحليل"[1].

فقد كان من الرافضين لهذه النظرية "اللغوي **Abercromibe** – أحد تلاميذ فيرث – وكانت وجهة نظره التي بنى عليها رفضه للنظرية أنها عرضة لإيقاع الناس في الخلط والاضطراب، حيث تجعلهم يظنون أن الكلام يتم في شكل فونيمات تمثل جزئيات منفصلة، وهو ما لا يحدث، ولهذا يقول: (بعد انتهاء القارئ من قراءة كتاب دانيال جونز: **The phoneme** ربما ساوره بعض الشك في فائدة مصطلح الفونيم، ولكنه قد يكون مقتنعاً بعدم الاستغناء عنه.

ويقول **Firth** ملخصاً سبب رفضه لنظرية الفونيم التقليدية: (نحن لا نجد أي وحدة أو جزء وحدة يمكن أن يسمى (فونيم) بالإضافة إلى أن هناك تحليلات مختلفة – ليست جيدة في رأيي– قد قدمت حول نظرية الفونيم)، ولهذا نجد فيرث في بحث له نشر عام 1948 بعنوان (**Sounds and Prosodies**) نجده يتعمد تجنب كلمة (فونيم) في عنوانه ويفضل عليها كلمة **Sound**"[2].

([1]) أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، (ص166).

([2]) المرجع السابق، (ص167).

كما أكَّد الدكتور كمال بشر "بأن الإنجليز لا ينحازون إلى فكرة الفونيم، ولا يأخذونها في الحسبان، كما لا يستخدمون مصطلحاتها إلا قليلاً وبطريقة عابرة، ويرون أنَّ (الفونولوجيا) بمعناها الواسع جديرة أن تقدم المبادئ والأسس العلمية الدقيقة لدراسة أصوات اللغة"[1].

ولم يكن فيرث وتلاميذه وحدهم الذين رفضوا قبول التحليل الفونيمي كمبدأ أساسي في التحليل اللغوي، بل كان هناك آخرون، مثل تشومسكي الذي " رفض اعتبار التحليل الفونيمي مستوى ذا قيمة للتمثيل اللغوي للجملة، وسبب رفضه أنه ضد الاتجاه القائل إن المتكلمين يتعرفون أولاً على المادة المعجمية التي تكوِّنُ الجمل ويفهمون الجمل من خلال المواد المعجمية وعلاقاتها النحوية، فهو يرى بأن الناطق يفهم الجملة من لحظة إدراكها عن طريق علاقاتها النحوية، ويأتي التحليل لمحتواها المعجمي أمراً ثانوياً"[2].

التحليل البروسودي أو الفونولوجيا التطريزية (prosodic – phonology):

"لقد كان فيرث يرى بأن النظام الصوتي في أي لغة يتكون من مجموعة نُظُم **(polysystemic)** من الاختيارات التبادلية ومن المعنى، لأن هناك تلازماً ما بين الصوت والمعنى، فكل اختيار لصوت ما هو إلا اختيار لمعنى، وكان أكثر ما تميَّز به عمل فيرث الصوتي هو الفونولوجيا التطريزية **prosodic – phonology** "[3].

وقد كثُرت دراسات فيرث وتلاميذه من بعده في موضوع التنغيم، كونه – التنغيم – يُسند نظرية فيرث التي ذكرناها آنفاً حول الاختيارات التبادلية والمعنى، التي تجعل المعنى والصوت مترابطين، فكل استعمال للصوت هو استعمال للمعنى، "وقد حققوا في دراسة التنغيم ما لم يحققه الأمريكيون مهما كان انتماؤهم"[4].

([1]) كمال بشر، علم الأصوات، (ص495).

([2]) أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، (ص236، 237).

([3]) غنية تومي ،السياق اللغوي في الدرس اللساني الحديث، (ص4).

([4]) محمود نحلة، علم اللغة النظامي عند هاليدي، جامعة الإسكندرية، مصر، ط2، 2001م، (ص17).

واستمر فيرث في العمل بهذا النهج –تلازم الصوت والمعنى–، وتعمق فيه أكثر، "إلى أن أسس نظاماً أو فرعاً من فروع الفونولوجيا، يختص بدراسة هذه الظواهر، أسماه الفنولوجيا التطريزية، إنها دراسة تقع تحت مظلة (الفنولوجيا) ولكنَّها ذات نظام خاص **System** ينضم إلى أنظمة فنولوجية أخرى، تطبيقاً لمنهجه المتميز الذي يتمثل بالأخذ بتعدد الأنظمة عند التعامل مع أي مستوى من مستويات اللغة، الصوتية منها والصرفية والنحوية إلخ"[1].

كما كان من الأسباب التي دعت فيرث إلى إيجاد هذا البديل (الفنولوجيا التطريزية) "أنَّه لا يميل أصلاً إلى فكرة الفونيم في عمومها، ولا يروقه التصنيف الثنائي للفونيم على أنَّه نوعان تركيبي وفوق تركيبي، إذ فيه إيحاء بأفضلية أو أهمية صنف دون آخر، كما تشير إلى ذلك المصطلحات التي أطلقت على الصنفين – المسميات المختلفة لأنواع الفونيم والتي ذكرناها مسبقاً – وعنده أن كل الأحداث الصوتية – أساسية أو ثانوية، تركيبية أو فوق تركيبية – لها قيمتها ودورها في سلسلة الكلام، وغياب أي منها يفقد الكلام خصوصيته"[2].

"وكان يرى أنَّ الفونيمات التي سماها الآخرون فونيمات ثانوية، لها أهمية بالغة في الكلام المتصل المنطوق –وليس فقط في الكلمة ذاتها–، إنها تعبر عن حقيقته وما يلفه من ظواهر تنبئ عن خواصه التي تحدد نوعياته وكيفيات أدائه، بطريق علمي دقيق، إنَّها أشبه بالظواهر أو السمات التطريزية التي قد تلحق بالثوب أو تضاف إليه، فتكسبه جودة ودقة، وتجعله أكثر قبولاً"[3].

ويمكن بمثال بسيط شرح الكلام السابق، وهو أن يكون لدينا قماش ثمين ومرتفع الثمن، ولكننا لم نجد صانعاً جيداً يستطيع حياكته ومراعاة خطوطه والتناسق بينها، فينتج لدينا ثوب غير متناسق وغير جميل، وقد يحصل عكس ذلك، فيكون القماش من النوع العادي، غير مرتفع الثمن، ولكن لدينا صانع ممتاز، استطاع أن يضفي عليه الجمال والتناسق ومراعاة الخطوط

([1]) كمال بشر، علم الأصوات، (ص499).

([2]) المرجع السابق، (ص497).

([3]) المرجع السابق، (ص497).

والألوان، وهكذا الفونيمات الثانوية ليست أقل أهمية من الفونيمات الرئيسية، بل قد تزيد أهمية عنها في بعض الأحيان[1].

ومن وجهة نظر فيرث وأصحابه فإنَّه من الأسلم والأدق أن نسمِّي الفونيمات الثانوية باسْمٍ آخر يراعي قيمة هذه الفونيمات ووظائفها، وهو (الظواهر التطريزية)، ولم يقْصُر فيرث هذا الاسم على تلك الظواهر المحدودة التي تكسو المنطوق كلَّه وليس لها ارتباط مباشر ببنيته أو تركيبه مثل النبر والتنغيم إلخ، بل وسَّع من دائرة هذه التسمية، وطبقها على ظواهر أخرى تتعلق ببنية المنطوق ذاتها، كما يحدث أحياناً لبعض عناصر البنية من تغيرات، كنطق بعض الحركات بتدوير الشفاه بصورة أكبر، وكالتناسق بين الحركات، الأمر الذي قد تكون له آثار صرفية ونحوية[2].

فيكون من غير الصواب إذن أن نعتبر المصطلح الذي قصده فيرث بالظواهر التطريزية هو نفسه الفونيمات الثانوية (فوق التركيبية)، بل إن مفهوم فيرث أشمل وأعم، فهو يشمل الفونيمات فوق التركيبية التي عنى بها الآخرون أنها خارج بنية الكلمة، بالإضافة إلى ظواهر أخرى من نفس بنية وتركيب الكلمة أيضاً.

"ويُطلق على الفونولوجيا التطريزية أيضاً الفنولوجيا البروسودية، أو الفنولوجيا العروضية أو التطريز الفنولوجي، ومن أهم مظاهره الفونيمية الفونيم فوق التركيبي، أو البروسودات، أو الفونيم البروسودي، كما يطلق عليه أيضاً الفونيم الثانوي، أو الملامح غير التركيبية، وهي ملامح صوتية غير تركيبية مصاحبة تمتدُّ عبر أطوال متنوعة، وتكون الجزيء أو تتابع الجزيئات التركيبية"[3].

"وقد عرضت الفونولوجيا التطريزية أول عرض منظم سنة 1948م، ثم طورت عند التطبيق على عدد من اللغات – ومنها العربية – في العقد التالي، **ويقوم التحليل التطريزي عند**

([1]) كمال بشر، علم الأصوات، (ص498).

([2]) ينظر: المرجع السابق، (ص498).

([3]) يحيى عباينة وآمنة الزعبي، علم اللغة المعاصر، (ص45).

فيرث على عنصرين أساسيين يختلف بهما اختلافاً بيناً عن التحليل الفونيمي في المدرسة الأمريكية، وهما:

1- الوحدات الفونيماتية **phonematic units** : ويقصد بها وحدات فونولوجية تترتب الأصوات فيها على أساس ما بينها من علاقات قائمة على التعاقب.

2- المَعْلَم التطريزي **prosody** : وهو مَعلَم يتجاوز حدود المقطع الواحد والكلمة الواحدة، ليشمل الجملة أو القول، ومن أنواعه: النبر والتنغيم والوقف والجهارة والإيقاع والطول والسرعة، ومعالم صوتية ثانوية أخرى.

وهذان الاختلافان قد يجمعهما القول بأنَّ النموذج الفونيمي أحادي البعد أو وحيد النظام، أمَّا النموذج التطريزي فهو ثنائي البعد أو متعدد النظام"[1].

وبناءً على هذا الكلام حول التحليل البروسودي، فإنَّه يمكننا أن نعتبر بعض القضايا الصوتية (غير الفونيمية) في اللغة العربية بأنَّها بروسودات أو معالم تطريزية، مثل السكون والروم والإشمام وغيرها من القضايا التي لا يمكن توضيح أساسياتها في النظام الصوتي العربي، أمَّا الأصوات الأساسية فلا يمكن أن نعتبرها بروسودات أو معالم تطريزية، بل هي وحدات فونيماتية بحسب تحليل فيرث، مثل: كلمة (ضارب)، فأصواتها ثابتة ولا يمكن أن تتغير، ولذلك تعتبر وحدات فونيماتية[2].

"ويأتي هذا الجانب من التحليل الفونولوجي في مقابل التحليل الفونيمي (**phonemic analysis**) وفي مقابل نظرية الملامح التمييزية لدى مدرسة براغ، التي اهتمت بالنظام الكلي للغة أكثر من اهتمامها بالتفاصيل والجزئيات، ويطلق على هذه المدرسة بناءً على ذلك اسم المدرسة الفونيمية، ويُذكر أنَّ الفنولوجيا التطريزية هي عنوان مختصر لمنهج من التحليل

([1]) محمود نحلة، علم اللغة النظامي عند هاليدي، (ص17 و18).

([2]) يحيى عباينة وآمنة الزعبي، علم اللغة المعاصر، (ص47).

الفنولوجي يقوم على عنصرين أساسيين في التحليل غير قابلين للاختصار في نموذج واحد مشترك، وهما: الوحدة الفونيمية، والبروسود (الملمح التطريزي)"[1].

وقد لاقى هذا التحيل قبولاً كبيراً عند شريحة واسعة من لغويي العصر الحديث، من أمثال الدكتور كمال بشر الذي فضله على المنهج الأول (المنهج الفونيمي)، بل ودعا إلى الأخذ به، يقول: "وهذا النهج الذي نهجه فيرث هو الأجدر بالاتباع في نظرنا، وإن كان تطبيقه كاملاً على أية لغة يحتاج إلى بحث أو بحوث منفردة"[2].

وبوصف أسهل؛ نجد أن فيرث يميز بين مستويين تظهر فيهما وظائف الصوت في النسق اللساني، المستوى الأول: مستوى الوحدات الصوتية الوظيفية (الفونيماتية)، وهي: الصوامت، والصوائت، والمقاطع الصوتية، والمستوى الثاني: مستوى الوحدات فوق المقطعية، وهي: النبر والتنغيم...إلخ، أي أنَّ هذا المستوى خارج عن النسق المقطعي، فهو يختلف من حالة خطابية إلى أخرى، حسب الأداء النطقي السمعي للسان معين"[3].

"وتنسب البروسودات لتراكيب محدَّدة، وليس لأماكن بين الوحدات الصوتية الفونيماتية (التركيبية)، وهي تؤسس لمعالجة العلاقات الأفقية بين ملامح صوتية معينة، ودورها العام أن توزِّع الملامح الصوتية على البروسودات وليس على الوحدات الفونيماتية، سواء امتدَّت هذه البروسودات على مجمل التركيب، أم على الجزء الأكبر منه، إن كانت محددة فيه موقعياً"[4].

كما أنَّ التحقيق الصوتي للنبر أو النغمة أو غيرها من البروسودات، لا يمكن أن يسبق (أو يتلو) زمنياً التحقُّقَ الصوتي للعناصر الفنولوجية المجاورة له، وإنَّما يكون هذا التحقق متزامناً معها، وانطلاقاً من التحليل البروسودي الذي نتحدَّثُ عنه، فإنَّ التفاعل بين البروسودات والوحدات الفونيماتية يحدِّدُ لفظ شكل معيَّن[5].

([1]) يحيى عباينة وآمنة الزعبي، علم اللغة المعاصر، (ص46).

([2]) كمال بشر، علم الأصوات، (ص499).

([3]) أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، (ص96).

([4]) يحيى عباينة وآمنة الزعبي، علم اللغة المعاصر، (ص47).

([5]) ينظر، المرجع السابق، ص47.

أنواع البروسودات:

ذكر الدكتور أحمد مختار عمر أنَّ **Henderson** وغيره قد قسموا البروسودات إلى خمسة أنواع مستعملين منهج فيرث المذكور، وهذه الأنواع هي[1]:

1- بروسود الجملة: وهو التنغيم.

2- بروسود أجزاء الجملة وتجمعات المقاطع: مثل النبر والطول وتحققاتها بين تتابعات المقاطع.

3- بروسود المقاطع: مثل النبر، والطول، والتغوير[2]، والشفوية الطبقية.

4- بروسود أجزاء المقاطع: النفسية، والالتوائية، والانفجارية، والغلق غير الانفجاري، والاحتكاكية، والشفوية.

5- الوحدات الفونيماتية للسواكن والعلل (أي الأصوات الصامتة والصائتة): مثل الطبقيات، والأسنانيات، والشفتانيات، والعلل المستديرة وغير المستديرة، الأمامية والخلفية، وذلك مثل **m – b – f – s** ...إلخ.

ومع أنَّ فيرث لم يقدم لنا تحديداً واضحاً للبروسود فإنَّ الملامح التي مثَّل له بها مثل: النبر، والتغوير، والشفوية الطبقية، والنفسية...إلخ، تُرَشِّحُ أن يكون مرتبطاً بالبروسود كل ملمح صوتي متصل بأكثر من وحدة فونيماتية واحدة[3].

([1]) أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، (ص241).

([2]) التغوير: أي ارتفاع مقدمة اللسان قليلاً نحو الغار عند نطق أحد الصوامت.

([3]) ينظر: أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، (ص239).

الفرق بين التحليل البروسيدي والتحليل الفونيمي:

يظن بعض اللغويين بأنَّ التحليل البروسودي والتحليل الفونيمي متطابقان، وفي الحقيقة توجد هناك بينهما بعض أوجه الشبه، نظراً للتشارك في عدد من العناصر المكوِّنة لكليهما، ولكن مع ذلك فالخلافات كثيرة وواضحة، وهذه أبرز الخلافات بينهما[1]:

1- التحليل البروسودي يتناول النص بشكل أكبر من التحليل الفونيمي، بصرف النظر عن الاتجاه الذي نبدأ منه، من الأصوات للنحو، وسياق المقام، أم من سياق المقام والرجوع خلفاً إلى الأصوات، وقد وجد فيرث أن المجموعات البروسودية هي التي تميز الجملة وأجزاءها، وبالتالي سيكون من الأفضل في التحليل اللغوي أن نبدأ بالمجموعات البروسودية ثم ننزل للأسفل إلى الوحدات الفونيماتية، وبناء على هذا الرأي وضع **Henderson** أنواع البروسودات التي ذكرناها بالأعلى.
2- ينتج عن النقطة السابقة أنَّ بعض الملامح الصوتية التي تضنف في التحليل الفونيمي كتنوعات ألوفونية للفونيمات، تصنف في التحليل البرسودي كملامح بروسودية لتركيبات نحوية أو فونولوجية أكبر، وهذا يبين لنا الأهمية التي يقدمها التحليل البروسودي للبروسودات، بخلاف التحليل الفونيمي الذي يهتم في المقام الأول بالفونيمات التركيبية.
3- التحليل الفونيمي يعتبر أنَّ الفونيمات التركيبية منعزلة، وهي عبارة عن توالي من الوحدات المنفصلة، وهذا الكلام يرفضه تحليل فيرث الذي يعتبر بأنَّه لا توجد حالة يحتوي فيها الكلام على توالٍ من الوحدات الصوتية المنفصلة التي يتم إنتاجها بقذفات سريعة من أعضاء الكلام.
4- تختلف الوحدة الفونيماتية في تحليل فيرث عن الوحدة الفونيمية في التحليل الفونيمي في أنَّ الأولى تمثل ملامح صوتية أقل من الثانية المقابلة لها، وذلك بسبب رفع بعض الملامح التي تعتبر جزءاً من الفونيم التركيبي في التحليل الفونيمي، وإلحاقها بواحد أو أكثر من البروسودات في التحليل البروسودي.

([1]) أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، (ص240-244).

5- يتهم أصحابُ التحليل الفيرثي أصحاب التحليل الفونيمي بالزيادة والحشو، فهم يرون بأن الاختلافات الصوتية (مثل التنوعات الألوفونية) تعدُّ زيادة على أساس الفرضية القائلة إن الفونولوجي يجب أن يهتم بنظام واحد: وهو التميزات المعجمية التي تسببها الفونيمات، ويرون بأن التقارير التوزيعية التي يقدمها الفونيميون والتي تحدد التنوعات الألوفونية المتنبَّأ بها تبعاً لبيئاتها، هي خطوة خاطئة، لأن علم اللغة لابد أن يبقى علم اللغة، لا أن يتحول إلى منهج لجمع المعلومات.

6- يستبعد التحليل الفونيمي – أو بعض تطبيقاته على الأقل- المعيار النحوي أثناء عمل التقابلات الفونيمية، وهذا في رأي فيرث إهمال للحقيقة أن أي نقطة في اللغة من المفترض أن تعتبر شاهداً على كثير من العلاقات التركيبية والتنظيمية، ولهذا وضع فيرث تحليله الذي يستطيع أن يفسر كل العلاقات التركيبية والتنظيمية في الوحدات اللغوية.

7- تختلف البروسودات عن الفونيمات فوق التركيبية في أن الثانية تعبِّر عن ملامح (كمية) مثل درجة الصوت والنبر والطول، بينما تعبِّر البروسودات عن ملامح (نوعية) مثل الأنفية والتغوير وغيرها.

وقد كان فيرث يرى بأنَّ (التحليل الفونيمي التقليدي) يلزم بشكل كبير لوضع أسس الكتابات الواسعة، ولكن الكتابة أمر، والتحليل الفنولوجي أمرٌ آخر، وليس جيداً في رأيه أن يُطبَّق على التحليل الفنولوجي منهج التحليل الكتابي، ومن هذا المنطلق، كان فيرث يرى أنَّه من الأولى أن يُطلق على الفونيم الوحدة الكتابية"[1].

وبالتالي فإنَّ فيرث قد وجد قصوراً في التحليل الفونيمي، فهو في رأيه لم ينجح في تقديم تحليل فنولوجي مقبول، فأوجد فيرث التحليل البروسودي كبديل رآه مناسباً للتحليل الفنولوجي.

([1]) يحيى عباينة وآمنة الزعبي، علم اللغة المعاصر، (ص47).

انتقادات وُجِّهت لتحليل فيرث:

وقد كان لبعض اللغويين انتقادات لجهود فيرث في الجانب الصوتي بشكل عام، ونظريته في الفونيم بشكل خاص، واعتبروها آراء قليلة أو مشتتة، فعلَّق بعضهم قائلاً: "إنَّ ما نُشِر من أفكار فيرث يعتبر قليلاً نسبياً، ويعيبه أمران: فقدان الوضوح **inexplicitness**، وفقدان التماسك **incoherence**، ولكن فيرث أثَّر في طلابه تأثيراً كبيراً، واستطاعوا من بعده أن يُضْفوا على هذه الأفكار الوضوح والتماسك، ويعيدوا صياغتها بشكل محكم، حتى أُطلق عليهم:(الفيرثيون الجدد – **New Firthians**)"[1].

ومن هؤلاء أيضاً الدكتور أحمد مختار عمر الذي يرى بأنَّ التحليل الُمقَدَّم من مدرسة لندن هو مجرد دوران في حلقة مفرغة، ولا يُقدِّم بديلاً مقنعاً لنظرية الفونيم، ويرى بأن الضجة التي نالها هذا التحليل فيها الكثير من المبالغة، ويبدو – في رأيه – أن الأمر هو محاولة من لغويي مدرسة لندن لتقديم شيء في مقابل التحليل الفونيمي والدراسات الصوتية الأخرى التي قدمها لغويو المدرسة الأمريكية[2].

كما يرى بأنَّ التحليل الفونيمي لو اكتفى بالفونيمات التركيبية ولم يُقدِّم الفونيمات فوق التركيبية لكان تحليل فيرث أفضل منه، ولكن بما أنَّه قد ضمَّ الفونيمات التركيبية وفوق التركيبية فالخلاف بينهما من وجهة نظر د. أحمد مختار هو خلاف شكلي من جهة، وجزئي من جهة أخرى، ونقل الفكرة أو المفهوم من تحليل إلى آخر لا يعد أمراً مهماً، ولا تجعل أحد التحليلين يُفضَّلُ على الآخر، كما يرى بأنَّ حِرْص أتباع منهج فيرث على إبراز الفرق بين منهجهم وأي منهج آخر يعطي شعوراً بأنَّ جل اهتمامهم هو إعطاء انطباع بتفردهم واستقلالهم وتفوقهم على باقي المناهج[3].

كما أنَّ هناك من اللغويين المحدثين مَن قلَّلَ من شأن هذا التحليل إلى حد كبير، مثل الدكتور فوزي الشايب الذي يرى بأن هذا التحليل لا يعدو كونه إلباسَ التحليل الفونيمي لباساً

([1]) محمود نحلة، علم اللغة النظامي عند هاليدي، (ص5).

([2]) ينظر: أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، (ص244).

([3]) ينظر: المرجع السابق، (ص245).

جديداً فقط، فالاختلاف بين التحليلين هو اختلاف شكلي وسطحي، فليس هناك جديد في المضمون[1].

وقد عقَّب **(Dinneen)** على منهج فيرث في التحيل البروسودي قائلاً: "إنَّ الملامح الصوتية التي تلحق بالبروسودات في هذا المنهج تعالَج بوجه عام في التحليل الفونيمي تحت التنوعات الألوفونية للفونيمات التركيبية وفوق التركيبية، كما أنَّها من الممكن أن تعالج وفقاً لاقتراح اللغوي **Harris**، تحت المكونات الطويلة الممتدة، التي تناقش وقوع الملامح الممتدة فونيمياً على امتداد الفونيمات التركيبية المفردة المتتابعة"[2].

كما أنَّ الوحدات الفونيمية في التحليل البروسودي الذي ابتكره فيرث تعالَج تحت المكونات القصيرة وفقاً لاقتراح **Harris**، فالمكونات القصيرة عنده تصف التركيب الصوتي للفونيمات أو لنسبة الألوفون الواحد إلى أكثر من فونيم، ومع ذلك نجد أنَّ أنصار تحليل فيرث يرفضون أن يكون هذا هو نفس ما يقدمه تحليلهم، فالبروسودت عندهم تختلف عن المكوِّنات الطويلة الممتدة لأن البروسودات مرتبطة بالتركيبات النحوية والفنولوجية، في حين أنَّ المكونات الطويلة ليست كذلك[3].

"وإذا تبين لنا بعد هذا أنَّ ما أسماه فيرث بالواحدات الفونيمية يتشابه كثيراً مع مفهوم الفونيم التركيبي، ويتطابق معه في كثير من الجزئيات، فإنَّنا نتساءل: ما سبب كل هذه الضجة؟ وما هو الجديد في التحليل التطريزي؟ ولماذا كل هذه المبالغة في رفع قيمة هذا النوع من التحليل؟"[4]

كما يتساءل بعضهم بأنَّه إذا كان أصحاب تحليل فيرث يعيبون على التحليل الفونيمي التصور القائم على (الأسرة من الأصوات)، فما هو انتقادهم للتصور الآخر القائم على أنَّ

([1]) ينظر: يحيى عباينة وآمنة الزعبي، علم اللغة المعاصر، (ص48).

([2]) أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، (ص245).

([3]) ينظر: يحيى عباينة وآمنة الزعبي، علم اللغة المعاصر، (ص49).

([4]) أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، (ص245).

الفونيم (حزمة من الملامح)؟، ألا يستحق هذا التصور أن يوصف بأنَّه تركيبي – كما هو مذهب فيرث وأصحابه – وليس تجزيئي؟

وقد سبق الرد على هذه الاعتراضات بوجود فروق واضحة بين المنهجين – وإن كان هناك تشابه – عند ذكرنا للاختلافات والفروق بين تحليل فيرث والتحليل الفونيمي، ووجود بعض أوجه الشبه لا يعني استبعاد منهج فيرث أو التقليل من شأنه، ومن الممكن أن نُقِرَّ بأصالة التحليل الفونيمي وجودته، ولكن هذا لا يعني توقف عجلة البحث والتطوير اللغوي عن الدوران لإيجاد ما هو أفضل وأشمل!.

ومع أنَّ فيرث قدَّم للجانب اللغوي دراستين مهمَّتَين هما التحليل التطريزي والنظرية السياقية – التي هي موضع بحثنا في الفصل القادم– إلا أنَّه لم يشغل حيز الاهتمام المطلوب، وقد تجاهله الكثير من لغويي العصر الحديث، وانصرفوا إلى الدراسات الأمريكية، وبخاصة دراسات تشومسكي ونظريته في النحو التوليدي التحويلي، كما تجاهله اللغويون الأمريكان، "بالرغم من أنَّهم أفادوا من بعض جوانب نظريته التطريزية إفادة كبيرة، ويكفي أنَّهم اخترعوا التحليل التطريزي من جديد واضعين له مصطلح الفونولوجيا القطعية الذاتية، من دون الإشارة إلى مصدرها الأصلي وهو جون فيرث"[1].

وأُشير في هذا المقام أيضاً إلى أنَّ فيرث لم يكن الوحيد الذي لم يعجبه التحليل الفونيمي التقليدي، بل تقدم بعض اللغويين بتحليلات أخرى – وإن كان أشهرها تحليل فيرث –، وهذه التحليلات في الحقيقة ليست بدائل بالدرجة التي نتخيلها، بل هي طُرُق جديدة لتطبيق نظرية الفونيم، كان من هؤلاء اللغوي الأمريكي **Harris** ، الذي قدم منهجاً عُرِف بالمكونات المتزامنة، ومنهم الإنجليزي **Abercrombie** – أحد طلاب فيرث– حيث قدم منهجاً عُرِف بالاتجاه البارامتري، ومنهم أيضاً اللغوي **Josef Vachek** الذي قدم منهجاً عُرِف بالوحدة الفونولوجية[2]، وكل هذه المناهج لها ارتباط وثيق بالتحليل الفونيمي وعالجت مفهوم الفونيم بالاستعانة به، ومع ذلك لا يمكن أن نرفضها أو أن ننتقص من قيمتها بحجة أن التحليل

([1]) محمود نحلة، علم اللغة النظامي عند هاليدي، (ص32).

([2]) أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، (ص246) وما بعدها.

الفونيمي كافٍ، أو أنها لم تزِد عليه أموراً مهمة، بل إن مجال البحث والدراسة والتطوير مفتوح للجميع، وليس مقتصراً على من يريد إيجاد منهج جديد لم يُسبق له.

الفصل الثاني:

جهود جون فيرث في علم الدلالة

المبحث الأول: نظرية السياق عند جون فيرث

لقد حصلت نظرية السياق على قسط وافر من البحث والدراسة عند أهل اللغة في العصر الحديث.

وقد كانت النظرة إلى أهمية السياق ودوره في تحديد المعنى موجودة منذ القدم، كما ظهر في كتب الجرجاني (ت471هـ) وابن جني (ت392هـ) وغيرهم، حيث أكدوا على أن اللفظ لوحده لا يمكن أن يُظهِر المعنى، إلا أنَّ نظرية السياق لم تستوِ على سوقها إلا بعد أن عرضها جون فيرث بشكل متكامل ومفصل ، علماً بأنَّ دراسة المعنى في الدرس اللساني الحديث لم تكن حِكراً على جون فيرث في نظريته هذه، بل كانت هناك دراسات أخرى لِلُغويي مدرسته وغيرهم، واشتهر في ذلك أكثر من منهج لغوي غربي يختص بدراسة المعنى، كل منها يرى المعنى برؤية وزاوية مختلفة عن الأخرى، ومن أهمها النظرية الإشارية لصاحبيها "أوجدين" و"رتشاردز" من خلال كتابهما معنى المعنى The Meaning of Meaning، والنظرية التصورية أو العقلية لصاحبها "جون لوك"، والنظرية السلوكية لصاحبها بلومفيلد من خلال كتابِه اللغة (Language)، ونظرية الحقول الدلالية عند دي سوسير.

"إن معنى الكلمة عند أصحاب المدرسة الإنجليزية، –وبشكل خاص فيرث وتلاميذه – هو (استعمالها في اللغة)، أو (الدور الذي تؤديه)، ولهذا **يصرح فيرث** بأن المعنى لا ينكشف إلا من خلال وضع الوحدة اللغوية في سياقها الذي قيلت فيه؛ أي: (تسييق الوحدة اللغوية)، ويقول أصحاب هذه النظرية في شرح وجهة نظرهم: إنَّ معظم الوحدات الدلالية تقع متجاورة مع وحدات أخرى، وإنَّ معاني هذه الوحدات لا يمكن تحديدها ومعرفة المقصود منها إلا بملاحظة الوحدات الأخرى المتجاورة معها، وعلى هذا فدراسة معاني الكلمات تتطلب تحليلاً للسياقات والمواقف التي ترد فيها، ومعنى الكلمة – بناء على هذا الكلام – يتعدل تبعاً لاختلاف السياق الذي تقع فيه"[1].

([1]) أحمد مختار عمر، علم الدلالة، مكتبة عالم الكتب، القاهرة، ط5، 1998م، (ص18 و19).

ومن الواضح أنَّ الذي دفع فيرث إلى التوصل إلى نظرية السياق؛ هو اعتباره أنَّ اللغة بشكل عام، وأصواتها وتراكيبها وجملها بشكل خاص، يجب أن تدرس بشكل دلالي للوصول إلى معانيها، لدرجة جعلت المطلع على كتابات فيرث يرى بأنَّ الباحث في اللغة يجب أن تكون مهمته الأساسية البحث عن تلك المعاني دون غيرها.

"وقد دشن فيرث هذه النظرية (contextual theory) في عام 1935، من خلال المحاضرات التي كان يلقيها في فترة تدريسه في جامعة لندن، واعتُبِرت هذه النظرية هي الإسهام الحقيقي للغويين الإنجليز في مقابل الإسهامات الأوروبية والأمريكية الأخرى، وتُعد خطوة مهمة ومتقدمة في عالم الدرس اللغوي، حيث حاول بها فيرث أن يستعيض عن المذاهب الأخرى في التحليل اللغوي"[1].

علم الدلالة:

إنَّ دراسة علم الدلالة لم تكن مقتصرة على اللغويين فقط، سواء قديماً أو حديثاً، بل كانت ولا زالت مفتوحة أمام كل الميادين، وهذا إن أُكِّدَ فإنَّما يؤكد على الوظيفة الاجتماعية للغة، حيث أكد فيرث وأصحابه أنَّ الأحوال والعوامل الاجتماعية لها الدور الأساس في دراسة علم الدلالة، يقول الدكتور مازن الوعر: "إنَّ الدلاليات أصبحت ملتقى لكل تفكير، بل ملتقى لحقول دراسية عدة، فالفلسفة، وعلم النفس، واللسانيات وغيرها من العلوم لها علاقة مهمة وعميقة بهذا الموضوع، ولكن اهتمامات هذه العلوم بالدلاليات تبقى متشعبة ومختلفة، وذلك لاختلاف المنطلقات النظرية"[2].

وما يهمنا هو الميدان اللغوي، حيث "يُطلق على هذا العلم عدة أسماء في اللغة الإنجليزية أشهرها اسم **Semantics**، أمَّا في اللغة العربية فالبعض يطلق عليه علم الدلالة، والبعض يسميه علم المعنى، مع الانتباه لعدم القول (علم المعاني)؛ لأنَّ الأخير فرع من فروع البلاغة، والبعض يطلق عليه (السيمانتك) أخذاً من الكلمة الإنجليزية.

([1]) ردة الطلحي، دلالة السياق، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، د.ط، 1998م، (ج1/157).

([2]) بيير جيرو، علم الدلالة، ترجمة: د. منذر عياشي، دار طلاس للدراسات والنشر، دمشق، د.ط، 1992م، (ص10).

ويعرفه بعضهم بأنَّه (دراسة المعنى) أو (العلم الذي يدرس المعنى) أو (ذلك الفرع من علم اللغة الذي يتناول نظرية المعنى) أو (ذلك الفرع الذي يدرس الشروط الواجب توافرها في الرمز حتى يكون قادراً على حمل المعنى، علما بأنَّ هذا العلم لا زال برغم كثرة النظريات التي تناولته؛ وبرغم تلاحقها؛ إلا أنَّه لم يُشكِّل نظاماً لغوياً له صفة رسمية عامة، كما هو الحال في الأنظمة اللغوية الأخرى كالنظام الصوتي، والصرفي، والنحوي، وهو بالمجمل – برغم تعدد نظرياته – يهدف إلى دراسة انتظام الدوال اللسانية في الظاهرة اللغوية عموماً، رغم ما يميز بعض اللغات عن بعضها من نواميس نوعية في توليد الدلالات[1].

إنَّ المركز الذي يدور حوله علم الدلالة في الوقت الحاضر هو فكرة (المقام)، وهي الأساس الذي ينبني عليه الشق أو الوجه الاجتماعي للمعنى، وهو الوجه الذي تتمثل فيه العلاقات والأحداث والظروف الاجتماعية التي تسود ساعة أداء (المقال)، ومن المعروف أنَّ قصر المعنى على المستوى الوظيفي (الصوتي والصرفي والنحوي) وعلى المستوى المعجمي أيضاً لا يعطينا إلا (معنى المقال) أو (المعنى الحرفي) أو (معنى ظاهر النص) كما يسميه الأصوليون، وهو معنى فارغ تماماً من محتواه الاجتماعي، منعزل عن القرائن الحالية ذات الأهمية الكبرى في تحديد المعنى[2].

وهذه الفكرة ليست مبتكرة، بل برزت بداياتها منذ قديم الزمان، حيث فطن لها مفسرو القرآن حينما فرّقوا بين ظاهر القرآن وباطنه، فكان فهمهم لهذه النقطة تفريقاً منهم بين المعنى المقالي والمعنى المقامي، والمعنى الدلالي يعتمد على هاتين الدعامتين، فالمعنى المقالي يتكون من المعنى الوظيفي بالإضافة إلى المعنى المعجمي، وأما المعنى المقامي فيتكون من ظروف أداء المقال وهي تشمل القرائن الحالية[3].

([1]) ينظر: ردة الطلحي، دلالة السياق، (ج30/1).

([2]) ينظر: تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، (ص337 و338).

([3]) ينظر: المرجع السابق، (ص339).

الوظيفة الاجتماعية للغة عند فيرث ومدرسته:

إذا كان النشاط الإنساني عموماً يتجلى في الإطار الاجتماعي؛ فإنّ اللغة تقف على رأس هذا النشاط وهذا التجلي، والإطار الاجتماعي هو نسق من العلاقات المستقرة والثابتة، والمتجددة في صلب مؤسسة المجتمع، بحيث تعمل هذه العلاقات على توزيع المراكز وتحديد المهام والمواقع المختلفة بين أفراد المجتمع[1].

ونستطيع أنْ نلاحظ أنَّ معظم الاختلافات الحاصلة بين اللغات تقع في دائرة المنظور الاجتماعي، الذي "يتصف بتمثيل الممارسات الاجتماعية وترميزها"[2]، وبهذا تعتبر اللغة الأداة الأكثر قدرة على تأكيد خصائص المجتمع؛ فهي "العلاقة التي بها يعرف أعضاء الجماعة، والنسب الذي إليه ينتسبون"[3].

وإذا كان علم اللسانيات بشكل عام يقوم على توصيف النشاط اللغوي باعتباره سيرورة تؤدي إلى إنتاج المعنى؛ فإنَّ اللسانيات الاجتماعية تقوم على أخذ الجانب الاجتماعي بعين الاعتبار في فهم آليات إنتاج المعنى وآليات فهمه؛ أي: إنَّ هدفها إدراك الأبعاد اللغوية في السيرورة الاجتماعية، وفي هذا العلم تبرز بنيتان: البنية اللغوية بكل مستوياتها، والبنية الاجتماعية، وهي معنى واسع يشمل: جوانب الحياة الاقتصادية، والسياسية، والثقافية، والأوضاع الاجتماعية[4].

ويرى اللغوي هيدسون بأنَّ هذا النوع من الدراسة له أهمية كبيرة، بل إنَّه يعتبر دراسة اللغة من غير الرجوع إلى السياق الاجتماعي جهداً لا يستحق العناء، ويؤكد باحثون آخرون

([1]) ينظر: خلود العموش، أسمال المحال التجارية دراسة في ضوء علم اللغة الاجتماعي، الجامعة الهاشمية، الأردن، د.ط، 2015م، (ص5).

([2]) بيار أشار، سوسيولوجيا اللغة، ترجمة: عبدالواحد تزّو، مركز عويدات للنشر، بيروت، ط1، 1996، (ص151).

([3]) فندريس، اللّغة، (ص7).

([4]) ينظر: خلود العموش، أسمال المحال التجارية دراسة في ضوء علم اللغة الاجتماعي، (ص9).

على أهمية علم اللغة الاجتماعي في القراءة العميقة للنصوص اللغوية، أو ما نطلق عليه قراءة ما بين السطور؛ حيث تتجلى العلاقات بين المتخاطبين بشكل ساطع[1].

"إنَّ الدراسة الاجتماعية للدلالة تَبعُد بطبيعتها عن الثنائيات التقليدية (ثنائيات دي سوسير، مثل ثنائية الجسد والروح، أو الكلمة والمضمون، حيث إنَّها تعتبر الكلام نوعاً من السلوك الاجتماعي ذا علاقة بعناصر أخرى غير لغوية"[2].

إنَّ من أبرز الأفكار التي يقوم عليها علم اللغة الاجتماعي أنَّ الخِطاب يتشكل على أساس التفاعل بين الأفراد والجماعات، وفي إطار من العلاقات التي تستند إلى مرجعية معرفية واجتماعية متفق عليها بين أفراد المجتمع اللغوي الواحد، ويُبْنى التواصل بين المتكلِّمين على أساس أنَّهم ممثلون اجتماعيون؛ فالمعنى ليس موجوداً من قبل، وإنَّما هو صادر عن تجابه المجموعات الاجتماعية، وبذلك لا تعود الدلالة لغويّة حسب، بل أصبحت ذات بعد براغماتي[3].

ومن الأمور التي يعالجها اللسانيون الاجتماعيون "مشكلة التغيرات اللغوية والتغيرات النحوية وأسبابها في بيئات اجتماعية معينة، مع الأخذ بعين الاعتبار: حالة المتكلم، ونوع الخطاب اللغوي الذي يستعمله، ووظيفة الأفراد المتكلمين والمستمعين، ومستوياتهم"[4].

وتعتبر المعطيات الاجتماعية، بناءً على ما سبق، "أشبه بأداة يستخدمها الباحث اللغوي ليتمكن من تحليل الأشكال اللغوية، ولا بد من تحديد المعطيات الاجتماعية المؤثرة في اللغة،

([1]) ينظر: خلود العموش، أسمال المحال التجارية دراسة في ضوء علم اللغة الاجتماعي، (ص10).

([2]) محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، (ص313).

([3]) ينظر: خلود العموش، أسمال المحال التجارية دراسة في ضوء علم اللغة الاجتماعي، (ص8).

([4]) بوشوك مصطفى، علم اللغة الاجتماعي وتعليم العربية الفصحى، مجلة المدرسة العليا للأساتذة، العدد (4)، الرباط، 1978م، (ص42).

والتي تشكل الإطار الاجتماعي للحدث الكلامي، ومن خلالها يمكن الربط بين الأشكال اللغوية والعناصر الاجتماعية الفعلية"[1].

لقد أكَّد لسانيو المدرسة الإنجليزية عامة وجون فيرث خاصة على الوظيفة الاجتماعية للغة، واعتبروا أنَّ الأحوال والعوامل الاجتماعية لها الدور الأساس في تحديد المعنى، فالعادات والتقاليد مثلاً لها دور مهم في تحديد المعنى المراد من كلام المتكلم، والمتكلم إذا أراد الكلام فإنَّه – وبطريقة لا إرادية – يدمج هذه الأحوال مع المعنى الذي يريده ومع لسانه للخروج بالتراكيب والجمل المرجوة، ويكون الأسلوب الناتج هو محصلة ذلك الدمج.

إنَّ اللغة لا يمكن أن يُختزل مجالُها في الوصف الشكلي الثابت، ولا يمكن أن تُفهم إلا في سياق السلوك الاجتماعي، وقد وضع بعض اللغويين آليات لتحليل الوقائع الاتصالية في المحيط الثقافي الذي تحصل فيه تحليلاً وظيفياً مرتبطاً بالسياق، وهذه الآليات تعتمد على مجموعة من المكونات الاتصالية من أبرزها: المشاركون في الاتصال، والموقف الاتصالي، وصيغة الاتصال، والحدث اللغوي، والموضوع، ووظيفة التفاعل، وتصلح هذه المكونات لأن تكون إطاراً وصفياً للبحوث في الكفاية الاتصالية للمتكلمين في إطار علم اللغة الاجتماعي[2].

ومما يؤكد الوظيفة الاجتماعية للغة، أنَّها ليست فقط أداة للتّعبير ونقل الأفكار من المتكلّم إلى السّامع، بل هناك إلى جانب ذلك هدف مقصود وهو استجابة السامع عند إدراكه كلام المتكلم، فإذا لم تُحدِث اللغةُ استجابةً من السامع، فقد فقدت وظيفتها الأساسية، بناءً على هذا يمكن لنا أن نقول: إنَّ وظيفة اللّغة الرئيسية هي تيسير عمليّة التواصل بن الجماعات الإنسانيّة، ولهذا التواصل ناحيتان: ناحية التعبير **(expression)** وناحية الاستقبال

([1]) مصطفى لطفي، اللغة العربية في إطارها الاجتماعي، معهد الإنماء العربي، بيروت، د.ط، 1976م، (ص47).

([2]) ينظر: خلود العموش، أسمال المحال التجارية دراسة في ضوء علم اللغة الاجتماعي، (ص12).

(**reception**)؛ لأنَّ التواصل – عادة – يكون بين الطرفين، أحدهما المتكلم، والأخر السامع أو القارئ[1].

والفيرثيون العرب أيضاً يؤيدون هذه الوظيفة الاجتماعية، فيرى الدكتور كمال بشر أنَّ دراسة اللغة في إطارها الاجتماعي أمر ضروري؛ لأنَّه لا يمكننا أن نتكلم أو ندرس لغة ما بمعزل أو بشكل مجرد بعيداً عن السياق العام المحيط بالعملية الكلامية؛ لأنَّها ظاهرة اجتماعية تنسب إلى قوم بعينهم، وهؤلاء هم الذين يتواصلون بها ويستخدمونها من أجل تدبير شؤون حياتهم في مجتمعهم الذي يؤثر في اللغة وتؤثر فيه تأثيراً متبادلاً بشكل مستمر، وبالتالي فإذا عزلنا الكلام وأبعدناه عن السياق العام فإنَّنا سنفقد فرصة التفسير الجيد للمعنى[2].

"لقد فتحت اللسانيات الاجتماعية آفاقاً جديدة أمام الباحثين في مجالات متعددة لتناول المنتوج الإنساني من زوايا نظر جديدة، وأعادت النظر في طريقة التعاطي مع قضايا المعنى وفهم الرسائل الكلامية التي تصدر عن الناس"[3].

([1]) ينظر: روح الله صيّادي نجاد، دور السياق اللغويّ في تعليم اللّغة العربيّة للنّاطقين بغيرها، مجلة دراسات في تعليم اللغة العربية وتعلمها، العدد الثالث، جامعة كاشان، إيران، 2018م، (ص114).

([2]) ينظر: يحيى عباينة وآمنة الزعبي، علم اللغة المعاصر، (ص43).

([3]) خلود العموش، أسمال المحال التجارية دراسة في ضوء علم اللغة الاجتماعي، (ص3).

مفهوم السياق:

السياق لغة: من الجذر (س و ق)، والمصدر: (سَوْقاً وسياقاً)، يقول ابن منظور (ت711هـ) في لسان العرب: "السَّوْقُ معروف، ساق الإبل وغيرها يسوقها سوْقاً وسياقاً، وهو سائق وسوّاق، وقد انساقت وتساوقت الإبلُ تساوقاً إذا تتابعت، وفي حديث أم مَعبد: فجاء زوجها يسوقُ أَعْنُزاً ما تساوق؛ أي: ما تتابع، والمُساوقة: المتابعة كأن بعضها يسوق بعضاً"[1].

وقد أكد ابن فارس (ت395هـ) أنَّ "السين والواو والقاف أصلٌ واحد، وهو حدوُ الشيء، يُقال: ساقه يسوقُه سَوقاً، والسَّيِّقة: ما استيق من الدواب، ويقال: سُقت إلى امرأتي صَدَاقها، وأسقته، والسُّوق مشتقة من هذا، لما يُساق إليها من كل شيء والجمع أسواق، والساق للإنسان وغيره والجمعُ سوق، وإنما سميت بذلك لأن الماشي ينساق عليها"[2].

قال الزمخشري (ت538هـ) في أساس البلاغة: "هو يسوق الحديث أحسن سياق، وإليك يُساق الحديث، وهذا الكلام مساقُه إلى كذا، وجئتك بالحديث على سَوْقِه: أي على سرده"[3].

السياق اصطلاحاً:

لقد كان السياق مثار اهتام وجدلٍ في الدراسات اللغويّة الحديثة، وهو في الدراسات الحديثة من المصطلحات العصيّة على التحديد الدقيق، يتكوّن هذا المصطلح من السابقة اللاتينيّة cun بمعنى مع، وtextus اللاتينية أيضاً والتي تعني النص أو المتن، وقد قصر صاحب معجم المصطلحات الأدبيّة ترجمة المصطلح في القرينة الحاليّة دون الالتفات إلى المستويات السياقيّة الأخرى، وبذلك ينحصر – عنده – في السياق الخارجي، ويتبيَّنُ فيما

([1]) ابن منظور، لسان العرب، مادة (سوق).

([2]) ابن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، مطبعة مصطفى الحلبي، القاهرة، ط2، 1392هـ، (ج3/177).

([3]) جار الله الزمخشري، أساس البلاغة، ضبط وشرح: محمد نبيل طريفي، دار صادر، بيروت، ط1، 2009م، (ص316).

سبق أنَّ السياق في الاصطلاح (هو الّذي يساعد في كشف معنى الكلمة نتيجة الوضع المتّفق عليه بين المتكلّم والسامع)، أو بعبارة أدقّ نستطيع أن نقول: إنَّ السياق هو ما يحيط بالنّصّ من عوامل داخليّة أو خارجيّة لها أثرٌ في فهمه، والجوّ الّذي نزل فيه النصّ وجرت فيه المحادثة[1].

والسياق اصطلاحاً بشكل أشمل: يقصد به "البيئة اللغوية التي تحيط بصوت، أو فونيم، أو مورفيم، أو كلمة، أو جملة"[2].

ويؤكد مايكل هاليدي بأن السياق "هو النص الآخَر، أو هو النص المصاحب للنص الظاهر، وهو بمثابة الجسر الذي يربط التمثيل اللغوي ببيئته الخارجية"[3].

وقد فرق اللغويون بين مصطلحين: (context) ويتضمن الدلالات الخارجية، وإنتاج النصوص واستقبالها، و (co– text) ويتضمن مكونات نحوية ودلالات داخلية وصرف وأصوات، وهذا التفريق بين نوعين من السياق هما (السياق اللغوي والسياق غير اللغوي) هو الذي كان مركز الدراسة عند النظرية السياقية أو (نظرية فيرث)، حيث أصبح تناول المعنى يعني تناولاً لهذين الجانبين، والأول (السياق اللغوي) يُطلَق عليه أيضاً (سياق النص)، والثاني (السياق غير اللغوي) يُطلق عليه أيضاً (سياق الموقف)، أو (سياق الحال) أو (سياق الثقافة)[4].

([1]) ينظر: روح الله صيّادي نجاد، دور السياق اللغويّ في تعليم اللّغة العربيّة للنّاطقين بغيرها، (ص117).

([2]) محمد علي الخولي، معجم علم اللغة النظري، (ص156).

([3]) يوسف عوض، علم النص ونظرية الترجمة، دار الثقة للنشر والتوزيع، السعودية، ط1، 1410هـ، (ص29).

([4]) ينظر: ردة الطلحي، دلالة السياق، (ص40 و41).

ومع كل هذه الشهرة وكل الدراسات التي تناولت السياق؛ إلا أن هذا المصطلح من المصطلحات التي لم تجد تحديداً دقيقاً وتوافقياً بين تلك الدراسات، وإن كان يمثل نظرية دلالية من أكثر نظريات علم الدلالة (Semantics) تماسكاً وأضبطها منهجاً[1].

حدود السياق:

اتضح لنا بأنَّ السياق هو النظام اللفظي للكلمة، بالإضافة إلى البيئة المحيطة بالعنصر اللغوي، وهذا العنصر اللغوي قد يكون صغيراً جداً كالصوت المفرد، وقد يبلغ في الكبر ليصل إلى الجملة أو ما هو أكبر منها وهو النص، فالذي يُميز حدود السياق هو العنصر موضع التحليل، فإن كان العنصر المطلوب دراسته هو الفونيم مثلاً، فتكون أمامنا أقل حدود للسياق، وهو الكلمة بشكل عام، وإذا كان العنصر المراد تحليله هو (الكلمة)، فإن حدود السياق تكبر قليلاً لتتصل بما هو أكبر من الكلمة، وهي الجملة، وحين نود تحليل الجملة، فإن حدود السياق تكبر لتصل إلى (النص) بشكل عام، وقد يكون فقرة أو عدة فقرات، وإن التحليل اللغوي الدلالي الذي يتخذ الكلمة والجملة موضوعاً له، لا بدَّ من أن تتداخل فيه العوامل الخارجية أو ما سُمي بسياق الحال أو سياق الموقف، بسبب ارتباط الكلمات والجمل بالعلاقات الخارجية، وأقل ما يمكن أن يكون من تلك العلاقات علاقة الصدق والكذب تجاه ذلك الخارج، وبالتالي يتضح بأنَّ العنصر موضع التحليل هو الذي يحدد حجم السياق المعتبر.

السياق عند اللغويين العرب:

من خلال البحث والتقصي في تراثنا القديم، يتضح لأيٍّ باحث أنَّ هناك تصورات للسياق في الدرس اللغوي العربي عند لغوييننا الأوائل، حيث اجتهدوا في البحث في قضية اللفظ والمعنى، والروابط الطبيعية بينهما، وحامت جهود كبيرة من علماء العربية حول هذه القضية، وقد كانت هذه التصورات هي حجر الأساس لنظرية السياق، وهي بداية الطريق

([1]) ينظر: محمد يوسف حبلص، البحث الدلالي عند الأصوليين، مكتبة عالم الكتب، السعودية، ط1، 1991م، (ص28).

الذي واصل اللغويون تعبيده حتى اختتم به فيرث المرحلة الأخيرة بضبط أسسه وتفاصيله وإظهاره بصورة متكاملة بهية.

وحين قال البلاغيون: (لكل مقام مقال) فقد وقعوا على عبارة من جوامع الكلم، تصدق على دراسة المعنى في كل اللغات، وليس فقط في العربية الفصحى، وتصلح للتطبيق في إطار كل الثقافات على حد سواء، وقد سبقوا بهذه المقولة مالينوفيسكي – الذي صاغ مصطلحه الشهير Context of situation – بما يزيد عن ألف سنة، حيث عرفوا هذا المفهوم وسجلوه في كتبهم تحت اصطلاح (المقام)، ولكن كتبهم هذه لم تلقَ من الدعاية على المستوى العالمي ما لقيه اصطلاح مالينوفيسكي، نظراً لانتشار نفوذ العالم الغربي في كل الاتجاهات وبراعة الدعاية الغربية[1].

ومن الجدير بالذكر أنَّ تركيز نحاتِنا الأوائل كان يتمحور حول قواعد اللغة التي تعمل على تشكيل الكلام اللغوي المقول، وأصول الجواز وعدمه في أحكام تلك القواعد؛ أي كان جهدهم تجريدياً يهدف إلى صياغة وتعليم تلك القواعد، ومع ذلك لم يتركوا الجانب السياقي، في حين كان تركيز البلاغيين على جانب المقام آخذين من قواعد النحاة منطلقاً لهم ليصلوا إلى المعاني الناتجة عن مقتضى المقام، وأبدعوا في ذلك من خلال علوم البلاغة المختلفة (المعاني والبيان والبديع).

ومع أنَّ مالينوفيسكي وجون فيرث هما مؤسسا السياق في العصر الحديث؛ إلا أنَّ نحاتَنا قد سبقوهما في قولهم: (الإعراب فرع المعنى)؛ فهذه العبارة أيضاً واحدة من جوامع الكلم التي انطلق بها نحاة العرب في التحليل الإعرابي، وكل تحليل عندهم لا يكون إلا بفهم المعنى الوظيفي لكل مبنى من خلال السياق، ويَنتُج لدينا المعنى الدلالي العام من خلال عناصر ثلاثة، هي المعنى الوظيفي، والمعنى المعجمي، والسياق[2].

([1]) ينظر: تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، د.ط، 1994م، (ص373).

([2]) ينظر: المرجع السابق، (ص373).

"والحقُّ أنَّ أئمة النظرية النحوية العربية كانوا يفزعون إلى سياق الحال الذي يفعل في تشكيل المعنى، أو ترجيح واحد، أو نفي آخر، ومن ذلك التفاتهم إلى لغة الجسم، واستشراف المسكوت عنه من المنطوق به، وطبقة المتكلم الاجتماعية، ولعلَّ هذا كلَّه يفضي إلى التقرير بأنَّ النظرية النحوية العربية لم تكن محض قوالب جامدة كما زُعِم أو يُزعَم، أو تراكيب منفصلة عن ملابسات الحال والظروف الخارجية، فقد التمس النحويون معانيَ قد سُكِت عنها مما نُطِق به، أو معانيَ لو حملناها على ظاهر أمرها لكان المعنى المفهوم منها بالعكس، كل ذلك مردُّه إلى التنبه للدرس اللغوي الاجتماعي، وإلى أنَّ هذه اللغة، أو تلك التراكيب، لها سياق اجتماعي يلفها"[1].

ومن هؤلاء الأوائل ابن جني (ت392هـ) الذي انتبه إلى أهمية ودور الظروف التي حول المتكلم في بيان الدلالة، وبين أنَّ مَن يريد تحديد المعنى يجب عليه أن يكون على علم بالظروف التي تحيط بالكلام، ويجب أن يجمع بين السامع والظروف التي تنوب عن المشاهدة والحضور[2]، وذكر ابن جني مثالاً على أهمية التعرف على سياق الحال فيقول: "رفع عقيرته، إذا رفع صوته، وإنَّما هو أنَّ رجلاً قطعت إحدى رجليه فرفعها ووضعها على الأخرى، ثمَّ نادى وصرخ بأعلى صوته، فقال الناس: رفع عقيرته؛ أي: رجله المعقورة، ألا تستفيد بتلك المشاهدة وذلك الحضور، ما لا تؤديه الحكايات، ولا تضبطه الروايات"[3].

كما أنَّ إمام البلاغة العربية عبد القاهر الجرجاني تحدث عن السياق من خلال نظريته المشهورة (نظرية النظم)، والتي تلتقي بشكل كبير مع نظرية السياق عند فيرث، فالجرجاني يعرف النظم بأنَّه: "تعلُّق الكلم بعضها ببعض، وجعل بعضها سبباً من بعض"[4]،

([1]) مهدي أسعد عرار، التراكيب النحوية في ضوء مدرسة السياق، مجلة اللغة العربية والترجمة، العدد الرابع والعشرين، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2015م، (ص1).

([2]) ينظر: عبده الراجحي، فقه اللغة في الكتب العربية، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 1979م، (ص16).

([3]) عثمان ابن جني، الخصائص، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2003م، (ج262/1).

([4]) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1، د.ت، (ص15).

ويقول: "اعلم أنَّ النظم ليس إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نُهجت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخل بشيء منها"[1].

وأمَّا اللغويون العرب في العصر الحديث، فهناك طائفة منهم درسوا السياق وكانوا من أصحاب منهج فيرث ومن المؤيدين لآرائه، وهم تلامذته في الأصل، فمنهم من درس مباشرة على يديه ومنهم من تأثر بقراءة كتبه، ومن أشهر هؤلاء الدكتور تمام حسان في كتابه (اللغة العربية معناها ومبناها)، والدكتور كمال بشر في كتابه (دراسات في علم اللغة)، والدكتور محمود السعران في كتابه (علم اللغة مقدمة للقارئ العربي)، ومؤلفات أخرى كثيرة لهؤلاء اللغويين أنفسهم ولغيرهم.

فقد كانت فكرة المقام التي عرضها تمام حسان في كتابه (اللغة العربية معناها ومبناها) قد أخذها عن أستاذه فيرث، وهي عند فيرث باسم (سياق الحال) والذي يقصد به: مجموع الظروف التي تحيط بالكلام؛ أي: إنَّ تحديد المعنى المرجو لا يتم إلا من خلال معرفة هذه الظروف[2].

السياق عند اللغويين الغرب:

اهتم اللغويون الغرب بالسياق وتناولوه في أبحاثهم من جوانب متعددة، وكان من أبرزهم (مالينوفيسكي)، الذي درس عدداً من اللغات البدائية في جزر تروبرياند، وكان يواجه في أثناء عمله مجموعة من التحديات في ترجمة النصوص، ولم ينجح في الوصول إلى ترجمات مقنعة لها، وتوصل إلى أنَّه لن يستطيع معرفة معناها إلا إذا عرف الحال التي كان عليها المتكلم في الوقت الذي نطق بها[3].

([1]) المرجع السابق، (ص70).

([2]) ينظر: عبده الراجحي، فقه اللغة في الكتب العربية، (ص167).

([3]) بالمر ف. ر، علم الدلالة إطار جديد، ترجمة: صبري السيد، دار المعرفة الجامعية، مصر، ط1، 1999م، (ص74).

وقد كان مالينوفيسكي هو أول من استعمل مصطلح سياق الحال Context of situation ويعني هذا المصطلح "الموقف الفعلي الذي حدث فيه الكلام، ولكنه يوصِل إلى نظرة أوسع للسياق تشمل الخلفية الثقافية التي وضع الحدث الكلامي بإزائها"[1].

وكان منهم أيضاً اللغوي الفرنسي (فندريس) الذي تناول سياق المقال، يقول في كتابه المشهور (اللغة): "إنَّنا عندما نقول بأنَّ لإحدى الكلمات أكثر من معنى واحد في وقت واحد، نكون ضحايا الخداع إلى حد ما؛ إذ لا يطفو في الشعور من المعاني المختلفة التي تدل عليها إحدى الكلمات إلا المعنى الذي يعنيه سياق النص، أمَّا المعاني الأخرى جميعها فتختفي وتتبدد، ولا توجد إطلاقاً، فلا تتعدد المعاني للكلمة؛ لأنَّ داخل السياق يعطيها معنى واحداً لا غير"[2].

وقد نبَّه فندريس على أهمية السياق في التحليل اللغوي، من خلال عدة نقاط نختصرها في ما يأتي[3]:

1- السياق: هو الذي يعين قيمة الكلمة.
2- السياق: هو الذي يفرض قيمة واحدة بعينها على الكلمة، بالرغم من المعاني المتعددة التي يمكن أن تحتملها.
3- السياق: هو الذي يخلص الكلمة من الدلالات الماضية التي قد تتراكم في الذاكرة، وهو الذي يصنع للكلمة قيمة حضورية.
4- السياق: هو الذي يحدد المعنى المناسب للكلمة مع إبعاد أي معان ذهنية مرتبطة بهذه الكلمة بدون السياق.

يقول فندريس: "إنَّ الذي يعين قيمة الكلمة في مختلف الحالات هو السياق، إذ إنَّ الكلمة توجد في كل مرة تستعمل فيها في جو يحدد معناها تحديداً مؤقتاً، والسياق هو الذي

([1]) محمد شكري عياد، معجم المصطلحات اللغوية والأدبية، دار المريخ للنشر، الرياض، ط1، 1984م، (ص56).

([2]) فندريس، اللغة، (ص 228).

([3]) المرجع السابق، (ص231 و232).

يفرض قيمة واحدة بعينها على الكلمة، بالرغم من المعاني المتعددة التي بوسعها أن تدل عليها"[1].

كما كان (ستيفن أولمان) من بين الباحثين في هذا الجانب، حيث انتبه لأهمية السياق في فهم النصوص اللغوية، إلا أنَّه نبَّه إلى مبالغة بعض الآراء القائلة بأن الكلمة ليس لها معنى أبداً إلا إذا انتمت إلى السياق، وقد حدد مفهوم السياق بأنَّه يجب ألا يقتصر على الكلمات والجمل الحقيقية، بل يضم القطعة كلها والكتاب كله، كما يجب أن يضم كل ما له علاقة بالكلمة من ظروف وملابسات وعناصر غير لغوية متعلقة بالمقام الذي تنطق فيه الكلمة، كل هذه الأمور لها أهميتها الكبيرة في هذا الشأن، ويرى بأنَّ هذه العوامل لو تمَّ تطبيقها على السياق بدقة، لاستطعنا التخلص من الكثير من الاقتباسات والترجمات والتفسيرات الخاطئة[2].

ويرى بأنَّ هذه النظرية تمثل حجر الأساس في علم المعنى، وأنَّها قد قادت بالفعل إلى الحصول على مجموعة من النتائج الباهرة في هذا الشأن، فقد قدمت وسائل فنية حديثة لتحديد معاني الكلمات، فمعظم كلماتنا تقريباً تحتاج إلى بعض الإيضاح الذي نستمده من السياق الحقيقي، سواء كان هذا السياق لفظياً أم غير لفظي، فالحقائق الإضافية المستمدة من السياق تحدد الصور الأسلوبية للكلمة، كما تعتبر ضرورية في تفسير ما يعرف في اللغة بالمشترك اللفظي[3].

وكان اللغوي البريطاني مايكل هاليدي من بين أهم من تناولوا قضية السياق بالبحث والتحليل، إذ يقول: "إنَّ السياق جزء من التخطيط الكلي، ليس هناك انفصال بين ماذا نقول

([1]) فندريس، اللغة، (ص231).

([2]) ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، تر: كمال بشر، مكتبة الشباب، القاهرة، ط3، 1972، (ص55).

([3]) ينظر: المرجع السابق، (ص32).

وكيف نقول، اللغة إنما تكون لغة عن طريق الاستعمال في سياق الحال، وكل ما فيها مرتبط بالسياق"[1].

ومن الأمور التي وضع هاليدي لمساته عليها في نظرية السياق هي سياق المقام، حيث اعتبر فكرة (سياق المقام) تتكون من ثلاثة عناصر هي: المجال، والنوع أو الوسيلة، والمشتركون في الخطاب، وهي تقابل عنده المكونات الوظائفية للنظام المعنوي وهي: المكون الفكروي والعلائقي، والنصاني[2].

المعنى عند جون فيرث:

لقد اعتمد فيرث في بناء نظريته السياقية على ما توصل إليه العالم الأنثروبولوجي البولندي مالينوفيسكي (Malinowsky) "1884–1942" في دراسة المعنى، حيث كان مالينوفيسكي أستاذاً في الأنثروبولوجيا في مدرسة لندن للعلوم الاقتصادية في بريطانيا منذ عام 1927، وكان يرى بأنَّ اللغة بحسب ممارستها بين أصحابها إنما هي نوع من السلوك، وضرب من ضروب العمل، وليست مجرد طريقة من طرق توصيل الأفكار أو الانفعالات أو التعبير عنها ونقلها[3].

وانتبه مالينوفيسكي إلى هذا الأمر حين أخطأ في ترجمة النصوص التي سجلها لسكان جزيرة تروبرياند، وتأكد بأنَّه لن يستطيع ترجمة الكثير من العبارات في لغتهم إلى الإنجليزية بشكل حرفي، وخاصة العبارات التي تتعلق بالجانب الديني أو الثقافي، وعندما حاول أن يحل هذه المشكلة وجد نفسه على أعتاب نظريته في المعنى، وقد اهتمَّ مالينوفيسكي بالبحث عن أسباب فشله في تقديم تلك الترجمة، فاتَّضح له أنَّ الترجمة ستكون سليمة وناجحة إذا تمَّ وضع النصوص في نفس السياق التي قيلت فيه، ومن هنا أطلق على هذه القضية ما يعرف بسياق الحال Context of situation، وهي عنده الطريقة التي

([1]) يحيى أحمد، الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة، مجلة عالم الفكر، العدد الثالث، المجلس الوطني للثقافة، الكويت، 1989م، (ص84).

([2]) ينظر: أحمد عماش، جهود هاليدي في الاتجاه الوظيفي، (ص7).

([3]) ينظر: يحيى عباينة وآمنة الزعبي، علم اللغة المعاصر، (ص36).

يجب أن تُدرَس بها معاني اللغة؛ لذا فقد اعتبر المعطيات الاجتماعية بمثابة الخلفية التي يجب العودة إليها لمعرفة المقصود من الكلمات التي قد تحتمل عدة معان[1].

"إن دراسات مالينوفيسكي قد أدَّت به إلى نظرات قيمة في اللغة فيما يتعلق بدراسة (الكلام الحي) على وجه الخصوص، فقد توصل إلى أنَّ اللغة ليست كما يراها التعريف التقليدي على أنَّها وسيلة لإيصال الأفكار والانفعالات أو التعبير عنها، فهذه الأمور لا تعدو أن تكون وظيفة واحدة من وظائف اللغة، فاللغة كما يمارسها المتكلمون في أي جماعة من الجماعات تؤدي وظائف كثيرة غير التوصيل"[2].

يقول مالينوفيسكي: "إنَّ اللغة في جوهرها متأصلة في حقيقة الثقافة ونظم الحياة والعبارات عند كل مجتمع، ولا يمكن إيضاح اللغة إلا بالرجوع المستمر إلى المحيط الأكبر، وهو الظروف التي يتم فيها الكلام"[3].

أما بالنسبة لفيرث؛ فإنَّه لم يقتصر على رؤية مالينوفيسكي في مفهوم سياق الحال، بل قام باستثمارها من منظور لغوي أوسع على مستوى التنظير والتطبيق، يختلف عن نظرة مالينوفيسكي الأنثروبولوجية التي حددها باللغات البدائية، وبعد ذلك أصبح مفهوم السياق يرتكز على الفونولوجية الصوتية التطريزية التي أسسها فيرث، منطلقاً من إيمانه بحتمية الترابط الصوتي بين الصوت والمعنى، فضلاً عن توظيف السياق في دراسة مستويات اللغة الأخرى المعجمية والصرفية والنحوية والدلالية، وكلها مجتمعة تؤدي إلى الوصول لما أطلق عليه فيرث (المعنى السياقي)[4].

والمعنى السياقي في الدراسات اللغوية الحديثة، يطلق عليه أيضاً المعنى الاجتماعي، أو المعنى المقامي، وهو معنى نستنتجه من خلال القرائن اللغوية (السياق

([1]) ينظر: يحيى عباينة وآمنة الزعبي، علم اللغة المعاصر، (ص37).

([2]) محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، (ص310).

([3]) تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، (ص83).

([4]) ينظر: خالد مزعل، مفهوم المعنى في مدرسة لندن اللغوية، جامعة الكوفة، العراق، د.ط، د.ت، (ص306).

اللغوي)، مع مراعاة الظروف الخارجية والأحوال التي تتصل بالنص أو المقال (أي السياق غير اللغوي)[1].

وينظر جون فيرث إلى المعنى على أنَّه علاقة بين العناصر اللغوية والسياق الاجتماعي، بحيث يتم تحديد معاني تلك العناصر بحسب استعمالها في المواقف الاجتماعية المختلفة، فقد يكون لكلمة أو جملة (ما) معنى لا يلبث أن يتغير بالنسبة للموقف الذي قد تستعمل فيه، ويعتبر ما قدمه فيرث في هذا الشأن نقلة نوعية في حقل اللسانيات؛ لأنَّه دعَّم الموقف الذاهب إلى عدم إمكانية البحث الدلالي الذي يعتمد على المنطق الذي كان سائداً عند الإغريق في فترة من الزمان، كما عملت توجهات فيرث على نشوء مذهب جديد في دراسة المعنى بطريقة تراعي الاستخدام الحقيقي للغة، ويرى فيرث أن الوقت قد حان لترك دراسة المعنى باعتباره عمليات عقلية محضة، ودراسته باعتباره مجموعة من العلاقات السياقية[2].

فالمعنى عند فيرث ينشأ نتيجة علاقات متشابكة متداخلة، فهو ليس فقط وليد لحظة معينة بما يصاحبها من صوت وصورة، ولكنه أيضاً حصيلة المواقف الحية التي يمارسها الأشخاص في المجتمع، فالجمل تكتسب دلالتها في النهاية من خلال ملابسات الأحداث، أي: من خلال سياق الحال[3]، كما كان فيرث يؤكد على "التوازي بين السياقات الداخلية والشكلية، وبين السياقات الخارجية للموقف"[4].

ويقدِّمُ (ستيفن أولمان) وصفاً لمنهج فيرث السياقي في توضيح الدلالة وشرح الكلمات بأنه: "منهج طموح إلى درجة لا نستطيع معها في كثير من الأحيان تحقيق جانب واحد فقط

([1]) ينظر: محمد داود، العربية وعلم اللغة الحديث، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، د.ط، 2001م، (ص184).

([2]) John Robert Firth , Papers in linguistics, P: 19.

([3]) يحيى أحمد، الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة، (ص82).

([4]) ينظر: روبتر، موجز تاريخ علم اللغة في الغرب، ترجمة: أحمد عوض، مجلة عالم المعرفة، العدد 227، الكويت، 1997، (ص34).

من البحث والدراسة، بل جوانب عديدة، كما أنَّه يمدنا بمعايير تمكننا من الحكم على النتائج حكماً صحيحاً"[1].

وهذا هو الاتجاه الصحيح والضروري في الكشف عن المعنى، وإن تطبيق هذا المنهج في الكشف عن المعنى ينبغي أن يصدق على النصوص المنطوقة ذات المقام الحاضر الحي، كما ينبغي أن يطبق على النصوص المكتوبة ذات المقام الماضي، ومن هنا تأتي قيمة هذا المنهج لدراسة كتب التراث العربي، وإنَّ الاكتفاء بالمعنى الحرفي أو معنى المقال أو معنى ظاهر النص يعتبر دائماً سبباً في قصور الفهم، وإن المعنى الحرفي لا يُظهِرُ الكثير من القرائن التي تدخل في تكوين المقام، وإنَّ الكثير من نصوص تراثنا العربي قد جاء غامضاً؛ لأنَّه لم يصلنا عنها وصف كافٍ للمقام الذي أحاط بالنص[2].

"إنَّ هذه النظرة إلى دراسة اللغة، تقف باتجاه معاكس لنظرة رائد المدرسة الأمريكية بلومفِلد، الذي استبعد المعنى من الدرس اللغوي – رغم أهمية المعنى عنده – ، ذلك أنَّه لم يكن يمثل عنده أكثر من المثير والاستجابة الدائرة بين قطبي الكلام، وقد شرع فيرث الذي يفهم المعنى على أنَّه (علاقة بين العناصر اللغوية والسياق الاجتماعي بحيث تتحدد معاني تلك العناصر بحسب استعمالها في المواقف الاجتماعية المختلفة)، شرع في وضع نظام يطبَّقُ على الأحداث اللغوية (المواقف) يجعلها أكثر تجريداً من خلال تحليل الموقف (contrxt of situation)، بشكل يجعله يشمل مجموعة من المكونات هي: الصفات المشتركة بين مَن يشتركون في الحديث وما يصدر عنهم من أحداث لغوية وغير لغوية، بالإضافة إلى أشياء ومكونات خارجية ذات صلة بالحديث، وأخيراً الآثار الخارجية التي لها صلة بالحديث[3].

إن نظرية اللغة التي تقوم على التصور الخاص بالسياق تشمل جميع أنواع الوظائف الكلامية، بمعنى أنها بهذا التصور تستطيع أن تدرس وتفسر جميع أنواع الوظائف الكلامية،

([1]) ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، (ص61).

([2]) ينظر: تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، (ص372 و373).

([3]) ينظر: ردة الطلحي، دلالة السياق، (ج1/158و159).

وليست مقصورة كأكثر النظريات القديمة على إبراز نوع أو أكثر ليس غير من أنواع الوظائف الكلامية، وإنَّ المعنى عند الأستاذ فيرث كُل مركب من مجموعة من الوظائف اللغوية، وأهم عناصر هذا الكل هو الوظيفة الصوتية، ثمَّ المرفولوجية، والنحوية والمعجمية والوظيفية الدلالية لـ(سياق الحال)، ولكل وظيفة من هذه الوظائف منهجها الذي يراعى عند دراستها[1].

ومن خلال هذه الطريقة يمكننا القول بأن العمل اللغوي الدلالي – بحسب هذه التوجهات التي يراها فيرث– لم يعد يحتفي كثيراً بما يشيع في المدارس الأخرى من مصطلحات مثل الدال والمدلول، والفكرة، والمحتوى.. إلخ، وأصبح المعنى الدلالي عنده هو علاقات هذه الوظائف فيما بينها، أي حاصل معاني البنى على المستويات اللغوية المختلفة بالتساوي، مضافاً إليها سياق الموقف بعناصره التي سيتم توضيحها لاحقاً[2].

([1]) ينظر: محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، (ص311 و312).

([2]) ينظر: ردة الطلحي، دلالة السياق، (ج163/1).

أسس ومنطلقات النظرية السياقية[1]:

أولاً: الاعتراض على ثنائيات دي سوسير:

لم يقبل فيرث أن يبني فكره اللغوي على ما يسمى بالثنائيات، بسبب استحالة تحقيقها من الناحية العلمية، يقول فيرث: (بما أننا نعرف القليل عن العقل، ودراستنا هي دراسة اجتماعية في جوهرها، فسوف أكف عن احترام ثنائية الجسم والعقل، التفكير والكلام، وأكون راضياً بالإنسان ككل، يفكر ويتصرف بين أصدقائه كوحدة متكاملة...، إن تجنبي استخدام هذه الثنائيات لا يجب أن يفهم على أنني أُقصي مفهوم العقل تماماً، أو أنني أحتضن الجانب المادي احتضاناً تاماً)، ونتيجة لذلك فقد وصف اللغة على أنها نشاط معنوي في سياق اجتماعي معين.

ثانياً: التركيز على المكون الاجتماعي للغة بدلاً من المجال الذهني التجريدي:

بعد أن رفض فيرث ثنائيات دي سوسير، ركز على دراسة الوظيفة الاجتماعية لمختلف اللغات الإنسانية، ورأى بأن اللغة يجب أن تدرس من خلال وضعها كجزء من المسار الاجتماعي؛ أي كشكل من أشكال الحياة الإنسانية، وليس بجعلها مجموعة من العلامات الاعتباطية أو الإشارات.

ثالثاً: دراسة اللغة وفق بيان العلاقة بين اللغة والمجتمع:

ومن منطق نظرات فيرث السابقة إلى اللغة، على أنَّها وسيلة للتواصل الاجتماعي، فقد أكَّد على استحالة الاستغناء عن اللغة في فهم المعاني الناتجة عن المواقف الاجتماعية المتعددة، ويجب دراسة مكونات اللغة وفق مكونات اجتماعية بحتة، من خلال التركيز على العلاقات المتعددة التي يمكن أن تربط اللغة بالمجتمع.

([1]) ينظر: ناريمان براح، النظرية السياقية في الدرس اللساني قديماً وحديثاً، جامعة العربي بن مهيدي، الجزائر، د.ط، 2015م، (ص70-72).

ومن خلال هذه المنطلقات كان اهتمام النظرية السياقية بالمعنى، فاعتبرت أنَّ الموضوع الأساسي لعلم اللسانيات هو تتبع الدلالات، فانصرفت إلى الأحوال والظروف والمحيط الذي يتضمن الإرث الكلامي، مستندة على أن وظيفة اللغة هي التواصل بين البشر، وكانت رؤية فيرث أنَّ الوقت قد حان للتخلي عن البحث في المعنى بوصفه عمليات ذهنية كامنة، والنظر إليه على أنَّه مركب من العلاقات السياقية، كما رأى بأنَّ الوظيفة الدلالية لا يمكن الحصول عليها إلا بعد أن يتجسد الكلام المقول في موقف فعلي معين؛ أي بعد أن يخرج من حيز الوجود الوضعي الكامن إلى حيز الوجود الاستعمالي الفعلي، وهو أمر بحسب رأي فيرث لا يتحقق إلا من خلال سياق الحال (سياق الموقف).

وهكذا بدلاً من أن يكون الحديث عن العلاقة الثنائية بين اللفظ والمعنى، أصبح الحديث في مدرسة السياق عن مركب بين اللفظ والمعنى وعلاقته بغيره من المركبات التي يمكن أن تحل محله في نفس السياق، وبرز ما أسماه فيرث بـ(التوزيع السياقي) المحكوم بمنهج الإبدال الذي يقتضي أنَّ المفردة مثلاً ما هي إلا مقابل إبدال المعنى لمفردات أخريات يمكن أن تحل محلها في نفس السياق، ويتعين معناها بمقدار ما يحدثه هذا المعنى من تغيير، وبهذا فقد أصبحت نظرية فيرث واسعة النفوذ، وذات قيمة كبيرة في دراسة المعنى، ولم يقدم أحد غيره نظرية مُرضية لدراسة المعنى مثلها.

لقد ذاعت شهرة هذه النظرية وملأت الأرجاء بما نظمته من أفكار لغوية علمية مقنعة بشكل كبير، وضمن إطار منهجي محدد المعالم، وهي تتعرض بشكل أساسي للمعنى ومشكلاته، وتتبني على أمرين:

أ- السياق اللغوي أو تحليل النص بحسب المستويات اللغوية الأربعة (والتي سيتم توضيحها لاحقاً).

ب- سياق الحال أو المقام أو الموقف (كلها بنفس الدلالة).

السياق عند جون فيرث:

إنَّ السياق (المقام) أمرٌ مهم وضروري جداً لفهم المعنى الدلالي؛ فالذي يقول لزوجته (أهلاً بالجميلة)، فإنَّ المعنى يختلف بحسب المقام الاجتماعي؛ فقد تقال هذه العبارة في مقام الغزل أو في مقام التوبيخ أو التعبير عن الدمامة، ومعرفة المعنى المعجمي لكلمتي (أهلاً) و(الجميلة) لا يفيدنا في معرفة المعنى الدلالي، ولن نعرف هذا الأخير إلا بمعرفة المقام الذي قيل فيه النص[1].

وقد أشار الدكتور تمام حسان إلى أنَّ السياق يشمل مجموعة من المكونات، منها المتكلم، والسامع أو السامعين، والظروف، والعلاقات الاجتماعية، والأحداث الواردة relevant في الماضي والحاضر، ثمَّ التراث والفلوكلور والعادات والتقاليد والمعتقدات وحتى الخزعبلات! وهذا هو المقصود بفكرة المقام[2].

وهي نفسها رؤية فيرث الذي يُصرِّح بأنَّ هذا المصطلح (السياق) **يستغرق ما هو لفظي، وما هو غير لفظي**، ومِن ذلك الحديثُ عن شخصيات الحدث الكلامي، والحدث الكلامي الفعلي، والأحداث غير الكلامية المتصلة بالحدث الكلامي، والأشياء المتصلة بالكلام والموقف دون إغفال للمستويات اللغوية البنيوية[3].

إذن فمن خلال (ما هو لفظي وما هو غير لفظي)، يمكننا الاستنتاج بأنَّ فيرث حدد نوعين من السياق، هما: السياق اللغوي، وسياق الحال، حيث يتكون الأول من مستويات التحليل اللغوية الأربعة (المستوى المعجمي، والصوتي، والصرفي، والنحوي)، وأمَّا الثاني فيتكون من المعالِم والظروف المحيطة الخارجة عن اللغة، وسيتم لاحقاً توضيح المقصود بكلا النوعين مع الأمثلة.

([1]) ينظر: تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، (ص340).

([2]) ينظر: المرجع السابق، (ص352).

([3]) John Robert Firth , Papers in linguistics, P: 177.

"وباحتفاء فيرث بالعناصر اللغوية المكوِّنة للمنطوقات، كان حديثه بشكل كبير عن الوظائف اللغوية المنتمية إلى مستويات الدرس اللغوي؛ فهو لم يعد يتكلم عن المعنى بمفهومه الشائع؛ وإنَّما أصبح يتكلم عن مجموعة من المعاني الوظيفية لمباني التركيب على المستويات اللغوية المختلفة، فأصبح هنالك خمسة من المعاني في التركيب أو قل خمسة من الوظائف، هي:

1- الوظيفة الصوتية.

2- الوظيفة المعجمية.

3- الوظيفة الصرفية.

4- الوظيفة النحوية.

5- الوظيفة الدلالية.

وهذه الأخيرة هي وظيفة المنطوق في سياق الموقف أو ما يعرف بسياق الحال، ويكون المعنى بشكل عام من خلال هذه الكيفية، وبحسب مفهوم فيرث هو: جملة من الوظائف التي تحوزها صفة لغوية ما"[1].

وهكذا فإنَّ الأستاذ فيرث يرى بأنَّ الوصول إلى معنى أيِّ نص لغوي يتطلب عدة أمور، هي: تحليل النص اللغوي على المستويات اللغوية المختلفة (الصوتية، والمرفولوجية، والنظمية، والمعجمية)، ومعرفة سياق الحال (الماجريات) مثل: شخصية المتكلم، وشخصية السامع، وجميع الظروف المحيطة بالكلام، بالإضافة إلى بيان نوع الوظيفة الكلامية: إغراء أم تحذير أم مدح...إلخ، وأخيراً معرفة الأثر الذي يتركه الكلام (ضحك، تصديق، سخرية...إلخ)[2].

إنَّ النص تتجاذبه علاقات داخلية حتى يتماسك، كما أنَّه يقع بين التأثير والتأثر من البيئة المحيطة، وهذا ما يؤكد لنا العلاقة التلازمية بين النص والسياق باعتباره يؤثر فيه، وبفضله نتمكن من القبض على المعنى المراد، ولعلَّ هذه الأهمية بين النص أو الكلام

([1]) ردة الطلحي، دلالة السياق، (ج1/162و163).

([2]) ينظر: محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، (ص312).

والسياق هي التي دفعت الكثر من اللغويين لتأليف الكثير من المؤلَّفات التي تحمل عنوان (اللغة والنص والسياق) أو ما هو قريب منه، منهم من الغرب البروفيسور مايكل هاليدي، ومن العرب الدكتورة رقية حسن، وغيرهم، وأكَّدوا في كتبهم هذه أنَّ كلاً من النص أو الكلام والسياق لا يمكن تفسيره إلا بالرجوع إلا الآخر[1].

"وبعد هذا، وضع فيرث نظريته التي صار السياق فيها بنوعيه يمثل الأساس الذي ينبغي أن يُعتمد عليه في أيِّ تحليل لغوي، متخذاً شعاراً أساسياً يقول فيه: أعطني السياق الذي تجد فيه الكلمة، وسأخبرك بمعناها"[2].

إنَّ كلاً من نوعي السياق اللَّذين توصل إليهما فيرث مهم بدرجة كبيرة في الوصول إلى المعنى الدلالي الصحيح، ولا يمكن الاستغناء عن أيٍّ منهما، "فالسياق اللغوي قد يُمثِّلُ فهماً أولياً، وهو التفسير الذي يسرع إلى الذهن في بداية الأمر، وهذا الفهم الأولي قد لا يؤدي إلى الوصول للمقصود بشكل صحيح، ويأتي هنا دور سياق الحال، وقد يحتاج تفسيره عدة مراحل، تعتمد على السمع، كأن يسمع شخص ما جملة غير مكتملة نتيجة موقف معين أوقف المتكلم، فيتبادر إلى ذهنه فهم دلالي غير صحيح، ثمَّ إذا اكتمل الكلام فإنَّه يصل إلى المعنى المطلوب، والفهم الدلالي أيضاً يختلف من ذهن إلى ذهن ومن إنسان إلى آخر، فالطفل غير الكبير، والمثقف يفهم بحسب مستواه الثقافي وهكذا، ولذلك يجب العمل بنظام اللغة (الصوتي، والصرفي، والنحوي، والمعجمي، والدلالي)، للكشف عن ذات الكلمة ومعناها ومعنى النص أو الكلام"[3].

([1]) ينظر: ناريمان براح، النظرية السياقية في الدرس اللساني قديماً وحديثاً، (ص9).

([2]) يحيى عباينة وآمنة الزعبي، علم اللغة المعاصر، (ص38).

([3]) ناريمان براح، النظرية السياقية في الدرس اللساني قديماً وحديثاً، (ص13 و14).

سياق الحال:

يطلق على سياق الحال أكثر من مصطلح، فهو سياق الحال، كما أنه أيضاً مقتضى الحال، والمقام، وسياق الموقف، والماجريات[1]، وتعتبر هذه المصطلحات كلها في مقابل مصطلح سياق المقال، أو سياق مكونات النص، ويُقصد بها الجو الخارجي الذي يحيط بالكلام من ظروف وملابسات، فهو الخلفية غير اللغوية للكلام أو النص، وبتوصيف آخر: هو مجموع العناصر غير اللغوية التي يكتسب الكلام أو النص من خلالها معناه الكامل والمقصود عند الاستعمال"[2].

"وقد تجسدت هذه النظرية عند فيرث من خلال نظرته إلى اللغة على أنَّها نتيجة علاقات متشابكة متداخلة، ليست وليدة لحظة معينة بما يصاحبها من صوت وصورة، ولكنَّها حصيلة المواقف الحية التي يقوم بها الأشخاص في المجتمع، فالجمل تحصل على دلالتها في النهاية من خلال ملابسات الأحداث؛ أي من خلال (سياق الحال)، وهذا السياق هو كل ما يتعلق ويحيط بالأفراد، أو جملة العناصر المكونة للموقف الكلامي (أو الحال الكلامية)"[3].

ونستطيع أن نسوق مثالاً بسيطاً على هذه المواقف الحية وملابسات الأحداث؛ لنرى كيف تختلف السياقات عن بعضها، وكيف يؤدي ذلك إلى تغير المعنى بشكل كلي، وهذا المثال هو قول أحدهم لزميله في العمل (ما رأيك بالشاي؟)، فإنَّنا في هذه العبارة نستطيع أن نستحضر سياقات مختلفة قد تُقال فيها، فهي في البداية من الممكن أن تُقال من زميل لزميله في معرض ترغيبه في شرب الشاي، ويظهر لدينا معنى الاستفهام بكل وضوح، والغرض منه

([1]) أطلق مالينوفيسكي هذا المصطلح على سياق الحال، ويقصد به الظروف المحيطة بالحدث اللغوي والتي هي خارج اللغة، ويسميها الدارسون (السياق غير اللغوي) أو سياق الحال أو سياق المقام أو سياق الموقف، وكلها بنفس المعنى.

([2]) يحيى عباينة وآمنة الزعبي، علم اللغة المعاصر، (ص37 و38).

([3]) أحمد عماش، جهود هاليدي في الاتجاه الوظيفي، (ص6).

العرض بأسلوب مؤدب، والمقصود: هل تشرب معي الشاي؟، وهي كقول المدرس للطالب: هل يمكن أن تقرأ؟ فهو لا يسأله عن إمكانية القراءة من عدمها بل يطلب منه القراءة.

كما أنَّ هذه العبارة من الممكن أن تأتي في سياق آخر، وهي أن يقولها الزميل لزميله بعد الانتهاء من شرب الشاي، وكان الأول هو الذي حضّر هذا المشروب، فيريد أن يطمئن من زميله عن جودة هذا المشروب، أو أنه كان مرتاباً وغير واثق بنفسه وبما حضّر، فيسأله: ما رأيك بالشاي؟ ليستشرف رأيه.

وأمَّا السياق الثالث، فهي أن يقولها الزميل لزميله سائلاً عن الفائدة الصحية لهذا المشروب؛ أي يطلب منه فائدة طبية، فقد يكون الأخير مختصاً في علم الأغذية، أو أن أخاه طبيب مشهور، وعنده بعض مما عند أخيه، فيسأله الأول عن منفعة الشاي أو ضرره، وينتظر أن يجيبه بمحاسن شرب هذا المشروب أو أضراره، مشيراً عليه بالإكثار منه أو التقليل منه أو تركه، ولا يخفى في هذه الحالات الثلاث ما لسياق الحال من دور في تحديد المعنى، وعدم إمكانية عزل السياق عن الحادثة، وربما هذه السياقات الثلاثة لهذه العبارة ليست هي الوحيدة، بل هي فقط ما استحضرته، وربما يكون هناك غيرها الكثير.

"وفي سيرورة استشرافِ معالم الإبانةِ في النّظام اللغوي يُضاف إلى السياق البنيوي – أعني الدلالة الصوتية، والصرفية، والتركيبية، والمعجمية– مَعْلَم له خطره في الإبانة عن المقاصد، وأهمُّ ما يميّزه أنّ السياق البنيوي ينتسب إلى نظام اللغة ومادتها المؤلِّفة، بينما هذا المَعْلَم نظر سياقي خارجي ليس مما يفعل في تشكيل مادة النظام اللغوية؛ إذ لمّا كانت اللغة ظاهرة اجتماعية، ولمّا كانت الأحداث الكلامية لا تتجلى إلا في سياقات مختلفة – لمّا كان ذلك– وجب الأخذ بهذا النظر السياقي محتكَما وموجِّها للمعنى كما يوجّه المِقْودُ السيارة؛ ذلك أنه لا يستقيم أن نتصور الأحداث الكلامية سائحة في الهواء الطلق دون أن يكون لها سياق اجتماعي يلفُّها"[1].

([1]) مهدي أسعد عرار، التراكيب النحوية في ضوء مدرسة السياق، (ص3).

وأمَّا **عناصر سياق الحال** عند فيرث فهي جملة العناصر المكونة للموقف الكلامي (الحال الكلامية)، وهذه العناصر هي[1]:

1- شخصيتَيْ المتكلم والسامع، وتكوينهما الثقافي والشخصيات الأخرى التي تشهد الكلام غيرهما (إن وجدت)، وبيان ما لذلك من علاقة بالسلوك اللغوي، ودورهم هل يقتصر على أنَّهم شهود، أم يشاركون من وقت لآخر في الكلام، والنصوص الكلامية التي تصدر عنهم.

2- العوامل والظواهر الاجتماعية ذات العلاقة باللغة وبالسلوك اللغوي لمن يشارك في الموقف الكلامي كحالة الجو إن كان لها دخل، وكذلك الوضع السياسي، ومكان الكلام...إلخ.

وكل ما يطرأ أثناء الكلام ممن يشهد الموقف من انفعال أو أي ضرب من ضروب الاستجابة، وكل ما يتعلق بالموقف الكلامي أياً كانت درجة تعلقه.

3- أثر النص الكلامي في المشتركين، كالإقناع، أو الألم، أو الإغراء، أو التحذير، أو الضحك...إلخ، وهكذا يتضح أنَّ من أهم خصائص سياق الحال إبراز الدور الاجتماعي الذي يقوم به المتكلم وسائر المشتركين ممن لهم علاقة بالموقف الكلامي.

إذن فإنَّ عناصر السياق عديدة، أولها المتكلم نفسه، هل هو ذكر أم أنثى؟ صغير السن أم كبير؟ واحد أم اثنان أم جماعة أم جمهور؟ وما هو جنسه ودينه وشكله الخارجي ونبرة صوته ومكانته الاجتماعية، إلى آخر هذه الصفات التي تميزه عن غيره، وهذا الأمر ينطبق على المستمع أيضاً، ويشتمل إضافة إلى ذلك على علاقته بالمتكلم، من حيث القرابة أو الصداقة أو المعرفة السطحية أو عدم المعرفة أو العداوة، أو المركز المالي أو السياسي أو الاجتماعي...إلخ، ومن عناصر السياق أيضاً موضوع الكلام، وفي أيِّ جوٍّ يُقال؟ وفي أيِّ مكان وأيِّ زمان؟ وكيف يقال؟ وما الداعي لقوله؟ وغير ذلك من العناصر الكثيرة جداً

([1]) ينظر: محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، (ص311).

التي يؤثر كل منها تأثيراً مباشراً على كيفية قول الكلام، وعلى تركيبه، وبالتالي على معناه المقصود[1].

وقد أكَّد الدكتور إبراهيم أنيس على أهمية هذه العناصر كافة، حيث كان مدرسهم للأدب الإنجليزي يُنبههم لأهمية معرفة تغير دلالة الألفاظ الذي قد ينتج عن تقدم الزمن في دراسة الأدب الإنجليزي، يقول د. إبراهيم أنيس: "ولهذا كان أستاذ الأدب الإنجليزي يحذِّرنا من تلك الألفاظ التي قد نظنُّ أنَّنا نفهم معناها، ويقول لطلابه: إنِّني لا أخشى عليكم في أدب شكسبير من تلك الألفاظ الغريبة التي لم تصادفوها في نصوص أخرى، أو لم تسمعوا بها من قبل، ولكنَّني أخشى عليكم من الألفاظ التي لا تزال تشيع بصورتها القديمة في الأدب الإنجليزي الحديث، والتي يخطر في بالكم لأول وهلة أنَّ دلالتها سهلة ومألوفة لكم، ولكنَّها محل الزلل والخطأ؛ لأنَّ كثيراً منها قد تطورت دلالته وتغيرت مع الزمن، فهذه ستفرض عليكم الاستعانة بالسياق وبخاصة السياق الاجتماعي"[2].

علماً بأنَّ هذه القضية (سياق الحال) – كفكرة ومبدأ – ليست من ابتداع فيرث – أو حتى مالينوفيسكي–، بل هي من الأفكار المطروحة منذ أيام الفلاسفة اليونانيين أفلاطون وأرسطو، فقد تحدث أفلاطون في كتابه (فيدروس) عن مراعاة مقتضى الحال في الخطابة، كما تناول أرسطو في كتابه (فن الشعر) هذه الفكرة، وقصد بها القدرة على إيجاد اللغة التي يقتضيها الموقف وتتلاءم معه، وبالطبع لا ننسى النحاة والبلاغيين واللغويين من العرب وغيرهم والذين ذكرناهم فيما سبق، فهذه النظرية على أيِّ حال يمكن أن تلتقي مع آرائهم، وإن كانت تختلف من حيث المنهج وطريقة التطبيق، كما أنَّ هذا الاختلاف جعل من هذه النظرية نظرية متكاملة في دراسة المعنى[3].

([1]) ينظر: نايف خرما، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، عالم المعرفة، الكويت، د.ط، 1978م، (ص100).

([2]) مختار درقاوي، نظرية السياق في المدوّنة اللسانية، مجلة الدراسات اللغوية، العدد الأول، جامعة حسيبة بن بو علي، الجزائر، 2015م، (ص82).

([3]) ينظر: يحيى عباينة وآمنة الزعبي، علم اللغة المعاصر، (ص38).

إنَّ سياق الحال عند فيرث مصطلح واسع لا يقتصر على السياقات اللغوية، وإنَّما هو حقل من العلاقات بين أفراد يقومون بأدوارهم في المجتمع مستخدمين في ذلك لهجات أو لغات متعددة، ومرتبطة بحوادث وأشياء متنوعة لها اتصال وثيق بالمقولة المستخدمة، وسياق الحال أو سياق الموقف عند جون فيرث، يشمل جميع أنواع النشاط اللغوي المقول والمكتوب[1].

وبالرغم من أهمية سياق الحال؛ إلا أنَّه لا يمكن القول إنَّه وحده القادر على الكشف عن المعنى الدلالي، بل هو مشارِك في ذلك، وإن قلنا إنَّ السياق بشكل مباشر هو الذي يحدد المعنى الدلالي فنحن أيضاً نبالغ في ذلك؛ لأنَّ الوصول إلى المعنى يتم من خلال عدة عوامل، منها دلالة اللفظ نفسه، ودلالة الرابط الذي يربط المفردة بالجملة، وكذلك السياق، وغير ذلك من مكونات سياق الحال والسياق اللغوي، وفي اللغة العربية قد لا يكون الرابط لفظاً بل معنى عقلياً كالجملة الاسمية، فلو قلنا في لغتنا (الكتاب جميل) فإنَّ هذا لا يصح في لغات أخرى دون فعل مساعد، فلا بدَّ من القول في غير اللغة العربية (الكتاب يكون جميلاً)، وهذا مما يؤثر في السياق بشكل عام[2].

([1]) ينظر: ناريمان براح، النظرية السياقية في الدرس اللساني قديماً وحديثاً، (ص18 و19).

([2]) ينظر: عبد القادر عبد الجليل، علم اللسانيات الحديثة، دار الصفاء للنشر، عمَّان، ط1، 2002م، (ص542).

السياق اللغوي:

ويُقصد به فهم النص ودراسته من خلال استعمال الكلمة داخل نظام الجملة، والعلاقة التي تربطها بما قبلها وما بعدها، فالرجوع إلى القاموس من أجل فهم معنى الكلمة أو التوصل لمعنى الجملة قد لا يسعف الباحث غالباً؛ لأنَّ المفردة في الجملة لها استعمالات متعددة، ترتبط بحالها وفهمها من كافة الجوانب، فالمشترك اللغوي على سبيل المثال له سياقات لغوية متعددة، كل منها يؤدي معنى مختلفاً عن الآخر، فكلمة (عين) تعني العضو الناظر في جسم الإنسان وتعني عين الماء الجارية وتعني الجاسوس، وغير ذلك من المعاني، وهذا لا يقتصر على المشترك اللفظي، بل يشمل كافة الأحوال الدلالية التي يُستخدم فيها اللفظ الذي قد يكون ظاهر معناه معروفاً ولكن السياق مختلف، كقولنا: (عينٌ في الجبل)، فقد يكون المعنى هنا إمَّا عين الماء الجارية، وإمَّا الجاسوس، وفي مثل هذه الحالة لا بدَّ من الاستعانة بسياق الحال الذي أوضحناه فيما سبق[1].

ولأنَّ اللغة بطبيعتها نظام معقد متشعب الجوانب؛ فإنَّه ليس بالإمكان دراستها دفعة واحدة، بل لا بدَّ من التركيز بشكل متتالٍ على مجموعة من المستويات التي تكون نظام اللغة، وقد قامت نظرية فيرث على هذه المستويات، وهي كالتالي[2]:

1- المستوى الصوتي:

ويتمُّ فيه دراسة وظائف الأصوات في لغة معينة، ويحدِّدُ هذا المستوى العناصر المكونة لنظام اللغة، "ويهتم بدراسة الصوت داخل سياقه، حيث يُعتبر الفونيم المادة الأساسية في تحديد الدلالة، من حيث توزيع الأصوات داخل السياق، فالكلمتان (ناب – تاب) مثلاً، توضحان دور الفونيم وتأثيره في منظومة السياق"[3]، ويتناول المقاطع الصوتية والنبر والتنغيم والوقف (المفصل) وغيرها، والقوانين التي تخضع لها كل واحدة، وكذلك العوامل والنتائج اللغوية التي تترتب على كل منها، فيكون الصوت في سياقه هو محور الاهتمام

([1]) ينظر: ناريمان براح، النظرية السياقية في الدرس اللساني قديماً وحديثاً، (ص12).

([2]) ينظر: المرجع السابق، (ص75- 77).

([3]) المرجع السابق، (ص14).

والدراسة، فالحقيقة أنَّه "لا يوجد في اللغة أصوات منعزلة، بل تكوِّن في كل لغة نظاماً مترابطاً، فهي لا تستعمل على انفراد، فلا ينطق المتكلم إلا بمركبات من الأصوات اللغوية"[1].

وقد كان اهتمام جون فيرث بالمستوى الصوتي في سلسلة الكلام يرجع إلى دورها المهم في توضيح المعنى، خاصة النبر والتنغيم والوقف، بحيث تؤدي هذه الفونيمات فوق التركيبية مثل التنغيم – على سبيل المثال – وظيفة مهمة في تحديد معنى الجملة كالاستفهام أو الاستهزاء أو غير ذلك، كما أنَّ عدم الالتزام بالوقف (المفصل) بشكل صحيح يؤدي إلى الخطأ أو عدم وضوح المُراد.

2- المستوى المعجمي:

"وهو مجموعة من العلاقات الصوتية التي تتكامل وتتشارك من أجل تخصيص الوحدة اللغوية ببيان دلالي معين يعطيها القدرة على التركيب وفق أنظمة لغة معينة، وهذه الوحدة تشترك في علاقات أفقية مع وحدات أخرى لإنتاج المعنى السياقي العام للتركيب، فاجتماع معاني المفردات وعلاقاتها مع بعضها البعض داخل السياق هو المؤدي إلى إنتاج المعنى العام المُراد لأيِّ تركيب، ويتمثل السياق المعجمي في مفردات المعجم وطبيعة نظام الحقول الدلالية"[2].

3- المستوى الصرفي:

وهو المستوى الذي يدرس التغيرات التي تقع على صيغ المفردات وما يضاف لها من سوابق (prefiexes) ولواحق (sufexes) تؤثر في المعنى وتعمل على تغييره، مثل قولنا: كتب- يكتب – كتبت – كاتب – مكتبة ...إلخ، ويعتبر المورفيم (morpheme) أساس التحليل الصرفي، وهو أصغر وحدة لغوية صرفية مجردة لها معنى دلالي في مفردة أو جملة، ويعبر عن معان حرفية كالاسمية والفعلية والفاعلية والعدد والجنس.

([1]) فندريس، اللغة، (ص83).

([2]) ناريمان براح، النظرية السياقية في الدرس اللساني قديماً وحديثاً، (ص15).

"إنَّ المورفيمات لا قيمة لها إلا إذا كانت ضمن سياق تركيبي معين، فمن ذلك على سبيل المثال أحرف المضارعة، حيث تؤدي وظيفتها داخل النص، وليس لوحدها، فالدلالة تتغير حسب تركيب الصيغة الصرفية واختلافها عن غيرها"[1].

لقد اعتبر فيرث أنَّ التحليل الصرفي للألفاظ هو مرحلة من مراحل البحث عن المعنى وليس هو المعنى بنفسه، وإذا كانت النهاية القصوى لتشكُّل الأصوات في لغة من اللغات تتمثل في شكلها صيغاً، فإنَّ تشكل هذه الصيغ بصورة كلمات دالة سيفضي إلى الوصول إلى النظام النحوي المتكون من انتظام الكلمات في جمل.

4- المستوى النحوي:

يدرس هذا المستوى الجملة اللغوية وطريقة بنائها، وصلة مكوناتها الداخلية ببعضها البعض، والتغيرات التي تطرأ على عناصرها من تقديم أو تأخير أو زيادة أو حذف، أو غير ذلك، ولقد اعتبر فيرث أنَّ مصطلح التركيب هو تلك العلاقات التبادلية بين العناصر اللغوية المكونة للجملة، فالبنية في نظره تتمثل في "أشكال الكلمات في السياق وينحصر تنظيمها بالعلاقات الاستبدالية القائمة بين العناصر التي تكون قيمتها اللغوية"[2].

إنَّ هذا المستوى "هو شبكة من العلاقات القواعدية التي تحكم بناء الوحدات اللغوية داخل النص، وتكون لهذه العلاقات مهمة وظيفية تساعد على توضيح الدلالة من خلال ما يعرف بالقرائن النحوية، مثل الإعراب، والتقديم والتأخير"[3].

5- المستوى الدلالي:

يُضمِّن فيرث عناصر نظريته السياقية هذا المستوى، وهو أسمى مستويات اللغة، والغاية التي تنتهي إليها الدراسة اللغوية، واعتبر بعض اللغويين أنَّ المستوى المعجمي يقع ضمن هذا المستوى، حيث اعتبروا أنَّ المستوى الدلالي يتكون من معنيين (المعنى المقالي،

([1]) ناريمان براح، النظرية السياقية في الدرس اللساني قديماً وحديثاً، (ص15).

([2]) ميشال زكريا، الألسنية التوليدية والتحويلية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، لبنان، د.ط، 1982م، (ص283).

([3]) ناريمان براح، النظرية السياقية في الدرس اللساني قديماً وحديثاً، (ص15).

والمعنى المقامي)، والمعنى المقالي هو الذي يدرسه المستوى المعجمي القائم على علاقات عرفية اعتباطية بين المفردات ومعانيها، إلا أنَّ الصواب والأرجح – من خلال كتابات فيرث – أنَّه كان يقصد بالمستوى الدلالي النوع الأساسي الأول من السياق (سياق المقام أو الحال أو الموقف).

إنَّ هذه التحليلات اللغوية التي يتكون منها (السياق اللغوي) عند جون فيرث، قد أفضت به إلى تقسيمه معنوياً إلى مستويين[1]:

المستوى الأول: سياق التساوي، وهذا النوع من السياق يمسُّ الخط الأفقي للكلمات، أيِّ تَصاحُب الكلمة مع الكلمة أو الكلمات الأخرى، أو مرافقة الكلمات أو جيرتها لكلمات أخرى في السياق الطبيعي، مثل: (شاي ثقيل)، فلا نقول: (شاي قوي)، وعندما يريد المتكلم أن يشير إلى تنفيذ حكم الإعدام بحق شخص ما بقطع رقبته فإنَّه يقول: (ضُرِب عنقُه)، وليس له أن يقول: (ضُرب جيدُه)، على الرغم من أنَّ المعنى واحد للكلمتين (عنق وجيد)، والسبب هو أن الائتلاف بين الضرب والجيد غير مألوف في اللغة العربية عادة.

المستوى الثاني: سياق التساوق، وهذا النوع شبيه بالتساوي من حيث الاستواء الأفقي للتراكيب، إلا أنَّه يختلف بأنَّ التركيب الثاني غير متساوي في المعنى مع نظيره، فمثلاً الفعل (طلى) يمكنه أن يتساوق مع العناصر التالية:

- طلى الشيء بكذا؛ أي: دهنه.
- طلى الليل الأفق؛ أي: غشاه بظُلْمة.
- طلى فلاناً؛ أي: شتمه.

وكذلك الفعل (راح) يتغير المقصود به من سياق إلى آخر:

- راح إلى المدرسة؛ أي: ذهَبَ.
- راحت الماشية؛ أي: رجعت آخر اليوم بعد أن سرحت في الصباح.

([1]) روح الله صيّادي نجاد، دور السياق اللغويّ في تعليم اللّغة العربيّة للنّاطقين بغيرها، (ص19 و20).

وبالتالي فإنَّ الإمساك بالمعاجم والبحث فيها عن معنى كلمة دون الالتفات إلى أنماطها المقامية لا يصح، ويوقِعُ في الخطأ غالباً، وذلك لأنَّ لكل كلمة في اللغة حياة، وهذه الحياة تختلف طبيعتها من وقت لآخر، ومن حال لآخر.

التطبيق العملي لسياق الحال والسياق اللغوي:

يتضح مما سبق أنَّ الاهتمام بالسياق يؤدي إلى تطبيق صفة مهمة من الصفات الأصيلة للغة وهي الصفة التراكمية، حيث يمكن للمختصين في اللغة أن يقوموا –من خلال هذه الصفة– باكتشاف الدور المهم الذي تقوم به العناصر اللغوية حين تكون متتابعة ومتفاعلة مع بعضها، ومعرفة أهمية هذا التراكم في عملية فهم المعنى.

وهذه الطريقة من طرق دراسة المعنى ترسم (تحليلات) عملية للمعنى على مستويات مختلفة، ومن الجدير بالملاحظة، أنَّ التحليلات اللغوية كلها على المستويات المختلفة ليست المعنى ولا هي دراسة المعنى، فلا بدَّ للوصول إلى المعنى من الربط بين النتائج التي توصل إليها كل هذه التحليلات ربطاً يدخل في اعتباره جميع عناصر سياق الحال[1].

ويمكننا توضيح هذا المنهج وهذه التحليلات التي سار عليها فيرث من خلال المثال الآتي[2]: كلمة (ولد): إنَّ معنى كلمة (ولد) هو النتيجة النهائية لجمع عدد من الوظائف والخصائص كما في التحليل الآتي:

1- على المستوى الصوتي (الفونيمي)، فإنَّ كلمة (ولد) مكونة من عِدة فونيمات، وهي الواو، فالفتحة القصيرة، فاللام فالفتحة القصيرة، فالدال، وهذه الفونيمات بهذا الترتيب بالذات هي جزء من المعنى الذي تؤديه الكلمة، وذلك بما لها من اتصال ببعضها دون غيرها؛ أي: إنَّ تكوين هذه الكلمة على هذه الصورة الصوتية بالذات، جعل لها معنى خاصاً مختلفاً عن كلمات أخرى مثل: (بلد) أو (وجد) أو (ولع)، والتي يتكون كل منها من فونيمات قد يتشابه بعضها مع

([1]) محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، (ص312).

([2]) يحيى عباينة وآمنة الزعبي، علم اللغة المعاصر، (ص40–42).

الفونيمات المكونة لكلمة (ولد) موضع التحليل هنا، ولكنَّها تختلف عن بعضها الآخر، كما قد تختلف في طريقة الترتيب أيضاً، وهذا يدفع إلى الاختلاف في تحديد دلالة كل كلمة عن الأخريات.

2- على المستوى المعجمي، فإنَّ كلمة (ولد) لها معنى معجمي مُختلف أيضاً عن معنى باقي الكلمات (بلد) و(وجد) و(ولع)، ويتضح لنا ذلك إذا استبدلنا كلمة (ولد) بالكلمات المذكورة في تركيب من مثل: ولد نحيف، فإذا قلنا (بلد نحيف)، فإن المعنى لا يستقيم، وهو ما أطلق عليه التركيبيون مصطلح استبدال النمط (pattern substitution)، وهو من آلياتهم في التمييز بين المعاني، فقد درسوا شيئاً من هذا في المستوى الدلالي ضمن العلاقات اللغوية التسلسلية الأفقية (syntagmatic relations) في مسألة المصاحبات المعجمية (collocations)، وسيأتي توضيح هذا وبيانه عندما نتحدث عن المتلازمات اللغوية لاحقاً، وقد أطلق فيرث على هذه القضية اللغوية مصطلح التصاحب أو التلازم (collocations).

3- على المستوى الصرفي، فإنَّ كلمة (ولد)، لها معنى صرفي معين، وهو معنى نستطيع الوصول إليه بعد القيام بعملية إحصائية للسياقات الصرفية التي تستعمل فيها هذه الكلمة، ويمكن الإشارة إلى بعض هذه السياقات عن طريق التوزيع الشكلي للكلمة على النحو التالي:

(1)	**(2)**
فعل	**اسم**
وُلِدَ	وَلدٌ
وَلدَت	وَلَدان
وُلِدَتْ	أولاد
وُلِدْنا	وِلدان

وبناء على هذا المخطط الشكلي التوزيعي، يمكننا أن نقول: إنَّ جزءاً من معنى كلمة (ولد) أيضاً أنها تكون فعلاً، وتكون اسماً كذلك، ففي حال كونها فعلاً، فإنها قد تُسندُ إلى المذكر أو المؤنث في حال الإفراد والتثنية والجمع، وفي حال كونها اسماً، فإنها تكون في حالة إفراد أو تثنية أو جمع تكسير، وهذه الصيغ الصرفية هي من الخصائص الصرفية لهذه الكلمة، وهي تمثل المعنى الصرفي لها، وهو بالتأكيد جزء آخر من معناها، يُضاف إلى الجزء الذي وصل إليه المستويان الآخران السابقان.

4- وأمَّا المستوى النحوي، فإنَّ لكلمة (ولد) معنى نحوياً، وهذا المعنى النحوي يظهر عن طريق بيان خصائصها النحوية؛ أي: وظيفتها في الجملة أو التركيب النحوي، كما في الجمل الآتية:

ولدت المرأة أو المرأة ولدت

الولد عاقل أو ذلك ولد

فإذا كانت الكلمة فعلاً، فإنَّ من خصائصها على سبيل المثال أن تقع في جملتين رئيسيتين متناظرتين، غير أنَّها في إحدى الجملتين تمثل المركز الأول، وتقع في الثانية في المركز الثاني، ولكنَّها في الحالتين ترتبط بالاسم المستعمل معها ارتباطاً وثيقاً ولا تنفكُّ عنه، ومِّما يؤكد هذا الارتباط المطابقة في العدد والجنس، كما هو الحال في المثالين (ولدت المرأة، والمرأة ولدت)، وأمَّا في حال كونها اسماً، فإنَّ من خصائصها النحوية أنَّها تستعمل مبتدأً أو خبراً، كما في المثالين (الولد كبير، وذلك ولد)، كما أنَّ هذه الأنماط تصلح أن تقع في مواقع نحوية أخرى، مما يعني تعدد معانيها النحوية التركيبية.

5- وأمَّا عن سياق الحال، فإن كلمة (ولد) قد يختلف المقصود بها بحسب استعمالاتها في السياقات المختلفة، ومعرفة معناها إنَّما يتمُّ عن طريق تتبُّع هذه الكلمة، من خلال البيئة الاجتماعية والظروف التي قيلت فيها، وهذا التتبع هو الذي يُقصد به معرفة سياق الحال أو المقام بصورة رئيسية، ونعني بهذا مراعاة

الظروف والملابسات الخارجية والسياقات الداخلية التي تتصل بالموقف الكلامي، كما يجب أن نأخذ بالحسبان أيضاً ما يصاحب العملية الكلامية من فونيمات فوق تركيبية كالتنغيم والمفصل والحركات الجسمية كالإشارة أو الابتسامة أو غيرها، وغير ذلك من الأمور التي تكون خارجة عن العملية الكلامية في بعدها الصوتي، ذلك أنَّ مثل هذه الكلمة أو المفردة قد تستعمل استعمالاً شائعاً متعارفاً عليه بين أفراد المجموعة اللغوية في البيئة اللغوية التي ندرسها، ونعني بهذه الاستعمالات الخاصة ما يُطلق عليه مصطلح الظلال الدلالية (**connotation**)، أو التضمُّن، أو ظل المعنى، ويُقصد به ذلك المعنى الإضافي الذي توحي به مفردة ما، زيادة على ما تحمله دلالتها الأصلية أو معناها المعجمي، وغالباً ما يختلف ظل المعنى من شخص لآخر؛ لأنَّه يرتبط في الأغلب بالخبرة الشخصية للفرد، ويرتبط بهذا المصطلح مصطلح آخر هو المعنى الضمني (connotative meaning)، فقد يتشارك هذا المعنى مع عنصر التنغيم مثلاً، فنقول: يا ولد: ونحن لا نقصد النداء على الإطلاق، بل ربما لم نقصد المعنى المتداول الدال على سن معينة يمثلها سن (الولد)، وإنَّما نقصد بها التعظيم أو التحقير أو الزجر، وقد نخاطب بها أيضاً ولداً فعلياً أو رجلاً.

وقد اقترح لغويون آخرون من أبناء مدرسة فيرث وغيرها تقسيماً آخر للسياق ذا أربع شعب، يشمل: السياق اللغوي linguistic context، والسياق العاطفي emotional context، وسياق الموقف situational context، والسياق الثقافي cultural context، حيث أكَّدت الدراسات اللغوية التي قدموها أنَّ هذه السياقات الأربعة ينبغي مراعاتها عند تحليل أي نص أو مقال، وهي كالتالي[1]:

1- السياق اللغوي:

([1]) أحمد مختار عمر، علم الدلالة، (ص69-71).

"إنَّ السياق اللغوي حين نذكره مفرداً عن السياقات الأخرى لا يعني إمكان تمثله بمعزل عنها أو تمثلها بمعزل عنه، بل المقصود أنَّه يهتم بالدلالة اللغوية للكلمة من دون الإشارة إلى الدلالات العاطفية والموقفية والثقافية التي تحملها"[1].

والدلالة اللغوية للكلمة بعينها قد تكون متعددة، ويمكن أن نمثل لذلك بكلمة (good) في الإنجليزية، وبمساواتها كلمة (حسن) في العربية، فإنَّها إذا وقعت في سياق لغوي مع كلمة (رجل)، فإنَّها تعني الجانب الخُلُقي، وإذا جاءت لوصف أحد الأطباء، فإنَّه يقصد بها أنَّه متفوق في أدائه، أمَّا إذا جاءت لوصف أحد الجمادات، مثل: الملح أو الدقيق أو الماء، فيقصد بها أنَّه صافٍ ونقي، وهكذا.

كما أنَّ من الأمثلة التي تتعدد سياقاتها اللغوية كلمة (يد)، فهي في قولنا: (هم يد على من سواهم) بمعنى: أمرهم واحد، وفي قولنا: (يد الفأس) بمعنى: مقبضها، وفي قولنا: (يد الطائر) بمعنى: جناحه، وفي قولنا: (بعته يداً بيد)؛ أي: متقابضين، وفي قول أحدهم: (ليس لي يد عليهم)؛ أي: قوة، وفي قوله تعالى: ﴿**حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ**﴾[2]؛ أي عن ذل واعتراف للمؤمنين بعلو أيديهم، وفي قوله – صلى الله عليه وسلم – : (إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ)[3]؛ أي: أمامها.

2- السياق العاطفي:

وهو الذي يحدد درجة القوة والضعف في الانفعال، مما يتطلب تأكيداً أو مبالغة أو اعتدالاً في اختيار الكلام الصادر، فعلى سبيل المثال: كلمة يكره في اللغة العربية تختلف عن كلمة يبغض، رغم اشتراكهما في أصل المعنى، وكذلك كلمة love في الإنجليزية تختلف عن كلمة like، رغم اشتراكهما أيضاً في أصل المعنى.

([1]) مختار درقاوي، نظرية السياق في المدوّنة اللسانية، (ص85).

([2]) [التوبة: 29].

([3]) [أبو داود: سنن أبي داود، باب عن النهي في السعي إلى الفتنة، 100/4: رقم الحديث: 4259].

" إذن فهو السياق الذي يهتم بالكشف عن المعنى في الوجدان، ويختلف من إنسان لآخر، ويعتمد في الغالب على طبيعة المتكلم؛ فالكلام هو طريق مهم لإبراز عاطفة المتكلم، فينعكس على أدائه وتعبيره مما يؤثر على الدلالة قوة وضعفاً وانفعالاً"[1].

"والسياق العاطفي هو الذي يوضح طبيعة استعمال الكلمة، هل هي مستعملة استعمالاً موضوعياً، أم استعمالاً عاطفياً؟ يقول ماييه عن هذا الأمر: (والكلمة لا تحمل معنى عقلياً فقط، بل أيضاً غالباً ما تحمل معنى من معاني الإحساس، فكلمة (جُنينة) قد لا تعني فقط حديقة صغيرة، بل هي حديقة صغيرة لها في النفس حنان، كما أنَّ كلمة (قصر) قد لا يُقصد بها فقط المنزل الواسع الكبير، بل يُضاف إلى ذلك إحساس بالعظمة والإعجاب تشعر به تجاه مقر الأمراء"[2].

ويمكن أن نمثل للسياق العاطفي أيضاً بما جاء في (فقه اللغة) للثعالبي: (لا يُقال عويل إلا إذا كان معه رفع صوت وإلا فهو بكاء)[3]، فالملفوظ اللساني (عويل) والملفوظ (بكاء) مع التشابه الدلالي الحاصل بينهما إلا أنَّهما يختلفان من حيث درجة الانفعال في الوظيفة السياقية، فلا يمكننا أن نوظِّف (عويل) إلا إذا كان المنظور إليه يبكي بكاء يرافقه رفع الصوت[4].

3- سياق الموقف:

ويقصد به الموقف الخارجي الذي يمكن أن تقع فيه الكلمة، مثل: استخدام كلمة (يرحم) في مقام تشميت العاطس عندما نقول: (يرحمكم الله)، حيث بدأنا بالفعل، بينما في مقام الترحم بعد الموت فإننا نقول: (الله يرحمه)، حيث نبدأ بالاسم، فالأولى نقصد بها الدعاء

([1]) ناريمان براح، النظرية السياقية في الدرس اللساني قديماً وحديثاً، (ص16).

([2]) نسيم عون، الألسنية محاضرات في علم الدلالة، دار الفارابي، بيروت، لبنان، د.ط، 2005م، (ص51).

([3]) الثعالبي، عبد الملك بن محمد أبو منصور، فقه اللغة وسر العربية، تح: عبد الرزاق المهدي. ط1، إحياء التراث العربي، 2002م، (ص37).

([4]) ينظر: مختار درقاوي، نظرية السياق في المدوّنة اللسانية، (ص91).

بالرحمة في الدنيا، والثانية نقصد بها الدعاء بالرحمة في الآخرة، والذي يدل على ذلك سياق الموقف إلى جانب السياق اللغوي المتمثل في التقديم التأخير.

"وهذا السياق يهتم بمراقبة العلاقات الزمانية والمكانية التي يحدث فيها الكلام، وفكرة سياق الحال (الموقف) فكرة قديمة ولكن جون فيرث هو الذي أحياها، واستطاع أن يصوغ منها نظرية علمية، ويشمل سياق الموقف جميع أنواع النشاط اللغوي كلاماً وكتابة، ويتكون من عناصر كثيرة، أبرزها شخصية المتكلم والسامع وشهود الكلام، والعوامل الاجتماعية والاقتصادية المختلفة، وأثر الحدث اللغوي في المشاركين كالإقناع أو الفرح أو الألم أو الإغراء"[1].

4- السياق الثقافي:

أمَّا السياق الثقافي فيتطلب معرفة المحيط الثقافي أو الاجتماعي الذي يمكن أن تستعمل فيه الكلمة، فكلمة (جذر) لها معنى عند المزارع، ومعنى آخر عند اللغوي، ومعنى ثالث عند عالم الرياضيات، وكلمة (عقيلته) تعد في اللغة العربية المعاصرة دليلاً على طبقة اجتماعية عليا بالنسبة لكلمة (زوجته) مثلاً، وكذلك كلمة looking glass تعتبر في بريطانيا دليلاً على الطبقة الاجتماعية العليا بالنسبة لكلمة mirror، وكذلك كلمة rich بالنسبة لكلمة wealthy.

ومن الأمثلة الأكثر توضيحاً للسياق الثقافي "عبارة (الله يعوض عليك) في بلدين مختلفين، فهي في لبنان حين يقولها البائع للمشتري بعد أن يقبض ثمن سلعة باعها له؛ يُقصد بها (الله يعوض عليك بسبب الخسارة المادية أي المبلغ الذي دفعه)، وأمَّا في مصر، فهي تقال في حالة الوفاة؛ أي: (خسارة النفس التي توفيت)؛ أي: يقولها شخص لآخر حصلت عنده حالة وفاة بهدف التسرية عنه ومشاركته وجدانياً، وقد يأتي بعدها عبارة أخرى

([1]) ناريمان براح، النظرية السياقية في الدرس اللساني قديماً وحديثاً، (ص18و19).

مثل: (ما تزعل نفسك) أو (كلنا لها)"[1]، ويتضح من هذا المثال أنَّ السياق الثقافي لكلٍّ بلد من البلدين هو المتحكِّم الرئيسي في المعنى المقصود.

ويعتبر السياق الثقافي ركيزة رئيسية في عملية الترجمة بشكل خاص، بحيث لا يمكن الاستغناء عنه، ويتحتم على المترجم أن يأخذ بعين الاعتبار السياق الثقافي للنص الذي يريد ترجمته؛ لأنَّ الترجمة ستكون صعبة جداً في بعض الأحيان مثل نصوص الكتب السماوية، أو النصوص الأدبية والفلسفية وغيرها، فإذا اعتمد المترجم على الترجمة الحرفية للغة فإنَّه لن يصل إلى المعنى المُراد، إلا إذا اعتمد على السياق الثقافي، وبسبب تعدد المعاني التي قد تنتج عن تعدد السياقات؛ يعتبر السياق الثقافي الديناميكية المحرِّكة والموضِّحة لتعدد المعنى، والسياق الثقافي ليس مجرد ألفاظ ساكنة، وإنَّما متوالية لا نهائية من المعاني؛ لأنَّه يتصل بثقافات متعددة[2].

قضايا سياقية مهمة

يمكننا من خلال البحث في اللغة، التعرف على مجموعة من القضايا واللفتات اللغوية المهمة، التي **تُشكل توضيحاً عملياً** لأهمية سياق الحال والسياق اللغوي عند جون فيرث، وتدعم نظريته، وتبين لنا الدور الأساسي في تحديد المعنى، وعدم إمكانية الاستغناء عنه نهائياً، وسنعرِض الآن عدداً من هذه القضايا المهمة، من خلال توضيحها بأمثلة واقعية ومُستخدمة في حياتنا اليومية.

1- **الحذف في الكلام المقول:** وقيام السياق مقام الكلام المحذوف، فقد نبَّه اللغويون قديماً وحديثاً على أنَّ "الحذف لا يجوز أن يكون مطلقاً، بل يجب أن يكون مُقيداً مخصصاً؛ إذ ليس هناك بُدٌّ مِن دليل يُعوَّضُ به عن المحذوف، ولمعرفة المحذوف قرائنُ ودلائلُ هادية، منها سياقُ الحال وما يشمله الحدثُ الكلامي مِن أنظار خارجية وأحوال، ومِنها كذلك لغة الجسد، ومثالُه المشهور في ذلك حذف الصّفةِ وقيامُ قرائنَ متضافرةٍ مقامَها، كالتنغيم والحركة الجسمية

([1]) ردة الطلحي، دلالة السياق، (ج160/1).

([2]) يوسف عبد الفتاح أحمد، قراءة النص وسؤال الثقافة، عالم الكتب الحديث، عمّان، د.ط، 1999م، (ص31).

التي لها دلالة توافق دلالة الصفة المحذوفة، ومثال ذلك قولنا: سألناه فوجدناه إنساناً!، فهذه العبارة لوحدها منعزلة عن سياقِها قد تكون غير واضحة الدلالة، ولكن عند استشراف سياقها الحي في تعيينِ معنى الصفة المحذوفة، قد يكون المحذوف: إنساناً كريماً مفضالاً، فالسياق سيقومُ مقامَ الصّفةِ المحذوفةِ"[1].

2- **الإشارة في الكلام المقول:** فالإشارة تعتبر من الأمور الخارجية غير اللفظية، وبالتالي فهي جزء من عناصر السياق، وتؤثر في المعنى بشكل كبير، ولا يُفهم من هذا الكلام أنَّ الإشارة تعتبر بديلاً عن اللغة، أو الإنقاص من قدر اللغة ودورها، لكنَّ الإشارة من المكملات، التي توضحُ المعنى وتتمِّمُه، وتكون ضرورة في حالات كثيرة لا تتضح إلا بمعرفة الإشارة التي تمت مع الكلام المنطوق، وهذه الإشارة غالباً ما تكون من خلال أحد أعضاء الجسد.

ومن الأمثلة الطريفة التي تدل على أهمية ودَوْر الإشارة السياقية في الإبانة عن الألفاظ[2]، أنَّ أبا نُواس قد طُلب منه أن يصنع شعراً لا قافية له، فصنع على الفور شعراً مُرتَجلاً قال فيه[3]:

ولقـــــد قلـــــــتُ للمليحـــــةِ قُـــــولِي ... مـن بعيـدٍ لمـن يحبُّـكِ: (إشـارة قبلـة)

فأشـــــارتْ بمعصـــــمٍ ثُـــــمَّ قالـــــتْ ... مِـن بعيـدٍ خـلافَ قـولي: (إشـارة لا لا)

فتنفـــــست سـاعـــــة ثـــــم إنـــــي ... قـلت للبغـل عنـد ذلـك: (إشـارة امـش)

فتعجَّبَ الحاضرون في المجلس مِن اهتدائه ومن حسنِ ما قدَّم، ومن الواضح أنَّ لسياق الحالِ مساهمة ظاهرة في توضيح مقصِد أبي نُواس، إنَّ هذه الأبيات لا يمكن أن تُفْهَم إلاّ باستصحاب سياق حالها، ومعرفة الإشارات التي جاء بها أبو نُواس، وقد يغني سياقُ الحال بالإشارات والحركاتِ التّمثيليّة التي تقع فيه عن الكلامِ جملةً.

([1]) مهدي أسعد عرار، التراكيب النحوية في ضوء مدرسة السياق، (ص6 و7).

([2]) ينظر: المرجع السابق، (ص17).

([3]) ينظر: القيرواني: أبو على الحسن بن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تح: محي الدين عبد الحميد، ط5، دار الجيل، 1981م، (ج1/380).

ومِن ذلك غياب الكلام عند الحديث في سياق العشق، كما ورد عن بشار بن برد في قوله[1]:

وإذا التقينـــا والعيـــونُ روامـــقٌ صـــمتَ اللّســـانُ وطرفُهـــا يـــتكلّمُ

تشـــكو فـــأفهم مـــا تقـــولُ بطرفِهـــا ويـــردّ طرفـــي مثـــلَ ذاك فـــتفهمُ

3- **المنطوق والمسكوت عنه:** فقد يكون المقصود من الكلام هو أمر مسكوت عنه، وهو غير الكلام المنطوق؛ أي: يكون الاعتبار لأمر ما مسكوت عنه، ويتم التنبه إليه من خلال السياق، كقول أحدهم لصديقه في العمل حين دخلوا غرفة العمل وجلسوا: ما أشد حرارة الغرفة!، فيقوم صديقه بعمل ما هو مفهوم من الكلام، وهو فتح شباك الغرفة، أو تشغيل المروحة، أو كلاهما.

ومن الأمثلة الجلية التي يقدمها أصحاب مدرسة السياق في قضية المنطوق والمسكوت عنه أن حدثاً حصل بين (بيتر) و(ماري)[2] ، حيث سألها: **هل تريدين بعض القهوة؟** فأجابته: القهوة تجعلني متيقِّظة، حيث نلاحظ أنَّ جوابها يحتمل مقصِدين مختلِفَين: مقصِد الموافقة، ومقصِد الرفض، ولا يمكن معرفة المقصد الصحيح إلا من خلال سياق الحال، فإن كانتْ (ماري) متعبة وتشعر بالنعاس، فإنَّ بيتر سيعرف أنَّها ترفض القهوة، ولكن إذا كان كلاهما مطلوباً منه عمل محدد، ويجب إنجازه هذه الليلة، وقد اتفقا على السهر لأجل ذلك، فإنَّ بيتر بالتأكيد سيعرف أنها موافقة على عرضه، وذلك أيضاً لا يتم إلا من خلال سياق الحال والأحوال الحاضرة، وفي موقف سياقي ثانٍ، قد يسأل (بيتر) (ماري): **هل تريدين قهوة ؟** فتجيبه: نعم أريد، فيترتب على هذا السؤال سؤال آخر عند مَن ينظر إلى السّياقِ مِن الخارج: ما طبيعة القهوة التي تريدُها ماري؟ هل تريد عُلبة مِن حبيبات القهوة؟ أم قهوةً مطحونة؟ أم أنّها تريد قهوة جاهزة للشرب؟ إن مكان السّياقِ – وهو أحد عناصر سياق الحال- هو الذي سيكشف النّقاب عن المعنى، فربّما كانا يتجولان معاً في أحد المتاجر الكبيرة، ثمّ رأى (بيتر) بعض علب القهوة

([1]) ينظر: الأصبهاني: محمد بن داود بن علي بن خلف، الزهرة، (ص35).

([2]) S. Soon, Lexical Ambiguity in Poetry, Longman Publishing, New York, 1994, , p70-71.

المعروضة للبيع، فجعلته هذه الرّؤية يسأل ماري، فوافقت الأخيرة لأنّ القهوة قد أوشكت على النفاد من البيت.

5- **تعدد الأغراض للأسلوب الواحد:** فقد فرَّق اللغويون بين المعاني المختلفة للأسلوب الإنشائي الواحد، فيرون بأنَّ المعاني قد تختلف عن المعنى الأصلي للأسلوب باختلاف سياق الحال، ومن الأمثلة على ذلك أسلوب الأمر، فمن الواضح بلا شكٍّ أنَّ المتكلم قد يستخدم هذا الأسلوب ولكنَّه لا يقصد الأمر بالتحديد، فقد يكون الأمر في سياق الدعاء، أو الطلب، أو النهي، كل ذلك لا يتحدد إلا من خلال السياق، كقولنا: (اللهمَّ اغفر لنا ذنوبنا)، فالغرض هنا الدعاء، وكقولك: (عُد يا زمان)، بغرض التمني، وغرض التحقير في قوله تعالى: ﴿**قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيْداً**﴾[1].

ومن الأمثلة الحسنة في هذا الباب قوله تعالى: ﴿**اعْمَلُوا مَا شِئْتُم**﴾[2]، وقوله – صلى الله عليه وسلم– في شأن من حضر بدراً: "لَعَلَّ اللَّهَ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ"[3]، حيث إنَّ معنى الأمر في الآية الكريمة هو التهديد، بينما معنى الأمر في الحديث هو التلطف، بالرغم من وحدة الصيغة بين الآية والحديث، لكن اختلاف السياق في كل منهما يقتضي انصراف الدلالة العامة للأسلوب مرة إلى التهديد وأخرى إلى التلطف[4].

5- **مخالفة اللفظ للمعنى:** إنَّ مخالفة ظاهر اللفظ للمعنى هي قضية لغوية شائكة، لا يقدِّم لها الحل النهائي ولا يُظهِر معناها بوضوح إلا وقائع سياق الحال، وهي ظاهرة موجودة في الكثير من اللغات، ولكنَّها بشكل أكبر في اللغة العربية بسبب اتساع ألفاظها ووفرة مشتقاتها، يقول ابن فارس في كتابه اللغوي القيِّم المشهور (الصاحبيّ في فقه اللغة العربية): "ومن سنن

([1]) [الإسراء: 50].

([2]) [فصلت: 40].

([3]) [أبو داود: سنن أبي داود، باب في حكم الجاسوس إذا كان مسلماً، 47/3: رقم الحديث: 2650].

([4]) ينظر: ردة الطلحي، دلالة السياق، جامعة أم القرى، (ج159/1).

العرب مخالفةُ ظاهرِ اللّفظ معناه، كقولِهم عند المدح: "قاتله الله ما أشعرَه"، فهم يقولون هذا ولا يريدون وقوعَه"[1].

ويُشبه ما سبق قول أحد الأصدقاء للآخر – وهما صديقان حميمان– : "عدِمَتْك أمُّك"، وليس هناك شك في أنَّ سياق الحال في هذا الكلام هو المحبّة والتوادُد، حيث شاركت هذه المحبةُ في بيان المعنى المخالفِ لظاهر اللفظ، فجعلت الطرف الثاني يتقبل الكلام مع ابتسامة على شفتَيه، إلا أنَّ هذه العبارةُ في سياقٍ آخر قد تدل على الحقد والضغينة التي في قلب قائلها، فينتقل هذا الحقد إلى مدلول العبارة مصحوباً بتنغيم متماشٍ مع سياقِ الحال، مما يجعل الطرف الثّاني يردُّ على الأول بأسوأ منها؛ إنَّ مخالفة ظاهر اللفظ لمعناه تتفق– مِن أوجه كثيرة – مع مقولة لسانية حديثة لجون لاينز، يقول فيها: "إنَّنا لا نحتاج أن نعني ما نقول؛ لأنَّ باستطاعتنا عن طريق الاستخدام المناسب للتنغيم أن نكون ساخرين؛ فجملة :"هذه الفتاةُ ماهرة جداً"، قد تعني: هذه الفتاة ليست ماهرة! وباستطاعتنا بالتنغيم المناسب أيضاً، أن نجعل معنى الجملة يوحي بأنّها "على الأصحّ غبيّة"[2].

أهم الميزات التي يتمتع بها منهج فيرث السياقي:

لقد حصل هذا المنهج على نصيب كبير من الدراسة والبحث في الأوساط اللغوية الغربية والعربية في الدرس اللغوي الحديث، منذ عهد فيرث نفسه، وما بعده حتى وقتنا هذا، وكان من أهم ميزات هذا المنهج[3]:

1– أنَّه يجعل المعنى سهل الانقياد للملاحظة والتحليل الموضوعي، وبحسب تعبير فيرث فإنَّ تحليله يبتعد عن فحص الحالات العقلية الداخلية التي تعد لغزاً مهما حاولنا تفسيرها، ويعالج الكلمات على اعتبار أنَّها أحداث وأفعال وعادات تقبل الموضوعية والملاحظة في حياة الجماعة المحيطة بنا.

([1]) ابن فارس، الصاحبيّ في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، تح: عمر الطباع، مكتبة المعارف، بيروت، ط1، 1993م، (ص205).

([2]) مهدي أسعد عرار، التراكيب النحوية في ضوء مدرسة السياق، (ص13 و14).

([3]) أحمد مختار عمر، علم الدلالة، (ص73).

2- أنَّه لم يَخرج في تحليله اللغوي عن دائرة اللغة، وبهذا يكون قد نجا من النقد الموجه إلى المناهج الدلالية الأخرى (النظرية الإشارية، والنظرية التصورية- والنظرية السلوكية)، حيث اعتبر اللغويون أنَّ مشكلة تلك المناهج في دراسة المعنى أنَّ كلاً منها قام بشرح الدلالة في ضوء متطلبات عملية أخرى، واعتبروا أنَّ البحث عن تفسير للظواهر اللغوية خارج إطار اللغة يشبه البحث عن منفذ للخروج من غرفة ليس لها نوافذ ولا أبواب، ومن المفترض أن نقنع بتقصي ما هو موجود داخل الغرفة؛ أي: إنَّ ندرس العلاقات داخل اللغة.

3- يعمل منهج فيرث على جمْع البناء اللغوي الأصيل مع السياق في قالب موحَّد، بُغية الوصول إلى الجانب الوظيفي للغة، والذي يعتبر الجانب الأهم الذي جاءت من أجله اللغات الإنسانية، وقد ترتب على هذا الأمر إفساح المجال للباحثين لتوجيه الاهتمام نحو السياق اللغوي، والارتباطات الممكنة له بسياق المقام، بدلاً من صرف الانتباه إلى العلاقات الذهنية والتحليلات النفسية بين اللغة والعقل.

الانتقادات التي وُجهت لنظرية السياق:

على الرغم مما قدمناه من تبرير علمي لهذه النظرية، إلا أنَّها قد واجهت مجموعة من الانتقادات، أبرزها:

1- أنَّ فيرث لم يقدم نظرية شاملة للتركيب اللغوي، واكتفى فقط بتقديم نظرية للدلالة، على اعتبار أن المعنى يجب أن يكون مركباً من العلاقات السياقية، ومن الأصوات والنحو والمعاجم والدلالة، وأنَّه كان من المفترض أن يعالج هذه الأمور بالتوازي مع المعالجة الدلالية[1].

2- كما اتهمها بعض اللغويين بالضعف والفتور، فيرى الدكتور فوزي الشايب أن هذه النظرية التي يمكن تلخيصها في المعادلة: المعنى = السياق القابل للملاحظة، لا تستطيع أن تتعامل إلا مع حالات بسيطة في الاستعمالات اللغوية، وأنه في معظم حالات الاتصال اللغوي (رواية قصة، أو إعطاء محاضرة، أو نشرة الأخبار...) فإنَّ

([1]) ينظر: أحمد مختار عمر، علم الدلالة، (ص73).

ملاحظة الحالة التي يكون فيها المتكلم والسامع والظروف المحيطة بهما، لن تخبرنا – إن وُجد ما تخبرنا به– إلا بالقليل بشأن المعنى المقصود[1].

3– وممن انتقدوا هذه النظرية اللغوي (ستيفن أولمان) الذي نظر إلى فيرث ومن وافقه على أنَّهم مبالغون في قضية السياق، واعتبر أنهم يُلغون دور المعنى المعجمي، ويرى بأنَّ الكلمة خارج السياق لها معنى أو معانٍ أساسية يجب أن يُعتبر، وعندما توضع هذه الكلمة في السياق فإنَّه بالتأكيد يُشارك المعنى الأساسي في التعرف على المعنى الكامل، ولكن ليس السياق هو الأساس.

يقول أولمان: "كثيراً ما يرددون القول بأن الكلمات لا معنى لها على الإطلاق خارج مكانها في النظم، يقول القائل عندما أستعمل كلمة يكون معناها هو الذي أختاره لها فقط لا أكثر ولا أقل!"[2] ، ويهاجم منهج فيرث قائلاً: "هل الكلمات المفردة لا معنى لها على الإطلاق؟ كيف تُصنف المعاجم إذا لم يكن لهذه الكلمات معانٍ؟ إننا لا ننكر أن الكثير من هذه الكلمات يعتريها الغموض الشديد، وأن ألوانها المعنوية غالباً ما تكون مائعة، وغير محددة بشكل دقيق، ولكن مع ذلك فإن هذه الكلمات لا بد أن يكون لها معنى، أو عدة معان مركزية ثابتة"[3].

وأيدَّه في هذه النقطة اللغوي الإنجليزي جون لاينز الذي كان ممن أخذوا على هذه النظرية أنَّها لا تُعنى بعلاقات المعنى على المستوى المعجمي بشكل جيد، كعلاقة التضمين، والتضاد، والترادف، والترابط بين المعنى والإشارة، بدعوى أنَّ فيرث لا يؤمن بوجود العلاقة بين اللفظ والمعنى في العقل، لاعتباره أن التفكير العقلي كيان مجرد لا يمكن إدراكه أو التكهن به، لذلك آمن بالعلاقات بين العناصر اللغوية وسياقات استعمالها؛ بوصفها أمراً يمكن ملاحظته[4].

([1]) ينظر: يحيى عباينة وآمنة الزعبي، علم اللغة المعاصر، (ص44).

([2]) ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، (ص55).

([3]) ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، (ص57).

([4]) ينظر: خالد مزعل، مفهوم المعنى في مدرسة لندن اللغوية، (ص317).

4- كما اتهمها بعضُ اللغويين بالسذاجة؛ لأنَّ الكلام يمكن أن يحدث في حال غياب الأشياء التي تتكلم عنها النظرية، وهو ما سماه بلومفيلد (التجريد)، ذلك أنَّه يوجد الكثير من الأشكال اللغوية، مثل حالات العقل، غير قابلة للملاحظة، كما أنَّ بعض الألفاظ ليس لها رابط للملاحظة في العالم الواقعي على الإطلاق[1].

5- وقد كان نقد بعضهم لها بدعوى أنَّها غير جديدة؛ وأن الدراسات العربية الإسلامية التي قامت حول السياق كانت من السبق والعمق معاً بحيث تتفوق على نظيرتها التي قامت في العصر الحديث في إنجلترا!، وأنَّ النظريات العربية التي أسَّست لدراسة السياق كانت أشمل من النظريات الغربية الحديثة أسسها مالينوفيسكي وفيرث![2].

وإنِّي لأعجب من هذا النقد الذي يبالغ فيه صاحبه إلى حدٍّ كبير، فالجميع يشهد بدور الدراسات العربية والإسلامية الأصيلة في التأسيس لأفكار لغوية تدعم نظرية السياق الحديثة، ولكن تلك الأفكار لم تكن أشمل وأعمق من نظرية السياق عند فيرث، فالتحليلات اللغوية والتفاصيل والمعلومات التي انطلق بها فيرث شكلت نظرية متكاملة الأركان، وأصبحت محل دراسة وبحث في كافة اللغات وفي معظم البلدان.

يقول الدكتور أحمد مختار عمر: "إن معالجة قضايا علم الدلالة بشكل عام – ومنها نظرية السياق– بالمفهوم العلمي، ومناهج البحث الخاصة، على أيدي لغويين مختصين، إنَّما هو ثمرة من ثمار الدراسات اللغوية الحديثة، وواحدة من نتائجها، وليس معنى وجود الاهتمام بمباحث الدلالة عند اللغويين القدماء أنَّ هذا العلم قديم في نشأته قدم الدراسات اللغوية، ولكن نقول إنَّ بعض مباحثه قد أثيرت، وبعض أفكاره قد طرحت للمناقشة، ولكن دون فصله أو تمييزه عن باقي فروع علم اللغة"[3].

([1]) يحيى عباينة وآمنة الزعبي، علم اللغة المعاصر، (ص44).

([2]) روح الله صيّادي نجاد، دور السياق اللغويّ في تعليم اللّغة العربيّة للنّاطقين بغيرها، (ص118).

([3]) أحمد مختار عمر، علم الدلالة، (ص21 و22).

6- كما رأى بعضهم أنَّ هذه النظرية بالرغم مما يحسب لها من توجيهها للاهتمام بالنواحي الاجتماعية والسياقية للمعنى والتي كانت مهملة سابقاً؛ إلا أنَّها أثرت بشكل مضاد على المقصود، فقد صرف عقل الباحثين بعيداً عن الدراسة الحقيقة للمعطيات بدل أن توجه إليها، ولذلك فإنَّ هذه النظرية – وفق رأيهم – لم تحقق إلا نجاحاً محدوداً[1].

7- اعتبر بعض اللغويين أنَّ هذا المنهج لا يفيد من تصادفه كلمة ما عجز السياق عن إيضاح معناها، فلن يستفيد شيئاً إن قلت له إن هذه الكلمة تأتي في السياقات الآتية..، ولكنه يفيد الباحثين الذين يريدون تتبع استخدامات الكلمة، والاستعمال العملي لها في التعبيرات المختلفة.

وقد ردَّ بالمر على الرافضين والمعارضين لهذه النظرية فقال: "من السهل أن نُقلِّل من شأن النظرية السياقية – مثلما فعل بعض العلماء- أو أن نرفضها باعتبار أنَّها ليست عملية، لكن سيكون من الصعب أن نتخيل كيف يمكننا أن نرفضها دون إنكار الحقيقة الواضحة التي تقول بأنَّ معنى الكلمات والجمل يرتبط بعالم التطبيق"[2].

وأنا أحسب بأنَّ سبب هذه الانتقادات هو أنَّ جون فيرث لم يقدِّم لنا نظرية السياق في كتاب واحد أو مؤلَّف محدَّد، أو حتى في مجموعة متتالية من البحوث المتصلة، بل كانت مفاهيمها ومكوناتها وتوضيحاتها في أبحاث متفرقة، وقد تمَّ جمعها بعد وفاته، وحتى عملية الجمع والطباعة والنشر تمت في سنوات متباعدة.

وفيما يتعلق بعدم اكتمال النظرية أو عدم شموليتها للتركيب اللغوي، وعدم عنايتها بعلاقات المعنى على المستوى المعجمي، أو الانتقادات التي اتهمتها بالبساطة والسذاجة أو الضعف والفتور، فإنِّي أرى أنَّ هذه الانتقادات لها سببان اثنان:

([1]) يحيى عباينة وآمنة الزعبي، علم اللغة المعاصر، (ص45).

([2]) بالمر ف.ر، علم الدلالة إطار جديد، (ص80).

1- أولهما سياسة الانتقاد الروتينية من لغويي المدرسة الأمريكية وأتباعهم لمنجزات المدرسة الإنجليزية وأتباعها، حيث يظهر لنا بكل وضوح أنَّ فيرث قد بدا واضحاً في مفاهيمه وتطبيقاته وتوصيفاته.

2- والسبب الثاني هو أنَّه بالفعل كانت هناك بعض الأمور التي تحتاج بعض التطوير في الجانب النظري والتطبيقي، "وقد كان فيرث مستمراً في تطويره للنظرية، لولا أنَّ الأجل قد وافاه وحال دون بلوغ بعض أفكاره مرحلة النضج التام، فكان الطريق معبداً لتلميذه مايكل هاليدي ليطور النظرية ويضع ما أسماه بنظرية النحو النظامي"[1].

الخاتمة:

لقد نالت نظرية السياق حظاً وافراً من الدراسة والبحث في الأوساط اللغوية الغربية والعربية في الدرس اللغوي الحديث بعد فيرث، وهذا إن دلَّ فإنَّما يدلُّ على مدى أهميتها في الدرس اللغوي، وكان من أهم الدارسين لها البروفيسور **مايكل هاليدي**، وهو أحد تلامذة فيرث، ويعتبر أشهر لغويي المدرسة الإنجليزية والمؤسس الثاني لها بعد جون فيرث.

وقد "طور هاليدي النظرية السياقية، ووضع نظرية مبنية على آثارها أسماها نظرية (النحو النظامي)، وهذه النظرية تُبنى على أساس تعدد وظائف اللغة، وهذا يعني أن مستعمل اللغة يجد أمامه من الوسائل التعبيرية ما تمكنه من التعبير عن أفكاره ومشاعره"[2].

فمن خلال دراساته حول الترابط اللغوي وتحليل النصوص؛ طور فكرة السياق، واقترح أسلوباً آخر لتحديد العناصر السياقية التي تعمل على تحديد معنى النص، وهذا الأسلوب يوظف ثلاثة مصطلحات هي: الحقل: وهو المجال الطبيعي الاجتماعي الذي يكون مسرحاً للنص، والتوجهات: وتشمل العلاقات بين المشاركين في الحقل اللغوي، والنمط: وهو الوسيلة المتتبعة في النص (أو الحدث اللغوي) ويشمل الأسلوب اللغوي والوسائل البلاغية، ويؤكد هاليدي على فكرة مهمة وهي أن هذه العناصر لا ينبغي أن تعامل على أنَّها أنواع من

([1]) خالد مزعل، مفهوم المعنى في مدرسة لندن اللغوية، ص317.

([2]) أحمد عماش، جهود هاليدي في الاتجاه الوظيفي، ص2.

الاستعمال اللغوي، ولكنَّها إطار نظري لتمثيل السياق الاجتماعي الذي يستطيع المتكلم بواسطته أداء المعاني[1].

"ويعتبر ما قدمه هاليدي من تطوير لنظرية السياق من أكثر توجهات المدرسة اللسانية الإنجليزية تكاملاً، فهو يرى بأنَّ استطاعة المتكلم في استعمال اللغة تقع ضمن الإمكانيات التي تسمح بها اللغة، وهو بهذا يؤكد الجانب الوظيفي للغة، ومع ذلك فهو يرى أهمية تصنيف هذه الوظائف ضمن نظام يعبر عن استخداماتها، وقد أسمى هذا النظام (النحو النظامي systemic grammar)، وتقوم نظرية النحو النظامي على مجموعة من الخصائص:

1- الشكل: وهو تنظيم أجزاء اللغة بحسب قواعد النحو والصرف.

2- المادة: وهي الجانب الصوتي والكتابي.

3- السياق: ويقصد به العلاقة بين الشكل والمواقف"[2].

إنَّ نظرية السياق لِجون فيرث سوف تبقى عملاً لغوياً علمياً رائداً، بالرغم مما تَقَدَّمَ من انتقادات، فقد اتسمت النظرية بالموضوعية، كما أنَّها لم تتغافل عن البناء اللغوي الأصيل، بل جمَعَتْه والسياق في قالب موحَّد، بُغية الوصول إلى الجانب الوظيفي للغة، والذي يعتبر الجانب الأهم الذي جاءت من أجله اللغات الإنسانية، كما أفسحت الطريق للباحثين لتوجيه الاهتمام نحو السياق اللغوي نفسه، والارتباطات الممكنة له بالمقام، بدلاً من صرف الانتباه إلى العلاقات الذهنية بين اللغة والعقل، والمبالغة في تحليل العمليات النفسية التي تتكون في العقل، وما إلى ذلك من أمور لا تُسمن اللغة ولا تُغنيها من جوع.

([1]) يحيى أحمد، الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة، (ص85).

([2]) أحمد عماش، جهود هاليدي في الاتجاه الوظيفي، (ص2).

المبحث الثاني: المتلازمات (المُصاحِبات) اللغوية عند جون فيرث

تمهيد:

التلازم اللغوي (اللفظي) أو ما يُعرف في الانجليزية بـ **Collocation**، ظاهرة لغوية تنتشر في جميع اللغات الإنسانية، ولا تقتصر على لغة بعينها، وفي لغتنا العربية يوجد الكثير من هذه المتلازمات، حيث حظيت باهتمام العرب منذ القِدَم، واشتمل القرآن الكريم على الكثير من أمثلة هذه التراكيب، كما كان للعرب مجموعة من المؤلفات التي تناولت ظاهرة المتلازمات، مثل: الألفاظ الكتابية لعبد الرحمن الهمذاني (ت327هـ)، وجواهر الألفاظ لقدامة بن جعفر (ت337هـ)، وكتابي فقه اللغة، وثمار القلوب في المضاف والمنسوب لأبي منصور الثعالبي (ت429هـ)، والفروق اللغوية لأبى هلال العسكري (ت395هـ)، وإصلاح المنطق لابن السكيت (ت244هـ).

وتُكتسَب هذه الظاهرة من البيئة المحيطة بالفرد، فنراها ظاهرة على لسانه أثناء الاستعمال دون قصد أو تكلف، فيتلقاها المستمع مستسيغاً إيَّاها إن وردت كما هي في الاستعمال اللغوي المعتاد، وأمَّا إن حصل عليها بعض التغيير فتختلف درجة استساغتها وقبولها، وأحياناً قد لا يقبلها إذا اختلفت عن استعماله اللغوي، ومن هنا تبدو قيمة المتلازمات اللغوية في الدرس اللساني بوصفها قضية لغوية تستحق العناية والدراسة المستقلة؛ لأثرها الواضح في عملية الاكتساب اللغوي، ولما لها من دور مهم في أداء المعنى اللغوي السليم وسلاسة التواصل اللغوي وإثرائه[1].

وبالرغم من اعتبار هذه القضية امتداداً لنظرية السياق أو تطوراً عنها؛ إلا أنَّ هناك من اعتبروها نظرية مستقلة وأطلقوا عليها اسم (**collocation theory**)، نظراً لما تميزت

([1]) ينظر: إبراهيم الذبيان، منزلة المتلازمات اللفظية في تعليم اللغة الثانية، مجلة الجمعية العلمية السعودية للغة العربية، العدد السادس عشر، السعودية، 1426هـ، (ص14).

به من أحكام، وما وُضع لها من قواعد، يقول (أولمان): (هناك تطور هام للمفهوم العملي للمعنى تمثل في دارسة طرق الرصف أو النظم، وهو ما ركز عليه فيرث وأتباعه)[1].

إنَّ مفهوم المصاحبة أو التلازم في الدرس اللساني الحديث ارتبط باللساني الإنجليزي جون فيرث رأس النظرية السياقية، والتي كان لها الفضل في تحديد مآلات التصاحب والتلازم، وترى هذه النظرية أنَّ مصاحبة اللفظة للفظة أخرى هو عامل مهم في تحديد معنى تلك اللفظة، كما أنَّ الكلمات المتصاحبة مع كل كلمة تعتبر جزءاً من معناها، يقول فيرث: (إنَّك ستعرف الكلمة عن طريق ما يصاحبها)[2].

إنَّ المتكلمين في حواراتهم اليومية يستخدمون كلمات تتصاحب مع كلمات أخرى، والمعاني المختلفة لكلمة ما لا يمكن تمييزها إلا من خلال التصاحبات التي تظهر مع تلك الكلمة، فنحن في الحقيقة نلاحظ نوعاً من الترابط بين الكلمات مع كلمات أخرى يطلق عليه في اللسانيات (التضام) أو (التصاحب اللغوي)، إنَّ التصاحب اللغوي يعتبر من أهم الظواهر الواجب دراستها لخدمة مجالات تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، فالطالب على أساس هذا المنهج يتعلم أن يقول: (يرتدي ملابس) و(يضع قبعة)، في حين أنَّه لا يمكنه أن يقول: (يضع ملابس) و(يرتدي قبعة)[3].

"وقد كانت هذه الظاهرة اللغوية موجودة منذ القِدَم في المعاجم والكتب العربية، إلا أنها لم تكن مقصودة بذاتها، بحيث جاءت مبثوثة في ثنايا تلك المعاجم والكتب، ولم تجد العناية الحقيقية إلا في القرن العشرين، على يد بعض اللسانيين الغربيين على رأسهم **جون فيرث** وتلاميذه.

وأمَّا في الدراسات اللغوية العربية فإنَّ الاهتمام بهذه الظاهرة لم يطفُ على الساحة إلا في الربع الأخير من القرن الماضي، وذلك من خلال جمع التعبيرات المقيدة ورصدها من

([1]) ينظر: أحمد مختار عمر، علم الدلالة، (ص74).

([2]) ينظر: مفلاح عبدالله، المصاحبات اللفظية في رسالة المعاش والمعاد للجاحظ، مجلة لغة– كلام، العدد2، مجلد 3، المركز الجامعي بغليزان، الجزائر، 2017م، (ص271 و272).

([3]) ينظر: روح الله صيّادي نجاد، دور السياق اللغويّ في تعليم اللّغة العربيّة للنّاطقين بغيرها، (ص120).

بطون الكتب، بالإضافة إلى عقد المؤتمرات التي تعنى بدراسة هذه الظاهرة، وفي مجال تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها أُلِّفت بعض الكتب التعليمية التي تهتم بهذه الظاهرة، كما كُتبت العديد من الأبحاث التي تبين أهمية هذه الظاهرة وأثرها في تعليم العربية لغير الناطقين بها"[1].

تسمية ومفهوم المتلازمات اللغوية:

سُميت بالمُتلازمات والمصاحبات؛ لأنَّ ألفاظها يُلازمُ بَعضُها بَعضاً، ويقترن بعضها ببعض، ويأتي بعضها مصحوباً بالآخر، كما يطلق عليها أيضاً المتلازمات الاصطلاحية؛ واكتسبت وصف الاصطلاحيّةِ؛ لأنَّها تأتي على هيئة واحدة، وصارت تستخدم على هيئتها هذه من غير تغيير أو إضافة أو حذف، ومن ثم أصبحت مادة معجمية تلزم عمل كل الباحثين في اللغة، ومن مواصفاتها الدلالية أيضاً أنَّها قد تحتوي على صورة بيانية كالاستعارة أو الكناية أو المجاز، وإذا فصلنا أجزاء المصاحبة عن بعضها فإنَّها تفقد هذه الصورة البيانية.

والمصاحبات اللفظية هي ألفاظ بينها تناغم وترادف، بِحكم التعود عليها في الدلالة والاستخدام، وينتج عن تصاحبها مع بعضها البعض معنى جديد، يختلف اختلافاً كاملاً عن دلالة معانيها اللغوية في حال كونها مفردة، وتنتقلُ هذه الألفاظ بالتصاحب إلى دلالات جديدة اجتماعية وثقافية ونفسية وسياسية وغير ذلك.

وقد استعمل جون فيرث مؤسس هذه النظرية في العصر الحديث مصطلح **Collocation** للدلالة على هذه الظاهرة، وجاء اللغويون العرب المحدثون من بعد فيرث سواء من طلابه أو من غيرهم وقاموا بترجمة هذا المصطلح **Collocation** كل منهم بحسب ما رآه مناسباً، فظهرت لدينا مجموعة من المصطلحات.

ومن أبرز هذه المصطلحات التي ترجمها اللغويون العرب: المتلازمات اللفظية، المتلازمات اللغوية، المتصاحبات اللفظية، المتصاحبات اللغوية، المتصاحبات المعجمية، المقترنات اللفظية، المترافقات اللفظية، والرصف، والتوارُد، التتابع ، التضام، التراصف، المصاحبات اللفظية، التجمعات اللفظية، المتواردات اللفظية، والمسكوكات، الاقتران اللفظي.

([1]) إبراهيم الذبيان، منزلة المتلازمات اللفظية في تعليم اللغة الثانية، (ص14و15).

والمصطلح الذي سأعتمده في هذه الدراسة هو الذي وضعته في عنوان المبحث وهو (المتلازمات أو المصاحبات اللغوية)، علماً بأنَّ هذه المصطلحات التي ذكرتها آنفاً **وإن اختلفت لفظاً إلا أنها تتفق اتفاقاً تاماً في المفهوم وفي الوظيفة**، فجميع التعريفات التي تناولت هذه المصطلحات –كما سأبين بعد قليل – تركز على تشارك لفظين أو أكثر قد انسجما معاً من أجل أداء معنى جديد.

الأصل اللغوي لهذا المصطلح (لتلازُم) كما جاء في لسان العرب عند ابن منظور هو من المادة: "لزِمَ الشيء يلزمه لَزْماً ولزوماً، ولازمه ملازمة ولِزاماً،... ورجُل لُزَمَة؛ أي: يلزم الشيء فلا يفارقه"[1]، وجاء في المعجم الوسيط: "لزم الشيء: ثبت ودام، لازمه ملازمة ولزاماً أي داوم عليه"[2].

وأما في الاصطلاح، فقد عرفها قاموس دار العلم للمتلازمات اللفظية على أنَّها: "عبارات بلاغية متواردة مؤلفة عادة من كلمتين، وأحياناً ثلاث أو أكثر، تتوارد مع بعضها عادة وتتلازم في اللغة، فهي متلازمات؛ لأنَّها تلازم بعضها بعضاً من حيث ورودها في اللغة، فالتلازم إذاً من التوارد والتوافق المتكررين للكلمات مع بعضها"[3].

وعرفها محمد حلمي خليل على أنَّها: "تجمعات معجمية لكلمتين أو أكثر ترد عادة مع بعضها بعضاً، لكنها رغماً عن ذلك تستعمل بمعانيها غير الاصطلاحية، وكل مكون من مكونات التلازم هو مكون دلالي له كيانه ومعناه"[4].

"وفي الاتجاه ذاته، يذهب محمد الخطابي إلى أنَّ هذا المفهوم يقوم على تجاور لفظتين تجاوراً حتمياً، فيقول: (هو ما استلزم عنصرين لغويين أو أكثر، استلزاماً ضرورياً، أو

([1]) ابن منظور، لسان العرب، مادة (ل ز م).

([2]) إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، مؤسسة الإمام الصادق للطباعة والنشر، إيران، ط2، 1999م، (ج563/2).

([3]) حسن غزالة، قاموس دار العلم للمتلازمات اللفظية، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 2007م، (ص5و6).

([4]) محمد حلمي خليل، الأسس النظرية لوضع معجم للمتلازمات اللفظية العربية، مجلة المعجمية، عدد 12، تونس، 1997م، (ص228).

هو الترابط الأفقي الطبيعي ما بين الكلمات، أو رفقة الكلمة وجيرتها لكلمات أخرى في السياق الطبيعي نحو (أهلاً وسهلاً)، وقد تطور هذا المفهوم وأصبح يعني دخول الكلمة في سياق مقبول مع الكلمات الأخرى، نحو: الفعل (أطلق)، فقد يقال: (أطلق لحيته)، (أطلق ساقيه للريح)، (أطلق الحبل على الغارب)، ولكن لكل منها معنى سياقي يخالف غيره"[1].

وقد استعمل تمام حسان للمصاحبات مصطلح التوارد واعتبر أنَّه "نصيب العلاقات المعجمية من تحديد المعنى اللغوي، وهو في كتابه (اللغة العربية معناها ومبناها) يعني أنَّ بعض الكلمات يُحدَّد لها استعمال معين، وإن أطلقه نظام اللغة، فليس ما يمنع من إضافة لفظ (جلالة) إلى مضاف إليه ذي جلال، ولكنَّ الاستعمال حدد ذلك بلفظ الملك، فيقال: (جلالة الملك)، كما يقال (حنان الأم)، و(العالم العلامة)[2].

"من خلال التعريفات السابقة يتضح أنَّ الرصف (التلازُم) هو العِشْرة اللفظية، وأُسميها عِشْرة؛ لأنَّها وكما ورد في التعريفات تتكئ على الاعتياد والاستعمال، وهما لفظان يشيان بقدر من المصاحبة الطويلة التي فرضها الاستعمال فأصبحت عادة في التكلم وتوقعاً في التلقي، وإنَّ هذا المفهوم يتحكم فيه شيئان:

الأول: العلاقات المعجمية بين الكلمات المتصاحبة.

الثاني: كثرة الاستعمال لعدد من الكلمات بشكل متصاحب.

وهذان هما العاملان الرئيسان في قصر مفهوم المصاحبة على ارتباط كلمة بكلمة أخرى في سياق واحد أو أكثر من سياق، وليس جميع السياقات"[3].

([1]) مفلاح عبدالله، المصاحبات اللفظية في رسالة المعاش والمعاد للجاحظ، (ص271).

([2]) ردة الطلحي، دلالة السياق، (ص167 و168).

([3]) المرجع السابق، (ص165).

أهمية المتلازمات اللغوية[1]:

تنبع أهمية هذه الظاهرة من أنَّها ضرورية في كثير من الأحيان، بحيث لا يمكن فهم بعض الكلمات إلا بعد التعرف على الكلمات الملازمة لها، فلا يمكن أن يتخيل أحدُنا أو يتوقع أنَّ معنى كلمة قصَّ (أورد) إلا إذا كانت ضمن المتلازمة (قصّ النبأ).

كما أنَّها توجِدُ درجة كبيرة من الدقة في استخدام الألفاظ ومعانيها، وتجعلنا نبتعد عن الألفاظ السطحية حتى نصل إلى مستوى راق في التعبير عن المعاني، وتكتسب الألفاظ من هذا المستوى قوة دلالية وبلاغية، ونلاحظ ذلك عندما نعبر عن ظهور الحق بقولنا: (حصص الحق)، فلو قلنا: (ظهر الحق)، لن يتسنى لنا أن نشعر بعظمة الموقف كما هو الحال في المتلازمة (حصحص الحق).

ويرى الدكتور محمد داود (أنَّ للمتلازمات اللفظية أهمية كبيرة جداً في تركيز المعنى والتعبير عنه بوضوح وبشكل دقيق، بما يحقق التواصل اللغوي، وأنَّ هذه التعبيرات تعمل على إثراء اللغة بإمكانات كبيرة من التعبير عن المعاني المختلفة).

إنَّ القيمة العلمية لهذه الظاهرة تتجلى بوضوح لأبناء اللغة من خلال أسلوبهم في استعمالهم لتلك المتلازمات بين مفرداتهم، فالباحثون في المعاجم العربية يرون أنَّ لجوء الناس للمتلازمات اللفظية يكون (إمَّا لتزيين الكلام وإكسابه غِنى وقوة في التأثير، نحو تعبيرهم عمن لا يصل في كلامه إلى نهاية: بأنَّه يدور في حلقة مفرغة، وإمَّا للتلطف في الحديث والتأدب في الكلام، من أجل تجنب التعبير المباشر والابتعاد عما يُستحى من تسميته أو يستهجن ذكره إلى الكناية، كقولهم: ذهب فلان لقضاء حاجته).

وتعتبر دراسة المتلازمات اللفظية ضرورة لغوية؛ لما لها من أهمية في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، وكذلك أهميتها في إنشاء المعاجم اللغوية التي "تشكل قضاياها المختلفة هاجساً واضحاً لدى المهتمين في مجال تعليم اللغات؛ لأنَّه فيما يبدو أنَّ المعاجم لم

([1]) مجدي حسين ومحمد الدخيل، مفهوم المتلازمات الاصطلاحية دراسة تطبيقية في معجم المتقن، مجلة الرانيري العالمية للدراسات الإسلامية، العدد الثاني، 2015م، (ص127).

تحُز على مكانة لائقة كما حازت على ذلك بعض عناصر اللغة الأخرى، على الرغم من أنَّ لها دوراً مهماً في عملية الاكتساب اللغوي"[1].

المتلازمات اللغوية في التراث العربي:

يقول عبد الفتاح البركاوي: "أمَّا اللغويون العرب، فإنَّهم ضربوا بسهم وافر في هذا الاتجاه وكشفوا عن المجالات المختلفة التي تستخدم فيها ألفاظ بأعينها، بحيث لو استخدم لفظ في غير ما يتناسب معه كان ذلك خطأ"[2].

ومن اللغويين العرب القدماء الذين انتبهوا إلى التلازم بين الألفاظ أحمد بن فارس(ت395هـ) في كتابه (الصاحبي في فقه اللغة)، تحت باب المحاذاة حيث يقول عن معنى المحاذاة: (أن يجعل كلام بحذاء كلام فيؤتى به على وزنه لفظاً وإن كانا مختلفين فيقولون: (الفدايا والعشايا)، ومثل قولهم: (أعوذ بك من السامة واللامة)[3]، ومن هنا نلاحظ أنَّ ابن فارس قد بين أنَّ اللفظ قد يأتي في صحبة لفظ آخر، وإن كان قد اشترط اتفاق وزن اللفظين، وكذلك في باب (الخصائص) نلمح بوضوح إدراك ابن فارس لظاهرة التصاحب بين الألفاظ، فيذكر مجموعة من الألفاظ المتصاحبة التي لا يجوز نقلها إلى غيرها، فيقول: (ولا يكون التأبين إلا لمدح الرجل ميتاً)، و(ألج الجمل)، و(خلأت الناقة)، و(حرن الفرس)، و(نفشت الغنم ليلاً وهملت نهاراً)، وغير ذلك الكثير من الأمثلة[4].

كما أنَّنا لو رجعنا إلى معاجم اللغة العربية، مثل معجم فقه اللغة وأسرار العربية لأبي منصور الثعالبي (ت398هـ)، سنجد أنَّه قد تكلم في مسألة توافق الألفاظ وانسجامها معاً، وذلك في أكثر من باب، منها كلامه عن أقسام الموت في فصل خاص، فهو يقول: "مات

([1]) إبراهيم الذبيان، منزلة المتلازمات اللفظية في تعليم اللغة الثانية، (ص13).

([2]) عبد الفتاح العليم البركاوي، دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث، دار المنار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1991، (ص72).

([3]) ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة العربية، (ص174).

([4]) ينظر: نصر الدين دفع الله، المصاحبة اللغوية ودلالتها في سياق الأحاديث النبوية، جامعة الجزيرة، السودان، 2015م، ط1، (ص25 و26).

الإنسان، نفق الحمار، طفس البردون، تنبل البعير"[1]، حيث وضع حدًّا للفصل في استعمال مفردة الموت مع مفردات أخرى، فهي تنسجم وتتناسب مع الإنسان، في حين أنَّها لا تتناسب ولا تتوافق مع البعير أو غيره، وبالتالي لا يُمكن أن نقول: (مات البعير).

كما يتضح أنَّ الجرجاني قد بنى فكرة النَّظم على تعليق الكلمات بعضها ببعض، وجعْل بعضها بسبب من بعض، وهو تعليق مشروط بالانسجام مع أحكام النحو ومناهج النحاة، كما أنَّ النظم عنده يعتمد على توالي الألفاظ، وتناسب الدلالات، وتلاقي المعاني على الوجه الذي يقتضيه العقل[2]، وقد اصطلح الجرجاني على تسمية ما يعرف بـ(معاني النحو)، وطرق التعليق؛ أي: تعلق الألفاظ ببعضها، مثل: تعلق الاسم بالاسم كأن يكون خبراً عنه أو حالاً منه أو تابعاً له، ومثل تعلق الاسم بالفعل كأن يكون فاعلاً له أو مفعولاً[3].

ولم يكن هؤلاء الذين ذكرتهم إلا قليلًا من كثير، وأمثلة بسيطة على إدراك العرب الأوائل لهذه الظاهرة، وقد كان غيرهم العشرات من علماء العربية ممن تنبه لهذه الظاهرة وذكروها في مصنفات كثيرة لا يتسع المقام هنا ذكرها.

المتلازمات اللغوية في الدرس اللساني الحديث:

وشأنها مع القدماء هو شأنها مع المحدثين؛ فقد نالت قضية المتلازمات اللغوية حظاً جيداً من البحث والدراسة عند اللغويين المحدثين سواء من الغرب أو العرب، وخاصة بعد أنَّ أذاعها فيرث ودرَّسها لطلابه في الجامعات البريطانية.

"فقد أثنى (فرانك بالمر) على فكرة المتلازمات عند فيرث وقال: (إنَّ الاتجاه الذي تبناه فيرث يبدو معتدلاً)، وعرف المتلازمة بأنَّها: (الاتجاه الذي تعرف به الكلمة من خلال قرينتها)، وأكَّد على أنَّ المتلازمات اللغوية لها دور في قبول بعض الألفاظ دلالة خاصة

([1]) أبو منصور الثعالبي، فقه اللغة وأسرار العربية، تحقيق: جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ط، 2001م، (ص170).

([2]) الجرجاني، دلائل الإعجاز، (ص49).

([3]) ناريمان براح، النظرية السياقية في الدرس اللساني قديماً وحديثاً، (ص163– 165).

تكتسبها، وأشار إلى أنَّ من الأمور التي تعين على تحديد التوافقات للكلمة مع غيرها وجود دراسات يستخلص منها إمكانية تحديد التوافقات بدلالة الكلمة المفردة والسياق"[1].

وأشار ستيفن أولمان – في أثناء حديثه عن السياق – ، إلى هذه الظاهرة اللغوية، فيقول: "تنشأ الكلمات المركبة كلما ضمت كلمتان مستقلتان إلى بعضهما البعض لتكوين كلمة جديدة، وهناك حالات بين بين يكون فيها الضم غير مستقر"[2].

كما اهتمَّ البروفيسور اللغوي هاليدي بوقوع الكلمات متجاورة لبعضها، واعتبر هذا الوقوع أحد معايير تحديد دلالة الكلمة، وأنَّ قائمة الكلمات المتراصة مع كل كلمة هي جزء من معناها، بحيث تتطلب كلمة ما حضور سلسلة من الكلمات التي تتراصف معها سياقاً، وتتوافق معها في الوقوع، ولأن الطبيعة الخطية للغة الإنسانية تقتضي تنسيق العناصر اللسانية الدالة بتواترها وتلاحقها ضمن متواليات لسانية غير متناهية؛ فإنَّ هاليدي يؤكِّد أنَّ وقوع عنصر ما في محيط مصاحبي هو أمر ممكن جداً ومتوقع[3].

وكان من اللغويين العرب المحدثين الذين تناولوا هذه القضية بالدراسة الدكتور أحمد مختار عمر في كتابه (علم الدلالة)، والدكتور محمد عبد العزيز في كتابه (مدخل إلى اللغة)، والدكتور تمام حسان في كتابه (اللغة العربية معناها ومبناها)، إلا أنَّهم لم يتفقوا على تسمية ومصطلح موحد لهذه القضية، بل ترجم كلٌّ منهم المصطلح الانجليزي (**Collocation**) ترجمة مختلفة عن الآخر، فظهرت لدينا التسميات المختلفة لهذه الظاهرة كما ذكرت من قبل، وإن كانت جميعها تدل على المعنى نفسه.

المتلازمات عند فيرث

لقد كان فيرث حريصاً على أن يقدم نظرية شاملة عن المعنى؛ لذلك لم يقتصر على المنهج السياقي الذي طرحه، بل تجاوزه إلى منحى آخر بدا فيه المعنى جلياً، وهو التلازم أو

([1]) نصر الدين دفع الله، المصاحبة اللغوية ودلالتها في سياق الأحاديث النبوية، (ص 34 و35).
([2]) ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، (ص160).
([3]) ينظر: ناريمان براح، النظرية السياقية في الدرس اللساني قديماً وحديثاً، (ص82).

التصاحب اللغوي **collocation**، وترجمه الباحثون العرب إلى عدة ألفاظ – تمت الإشارة إليها مسبقاً– ، وجميعها تصدق على المفهوم الذي قدمه فيرث، وقد ذكر فيرث أنَّ التلازم ظاهرة تقع في أغلب اللغات إن لم يكن جميعها، فهي تقع في العربية مثلما تقع في الإنجليزية أو الفرنسية أو غيرها، وقد وردت هذه الظاهرة عند علماء العربية قديماً ورصدوها في درج الكلام، فضلاً عن ورودها في سياقات التعبير القرآني، ومثال ذلك أن القرآن غالباً ما يذكر الإيمان مصحوباً بالعمل الصالح، فلو تتبعنا قوله تعالى: ﴿**الَّذِيْنَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ**﴾[1] لوجدناه تعبيراً مطرداً في أكثر من موضع في الذكر الحكيم[2].

وقد قدم فيرث مفهوم التلازم في إطار نظرية السياق، واعتبر أنَّ المستوى المصاحبي في التحليل اللغوي مرحلة متوسطة بين المرحلة المقامية **situational** والمرحلة القواعدية **grammatical** ، واقترح أن تعالج هذه الظاهرة كلياً أو جزئياً مع المعنى المعجمي، أو مع ذلك الجزء من معنى المفردات الذي يعتمد – لا على وظائفها في مقام خاص – بل على نوعها إلى أن تترافق في السياقات[3].

وعرف فيرث المتلازمات اللغوية بأنَّها: (الارتباط الاعتيادي لكلمة ما في لغة ما بكلمات أخرى معينة)، أو (استخدام وحدتين معجميتين منفصلتين – استخدامهما عادة مرتبطتين الواحدة بالأخرى)[4].

وقد قدَّمَ فيرث مثالاً على هذه الظاهرة وهو لفظة (**Ass**) في الانكليزية؛ أي: (حمار)، فهذه اللفظة غالباً ما تصاحب لفظة **Silly** ، فيقال **Silly you ass**، وتعني (أنت أيها الغبي)، وهناك كلمات أخرى ترد متساوقة مع هذه الكلمة، مثل: **Stupid** أبله – أحمق، وكذلك **Obstinate** عنيد، وأحياناً **Auful** مرعب، و**Egregious** فظيع – فاحش، وكذلك الحال في كلمة **Night** فمن الكلمات التي تصاحبها غالباً كلمة **Dark**، وفي

([1]) [الرعد: 29].

([2]) ينظر: خالد مزعل، مفهوم المعنى في مدرسة لندن اللغوية، (ص313 و314).

([3]) ينظر: مفلاح عبدالله، المصاحبات اللفظية في رسالة المعاش والمعاد للجاحظ، (ص272).

([4]) ينظر: أحمد مختار عمر، علم الدلالة، (ص74).

العربية لا نستخدم (سرب) مع الأغنام، بل نستخدم (قطيع)، في حين نستخدم الأولى مع الطيور[1].

ومن أمثلة المتلازمات اللغوية في اللغة العربية ارتباط كلمة (منصهر) مع مجموعة الكلمات: حديد – نحاس – ذهب – فضة، ولكنَّها لا ترتبط مع (جلد) مطلقاً، وعدم تلاؤم (جلد) مع هذه المجموعة لا يكفي لعدم صحة الارتباط أو توافق الوقوع بين (جلد) و(منصهر)، ولذلك نلجأ إلى الدليل الشكلي لإثبات عدم الملاءمة، وسيثبت الدليل الشكلي أنَّ الحديد والنحاس والذهب والفضة بينها مجموعة من القواسم المشتركة مثل الصلابة والثقل والبريق والبرودة، وهذه الصفات لا توجد في الجلد، وإنَّما يوجد بدلاً منها صفات الخفة والليونة وانطفاء اللون[2].

لقد اتخذ فيرث من التصاحب طريقاً مُمَنهجاً لرصد المعنى الناتج عن العلاقة الرابطة بين الألفاظ المتصاحبة على المستوى المعجمي؛ ذلك بأنَّ التصاحب يحمل ضرباً من المعنى يقع بين قسمين هما: الموقف **situation**، والنحو **grammar**، بحيث أنَّه لا ينتمي إلى أي منهما إلا جزئياً؛ فقد وجد فيرث أنَّه ينتمي إلى منطقة وسطى بينهما وهي المعجم، ويتم ذلك في الوقوف على معنى كل من الألفاظ المتصاحبة في المعجم؛ ليكون ذلك طريقاً إلى رصد العلاقة الجامعة بينهما، ومن ثُمَّ إظهار المعنى الناتج عن اجتماعهما[3].

"وقد فرّق فيرث بين نوعين من الرصف هما:

أ- الرصف العادي المتواجد بكثرة في أنواع مختلفة من الكلام.

ب- الرصف غير العادي المتواجد في بعض الأساليب الخاصة، وعند بعض الكتاب المعينين.

وهناك فرق بين التحليل التلازمي (التصاحبي) والتحليل النحوي، ففي حين يعالج التحليل النحوي (مجموعات الكلمات) (اسم – فعل – حرف) التي تحوي آلاف الكلمات التي

([1]) ينظر: خالد مزعل، مفهوم المعنى في مدرسة لندن اللغوية، (ص314).

([2]) ينظر: أحمد مختار عمر، علم الدلالة، (ص74).

([3]) ينظر: خالد مزعل، مفهوم المعنى في مدرسة لندن اللغوية، (ص314).

ليس لها علاقات متبادلة ذات أهمية دلالية، يعالج التحليل التلازمي الكلمات المفردة التي لها علاقات متبادلة ذات أهمية دلالية"[1].

"إنَّ الأنظمة اللغوية عند جون فيرث قسمان، قسم تمثله العلاقات الرأسية وفق مبدأ الاستبدال الموضعي بين عناصر اللغة في سياق معين، وقسم تمثله العلاقات الأفقية بين المفردات المتجاورة في الجملة، والتصاحب اللغوي تابع لهذا القسم من العلاقات (الأفقية)، بيد أنَّه تصاحب معجمي غير نحوي، لذلك عمد فيرث إلى دراسة هذه الظاهرة في شعر (سوينبرت) الشاعر الإنجليزي؛ لكي يؤكد ما ذهب إليه حينما اعتبر التصاحب ظاهرة مطردة في الكلام الاعتيادي وفي لغة الإبداع أيضاً (الأدب)، وقد ساق مثالاً من شعر سوينبرت يظهر فيه التصاحب بين المفردات بشكل واضح، وهو قوله:

Delight, the root less flower

And love, the bloom less bower

حيث يظهر في هذين الشطرين أنَّ التصاحب اللغوي قد وقع في موضعين: **root less flower** في الشطر الأول، وتعني جذر من دون وردة، والجذر هو أحد الألفاظ المصاحبة للوردة، بوصفه أساس الحياة فيها، ويقابله في الشطر الثاني التصاحب اللغوي **bloom less bower**، وتعني زهرة من دون خميلة، والزهرة هي جزء من عالم أوسع تصاحبه، وقد جسدته لفظة الخميلة، من هنا نقول إنَّ جون فيرث قد لاحظ ما في هذا التصاحب من تقنية تعبيرية ضمنها الشاعر معنى أضمره في توالي المتصاحبات اللغوية؛ لذا عمد إليها فيرث لبيان المدلول الذي تقدمه المتصاحبات على مستوى العلاقات الأفقية الكائنة بين العناصر اللفظية في القصيدة"[2].

([1]) أحمد مختار عمر، علم الدلالة، (ص77).

([2]) خالد مزعل، مفهوم المعنى في مدرسة لندن اللغوية، (ص314 و315).

"لقد أجاد فيرث توظيف مصطلح التركيب **Structure** في دراسته اللغوية واتخذ منه علاقة تبادلية بين العناصر اللغوية في نص أو جزء منه، وكان التلازم أو المصاحبة إحدى ظواهر هذا التركيب، في محاولة منه لإظهار أثر العلاقة الأفقية في المعنى"[1].

([1]) ناريمان براح، النظرية السياقية في الدرس اللساني قديماً وحديثاً، (ص80).

أشكال المصاحبات اللغوية وصورها:

تنقسم المتصاحبات اللفظية عند جون فيرث إلى قسمين[1]:

1- القسم الأول: **تركيب وصفي وإضافي:**

يتألف من **اسمين** أحدهما موصوف والآخر صفة، أو أحدهما مضاف والآخر مضاف إليه، ومن أمثلتها في اللغة العربية (بردٌ قارس) فيكثر استخدام هذين اللفظين معاً بحيث لا يكاد يستخدم العرب كلمة (قارس) إلا مع كلمة (برد)، ولا يكادون يستخدمون كلمة (شاهد) إلا مع (عيان).

ومن أمثلة التركيب الوصفي:

- بالسرعة القصوى.
- دعاء مأثور.

ومن أمثلة التركيب الإضافي:

- ريعان الشباب.
- سكرات الموت.
- طرفة عين.

2- القسم الثاني: **فعل واسم:**

وهو يتكون من فعل يكثر استعماله مع اسم، بحيث يعطي الكلام رونقاً خاصاً، فلدينا مثلاً تعبير (عقد اجتماعاً)، فلفظة (عقد) تستخدم في الأصل للعقود، كالزواج والبيع وغيرها، ولا يكون من الجيد أن نقول (فعل اجتماعاً).

ومن أمثلته أيضاً:

- (لمَّ شملَ): لمَّ شملَ أسرته.
- استباحَ عذراً.
- خرَّ صريعاً.

([1]) ينظر: روح الله صيّادي نجاد، دور السياق اللغويّ في تعليم اللّغة العربيّة للنّاطقين بغيرها، (ص121).

"ومن أهم ما تقدمه نظرية فيرث هذه مساعدتها في تحديد التعبيرات الاصطلاحية (**idioms**)، يقول أحمد مختار عمر: (إذا كان لفظ يقع متلازماً مع لفظ آخر دائماً فمن الممكن أن يستعمل هذا التوافق في الوقوع كمعيار لاعتبار هذا التجمع مفردة معجمية واحدة)، مثل: (وقع في ورطة، ولله درك)، وهي مركبات لفظية برغم بنيتها النحوية تصبح لها دلالتها المفردة، فتشبه الكلمة من حيث قبول استخدامها في مواقف متعددة مثلها مثل الأمثال والأقوال السائرة"[1].

إن تعبيراً متلازماً مثل: (لا بأس) الذي يستعمل في تقديرات المدرسين لكتابات الإنشاء التي يكتبها الطلاب، برغم كونه تركيباً ذا دلالة تساوي الامتياز؛ إذ إن نفي جنس البأس يقتضي مطلق الصحة، إلا أنَّ دلالته الصحيحة هي (إقرار بضعف مستوى الموضوع)، وإذا ما قارننا هذا التعبير بجوار (ممتاز – جيد جداً – جيد) فمعناه أنَّ الموضوع (مقبول)[2].

"إنَّ مذهب فيرث في التصاحب اللغوي يمثله الجانب المعجمي، ولا يتعدى إلى سياق الموقف الذي يعنى بربط الحدث الكلامي بسياقه الاجتماعي؛ لذا هو معنى خاص لا يتعدى جانب التناسق بين الألفاظ المتجاورة من حيث قبولها التصاحب معاً في سياقات مختلفة، ويبدو أنَّه من الأفضل إدراج هذه الظاهرة في نظرية الحقول الدلالية، فنقول: حقل الألفاظ المتلازمة"[3].

العلاقات بين الكلمات المتصاحبة

لقد حدد فيرث مجموعة من العلاقات المتنوعة بين المتلازمات اللفظية، وهي كما يأتي[4]:

([1]) ردة الطلحي، دلالة السياق، (ص168).

([2]) ينظر: المرجع السابق، (ص169).

([3]) خالد مزعل، مفهوم المعنى في مدرسة لندن اللغوية، (ص315).

([4]) روح الله صيّادي نجاد، دور السياق اللغويّ في تعليم اللّغة العربيّة للنّاطقين بغيرها، (ص122 و123).

أولاً: علاقة التضاد: مثل قوله تعالى: ﴿**إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ**﴾[1]، وقوله: ﴿**إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى**﴾[2]، و(لا تكن رطباً فتعصر، ولا يابساً فتكسر).

ومن أنواع التضاد ما يطلق عليه العكس وكذلك التضاد الاتجاهي، فالعكس مثل: البيع والشراء، النعماء والبأساء، السراء والضراء. والتضاد الاتجاهي مثل: العليا والسفلى، يأتي ويذهب.

ثانياً: علاقة التنافر: وهي مرتبط **بالرتبة،** مثل: الماجيستير والدكتوراه، ملازم ورائد، وتكون كذلك مرتبطة **بالألوان،** مثل: الأسود والأبيض، قال تعالى: ﴿**وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الفَجْرِ**﴾[3].

وهي كذلك مرتبطة **بالزمن والفصول،** مثل: الربيع والصيف، الخريف والشتاء.

ثالثاً: علاقة الجزء بالكل، مثل: العين والرأس، المقود والسيارة، كقولنا: ربع البلاد في العالم يتواجد فيها موقد السيارة على اليسار، وكقول أحدهم لآخر قد طلب منه خدمةً ما: أنت على العين والرأس.

"إنَّ مجمل العلاقات بين المفردات في النص هو المقصود بلفظ (السياق اللغوي)، وهو على درجة كبيرة من الأهمية في صياغة المعنى، ومن ثُمَّ في الكشف عنه؛ لكونه قابلاً للملاحظة والتحليل اعتماداً على (النقص والتمام) اللذين يكشف عنهما أي توالٍ يكوِّنُ نصاً ما، فيمكن ملاحظتهما وتحليلهما بتحليل الوظائف (المعاني الوظيفية) التي تؤديها المباني الوظيفية، أو تحليل المعاني المعجمية التي تؤديها المباني المعجمية، وتأثير بعضها في بعض ممَّا يؤدي إلى قدر مشترك من المعنى لكل من المباني المعجمية والوظيفية يمثل

([1]) [البقرة: 258].

([2]) [الحجرات: 13].

([3]) [البقرة: 187].

المعنى المراد (المفهوم) عند أطراف الحدث الاتصالي، ولا يلغي هذا دور السياق الخارجي، ولكن في حالات غيابه يظل السياق اللغوي الحارس الأمين للمعنى المشترك"[1].

ضوابط المتصاحبات[2]:

إنَّ الدارس لظاهرة المتصاحبات اللفظية يتضح له أنَّ تصاحبَ المفردات وتلازمها مع بعضها البعض يخضع لمجموعة من الضوابط وهي:

1- توافقية المتلازمة:

ويُقصد بها توافق الكلمات بعضها مع بعض وتعتمد هذه التوافقية على معلوماتنا اللغوية.

ومن الأمثلة على ذلك عندما نلاحظ أنَّ كلمة (شاهق) لا تتوافق مع كلمة (رجل)، بل تتوافق مع كلمات أخرى، مثل: (جبل، برج)، فيقال: (جبل شاهق)، أمَّا كلمة (طويل) فتتوافق مع كلمة (رجل)، فيقال: (رجل طويل).

2- مدى المتلازمة:

ونقصِدُ بذلك المدى الذي يمكن أن تتحرك فيه أو تستخدم خلاله المفردة، وفي الواقع أنَّ الألفاظ المفردة تختلف اختلافاً كبيراً فيما بينها فيما تتمتع به من حرية حين تُلازِمُ لفظةٌ أخرى ويتألف منهما مركب، وذلك لأنَّ كلَّ لفظة لها معدل خاص لما يلازمها من ألفاظ بحيث يمكن التنبؤ على درجات متفاوتة باللفظة التي تجيء معها.

ويمكن أن تنقسم الألفاظ من حيث هذا المعدل إلى ما يأتي:

أ- ألفاظ ذات معدل كبير؛ أي: تتمتع بمدى واسع، حيث يمكن للفظة أن تجيء مع عدة ألفاظ أخرى، ومن هذه الألفاظ لفظة (أهل)، فنحن نقول: أهل البيت، أهل الكهف، أهل الكرم، أهل التوحيد...إلخ.

([1]) ردة الطلحي، دلالة السياق، (ص170).

([2]) نصر الدين دفع الله، المصاحبة اللغوية ودلالتها في سياق الأحاديث النبوية، (ص39، و40).

ب–ألفاظ ذات معدل ضعيف: وهذا النوع يفرض قيوداً مشددة على اللفظة التي يقترن بها، ومثال ذلك لفظة (أشقر)، فنحن نقول: (بنت شقراء)، ولا نقول: (فستان أشقر)، أو (سيارة شقراء)، ومثال ذلك أيضاً الألفاظ التي تعبر عن أصوات الحيوانات، فنقول: (زأر الأسد)، و(صاح الديك)، و(عوى الذئب)، فإنَّه يكفي أن نقول: زأر، فيُعرَف بأنَّ المقصود هو الأسد، أو نقول: صاح، فيُعرف بأنَّه الديك.

ت– ألفاظ ذات معدل متوسط؛ أي: ألفاظ متوسطة المدى، فلفظة (مات) مثلاً: تقبل التصاحب مع الإنسان، ولا تقبل التصاحب مع الجماد، فلا نقول: (مات المنزل أو مات الكرسي).

3–تواتر المتلازمة:

ونقصِد بذلك أنَّ المتلازمات اللفظية تمتاز بنوع من التواتر المصاحب لبعض الألفاظ التي لا يمكن أن تتغير أو تتبدل، ولا علاقة لهذا الأمر بقواعد اللغة، وإنَّما يعود السبب لاتفاق المتكلمين باللغة واصطلاحهم، وكل لغة تعرِف هذا النوع من التواتر المتصاحب بين الألفاظ، ونجد في اللغة العربية أمثلة كثيرة توضح ذلك، منها على سبيل المثال: (طاف حول الكعبة، وسعى بين الصفا والمروة).

ومن الأمثلة المشهورة في الإنجليزية على ذلك قولهم: (**to make a journey** أو **to make a walk**) ولكن لا يمكننا أن نقول: (**to take a walk**) ، وكذلك يمكننا أن نقول: (**to take care of**) ولكن لا يمكننا أن نقول: (**to make care of**)، ولا علاقة في هذا بقواعد اللغة الإنجليزية وإنَّما يعود السبب لاتفاق الجماعة واصطلاحها على هذه الألفاظ.

أهم مميزات نظرية المتلازمات اللغوية[1]:

([1]) أحمد مختار عمر، علم الدلالة، (ص75– 78).

1- أنَّها لا تختص بجميع أنواع السياق؛ بل فقط تهتم بالسياق اللغوي؛ أي: (اللفظي) **Verbal Context**، من أجل بيان مجموعة الألفاظ التي تنتظم معها اللفظة موضوع الدراسة، فكلمة **night** ترد في تجمُّع مع **dark**، بينما كلمة **day** تأتي في تجمع مع **sunny**.

ولما كان من العادة أن تنتظم اللفظة مع أكثر من مجموعة، وأن تقع في أكثر من سياق لغوي، فقد ظهر مصطلح (الوقوع المشترك) **co – occurrence**، ومصطلح (احتمالية الوقوع)، ووضع جون فيرث ما سماه اختبار الوقوعية أو الرصفية (التلازمية) **collocability**، الذي يقوم على أساس تبديل الألفاظ المعجمية، أو تبديل أنواع السياق اللغوي لإصدار الأحكام.

ومن الأمثلة المهمة التي ذكرها أصحاب هذه النظرية كلمتا **strong** و**Powerful**، فكلا اللفظتين ينتظم مع **argument**، ولكنهما لا يتقاسمان نفس السياقات اللغوية الأخرى، فكلمة **Powerful** تنتظم مع **car** مثلاً، و **strong** مع **tea** مثلاً.

وقد حاول اللغوي **joos** في أحد مقالاته عام 1958 باستخدام هذا المنهج أن يفسر اختلاف المعنى على أنه اختلاف في التوزيع في سياقات متعددة، وشرح منهجه بواسطة المفردة الإنجليزية **code** التي ذكر لها أربعة عشر استخداماً موقعياً.

ومن النادر أن تكون العلاقات السياقية متطابقة في لغتين، إلا إذا تمَّ ذلك عن طريق الترجمة الحرفية، فكلمة (يشرب) مثلاً تتوافق في بعض العاميات العربية مع كلمات مثل: (يشرب مقلب) و(يشرب سيجارة) و(يشرب من البحر)، ولكن لو ترجمت العبارات بنصها إلى لغة أجنبية أو ربما لو نقلت إلى اللغة الفصحى أو إلى لهجة عربية أخرى لكانت محل دهشة، ومثاراً للضحك، واللغة الإنجليزية مثلاً تطلق على الفول السوداني **monkey nut** ، ولو نقلناها إلى اللغة العربية فقلنا بندق القرد لما فهمها أحد، كما يستخدم الإنجليز كلمة **pigeonhole** للدلالة على الفتحة

المربعة التي يوضع فيها البريد مثلاً، ولو نقلت إلى اللغة العربية فقيل مثلاً (بيت الحمامة) للإشارة إلى نفس الفتحة المعينة لما قُبلت.

2- ومن مميزات هذه النظرية أنَّها تهتم بتوضيح وبيان الخصائص النحوية والصرفية، وتستعملها في تحديد السياقات التي تقع فيها الكلمة، فلفظ **(cat)** مثلاً يقع بعد **(the)** التعريفية مثل:

The cat caught the mouse.

أو بعد ضمير الملكية مثل:

I bought fish for my cat.

3- إنَّ هذه النظرية لا تعتبر أن الجملة كاملة المعنى **Meaningful** إلا إذا صيغت طبقاً لقواعد النحو، وراعت توافق الوقوع بين المفردات، وتقبلها أبناء اللغة وفسروها تفسيراً ملائماً، وهو ما أسماه جون فيرث بـ(التقبلية) **Acceptability**، ونظراً لأهمية التحليل التلازمي فقد اعتبره بعض اللغويين غاية في ذاته، حتى أن فيرث نفسه اعتبر أنَّ قائمة الألفاظ المتلازمة مع كل لفظة تعد جزءاً من معناها.

4- هذه النظرية تساعدنا في تحديد التعبيرات **(idioms)** ، فإذا كانت كلمة تقع متلازمة مع كلمة أخرى دائماً فمن الممكن أن يستعمل هذا التوافق في الوقوع كمعيار لاعتبار هذا التجمع مفردة معجمية واحدة (تعبيراً).

5- أنَّها تحدد مجالات الترابط والانتظام بالنسبة لكل لفظة، مما يعني تحديد استخدامات هذه اللفظة في اللغة، وتحديد هذه المجالات يساعدنا على كشف الخلاف بين ما يعد ترادفاً في اللغات؛ لأنَّه من النادر أن تأخذ الألفاظ التي تعتبر مترادفة مع ألفاظ في لغة أخرى نفس السياق أو التجمع اللغوي المماثل، وهو أمر لازم لمن يريد استعمال اللغة أو يريد تعلمها، أو يريد أن يشتغل في الترجمة من لغة إلى أخرى.

6- ورغم استعمالها دائما في كشف الخلاف بين المترادفات في اللغات، استعملها بعض اللغويين لتمييز المترادفات في داخل اللغة الواحدة على أساس بيان توزيع كل منها.

7- إنَّ طرق التلازم اللغوي تتميز بصفة العملية، ولذلك تتصف بالدقة والموضوعية، وكما قال أتباع مدرسة فيرث: (المعيار الشكلي للتلازم يعتبر معياراً حاسماً؛ لأنَّه أكثر موضوعية ودقة وقابلية للملاحظة).

خاتمة المبحث:

"وعلى هدي جون فيرث سار تلميذه هاليدي واللغوية العربية رقية حسن، وتعاملا مع مفهوم التلازم في إطار النظرية السياقية، ووضعا له عدة أقسام منها:

1- التباين complementarits ، وله درجات عديدة، فقد يكون اللفظان:

أ- متضادين oppsites، مثل: ولد – بنت.

ب- متخالفين antonyms، مثل: أحب – أكره.

ت- متعاكسين converes، مثل: أمر – أطاع.

2- الدخول في سلسلة مرتبة ordered series ، مثل: السبت – الأحد، الدولار – السنت، اللواء – العميد.

3- الكل للجزء part to whole ، مثل: السيارة – الفرامل، الصندوق – الغطاء.

4- الجزء للجزء part to part، مثل: الفم – الذقن.

5- الاندراج في صنف عام general class ، مثل: كرسي – طاولة، حيث تشملهما كلمة الأثاث.

ويرى هاليدي ورقية حسن أن المتلازمات اللفظية تعمل على إيجاد قوة سابكة cohesive force حين تبرُز في جمل متجاورة adjacent sentences "[1].

([1]) مفلاح عبدالله، المصاحبات اللفظية في رسالة المعاش والمعاد للجاحظ، (ص272).

كما ساهم تبنِّي هاليدي لهذه الفكرة وتطويره لها في أن تصبح نظرية من أهم نظريات الدرس الدلالي الحديث، ومن ثَمَّ وضع هاليدي المعجم اللغوي الذي صقل هذه الفكرة وبسطها وكان بعنوان: Lexis as a linguistic level[1].

وممن تابعوا واستمروا في هذه المسيرة من تلامذة فيرث اللغوي ماكنتوش Mcintosh الذي تعمق في دراسة هذه الظاهرة، وتوصل إلى تقسيم المتلازمات إلى قسمين، أولهما: المتلازمات العادية usual collocation التي تقع في اللغة غير المجازية والتي لا نقصد بها إظهار جوانب أسلوبية جمالية، فإذا قلنا صهيل نتوقع مباشرة الخيل، ولو قلنا خرير نتنبأ مباشرة بلفظ الماء، وثانيهما: المتلازمات غير العادية أو غير المألوفة Unusual collocation، وهي التي يكون مكانها في الأعمال الأدبية، إذ إنها جزء من السبيل الذي يحاول فيه الأديب جاهداً في مساحة كبيرة أو صغيرة من النص أن يوصل شيئاً لا يمكن توصيله بالوسائل العادية[2].

([1]) ناريمان براح، النظرية السياقية في الدرس اللساني قديماً وحديثاً، (ص82).

([2]) المرجع السابق، (ص88 و89).

الخاتمة:

1- انصب تركيز المدرسة الإنجليزية التي قادها فيرث وأصحابه على أهمية الجانب الاجتماعي في دراسة اللغة ودوره المؤثر فيها، وكان هو المنطلَق الذي بنى فيرث عليه أفكاره وآراءه.

2- نتج عن التركيز على الجانب الاجتماعي أن أصحاب هذه المدرسة توصلوا إلى دور مهم وأساسي للسياق في تحديد المعنى، فالكلمة يتحدد معناها من خلال السياق الذى تكون فيه، حيث إن للكلمة عدة استخدامات سياقية، وبحسب السياق يحدد المعنى المقصود .

3- اختلف رأي جون فيرث في دراسته للجانب الصوتي عن المسلمات التي كانت عند المدارس اللغوية الأخرى، حيث رأى - بحسب تحليليه التطريزي - أن الحروف والمعالم التطريزية متساوية في الدلالة على المعنى، وقد كانت هذه النقطة محل انتقاد وجدال بين الكثير من لغويي المدارس الأخرى؛ لأنها قد تكون غير قابلة للتطبيق على بعض اللغات التي تكون أنظمتها الصوتية غير واسعة.

4- اهتم فيرث بشكل كبير بسياق الحال (الموقف)، واعتبر أنه أكثر أهمية من السياق اللغوي، وجاء مِن بعدِه تلميذه البروفيسور هاليدي ووازن بين السياقَين دون تقديم أحدهما على الآخر.

5- إن نظرية السياق قد حظيت بنصيب كبير من الاهتمام والعناية في الدراسات العربية والغربية، وهذا عائد إلى قناعة راسخة عند لغويي الدرس الحديث، مفادها أن المعنى المُراد في أي قول أو نص إنما يتم الوصول إليه من خلال السياق، وأن أي أخطاء في فهم المعنى يكون مردها إلى عدم فهم السياق، أو فهمه بطريقة خاطئة.

6- تعتبر المتلازمات اللفظية من الظواهر اللغوية الحديثة التي التفت إليها جون فيرث وأولاها عناية فائقة، إلا أن هذه الظاهرة لم تحظَ بكثير من الدراسة والبحث

والتحليل من لغويي الدرس الحديث، وخاصة العرب منهم، رغم أهمية هذه القضية للغتنا العربية أكثر من غيرها من اللغات نظراً لغناها بالمفردات واتساع وتطور علم المعاجم فيها.

7- لقد قدَّم جون فيرث للدرس اللغوي الحديث مجهودات وآراء عظيمة وقيمة، يمكن أن تُشكِّل جسراً للوصول إلى نظريات لغوية أخرى جديدة، تجمع وتوازن بين السياق وبين اللغة، وتكتشف علاقات جديدة بينهما.

المصادر والمراجع:

1. إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، ط5، 1975م.
2. إبراهيم الذبيان، منزلة المتلازمات اللفظية في تعليم اللغة الثانية، مجلة الجمعية العلمية السعودية للغة العربية، العدد السادس عشر، السعودية، 1426هـ.
3. إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، مؤسسة الإمام الصادق للطباعة والنشر، إيران، ط2، 1999م.
4. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر للنشر والطباعة، بيروت، ط1، 1990م.
5. أبو منصور الثعالبي، فقه اللغة وأسرار العربية، تحقيق: جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ط، 2001م.
6. أبو نصر الفارابي، الموسيقى الكبير، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، د.ط، د.ت.
7. أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، منشورات كلية الدراسات الإسلامية والعربية، دبي، ط 2، 2013م.
8. أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، دار الفكر، بيروت، 1999.
9. أحمد عماش، جهود هاليدي في الاتجاه الوظيفي، بحث علمي، جامعة بابل، 2011م.
10. أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، 1997م.
11. أحمد مختار عمر، علم الدلالة، مكتبة عالم الكتب، القاهرة، ط5، 1998م.
12. ابراهيم خليل، في اللسانيات ونحو النص، دار المسيرة للنشر والتوزيع، الأردن، ط2، 2009.
13. الثعالبي، عبد الملك بن محمد أبو منصور، فقه اللغة وسر العربية، تح: عبد الرزاق المهدي. ط1، إحياء التراث العربي، 2002م.
14. الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، د.ط، د.ت، الجزء الأول.

15. الجوهري، إسماعيل بن حمّاد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عطّار، دار العلم للملايين، بيروت، ط 4، 1990م.
16. الأصبهاني: محمد بن داود بن علي بن خلف، الزهرة.
17. إيمان بن حشاني، جهود اللسانيين العرب في إعادة وصف اللغة العربية (تمام حسان نموذجاً)، كلية الآداب واللغات، جامعة بسكرة، د.ط، 2012م.
18. بالمر ف.ر، علم الدلالة إطار جديد، ترجمة: صبري السيد، دار المعرفة الجامعية، مصر، ط1، 1999م.
19. بسام أغبر، الفونيم وتجلياته في القرآن الكريم، رسالة ماجيستير، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، 2014م.
20. بوشوك مصطفى، علم اللغة الاجتماعي وتعليم العربية الفصحى، مجلة المدرسة العليا للأساتذة، العدد (4-5)، الرباط، 1978م.
21. بيار أشار، سوسيولوجيا اللغة، ترجمة: عبدالواحد ترّو، مركز عويدات للنشر، بيروت، ط1، 1996.
22. بيير جيرو، علم الدلالة، ترجمة: د. منذر عياشي، دار طلاس للدراسات والنشر، دمشق، د.ط، 1992م.
23. تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، د.ط، 1990م.
24. تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، د.ط، 1994م.
25. تمام حسان، اللغة بين المعيارية والوصفية، عالم الكتب، القاهرة، ط4، 2000م.
26. جار الله الزمخشري، أساس البلاغة، ضبط وشرح: محمد نبيل طريفي، دار صادر، بيروت، ط1، 2009م.
27. جرير بن عطية، ديوان جرير، دار بيروت للطباعة والنشر، لبنان، بيروت، د.ط، 1986م.
28. جيفري سامون، مدارس اللسانيات التسابق والتطور، ترجمة د. محمد زياد كبة، مطابع جامعة الملك سعود، السعودية، 1996م.

29. ابن جنّي، سر صناعة الإعراب. ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 2000م.
30. حسن غزالة، قاموس دار العلم للمتلازمات اللفظية، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 2007م.
31. حمدي بخيت عمران، علم الدلالة بين النظرية والتطبيق، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، ط1، 2007.
32. خالد مزعل، مفهوم المعنى في مدرسة لندن اللغوية، جامعة الكوفة، العراق، د.ط، د.ت.
33. خلود العموش، أسمال المحال التجارية دراسة في ضوء علم اللغة الاجتماعي، الجامعة الهاشمية، الأردن، د.ط، 2015م.
34. ردة الطلحي، دلالة السياق، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، د.ط، 1998م.
35. رمزي منير بعلبكي، معجم المصطلحات اللغوية، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1990.
36. روبتر، موجز تاريخ علم اللغة في الغرب، ترجمة: أحمد عوض، مجلة عالم المعرفة، العدد 227، الكويت، 1997.
37. روح الله صيّادي نجاد، دور السياق اللغويّ في تعليم اللّغة العربيّة للنّاطقين بغيرها، مجلة دراسات في تعليم اللغة العربية وتعلمها، العدد الثالث، جامعة كاشان، إيران، 2018م.
38. سامي عياد حنا (وآخران)، معجم اللسانيات الحديثة، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، 1997.
39. ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، ترجمة: كمال بشر، مكتبة الشباب، القاهرة، ط3، 1972.
40. سيبويه، عمرو بن عثمان، الكتاب. تحقيق: عبد السلام محمد هارون. ط3، القاهرة: مكتبة الخانجي، 1998م.

41. عبد الرحيم البار، الفكر اللساني الغربي مقوماته وخصائصه، مجلة الذاكرة، العدد السابع، جامعة الخيضر، الجزائر، 2016م.
42. عبد الصبور شاهين، في علم اللغة العام، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط6، 1993م.
43. عبد الفتاح العليم البركاوي، دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث، دار المنار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1991.
44. عبد القادر عبد الجليل، علم اللسانيات الحديثة، دار الصفاء للنشر، عمَّان، ط1، 2002م.
45. عبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللغوية، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمّان، ط2، 2014م.
46. عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1، د.ت.
47. عبده الراجحي، فقه اللغة في الكتب العربية، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 1979م.
48. عثمان ابن جني، الخصائص، تحقيق :عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2003م.
49. عبلة شريفي، جهود فردينان دي سوسير في علم الدلالة، رسالة ماجيستير، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، 2011.
50. غنية تومي ،السياق اللغوي في الدرس اللساني الحديث، مجلة المختبر، العدد السادس، جامعة خيضر، الجزائر، 2010م.
51. العيني، المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية، تح: علي محمد فاخر، وآخرون. ط1، القاهرة: دار السلام، 2010م.
52. ابن فارس، الصاحبيّ في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، تحقيق: عمر الطباع، مكتبة المعارف، بيروت، ط1، 1993م.
53. ابن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، مطبعة مصطفى الحلبي، القاهرة، ط2، 1392هـ.

54. الفرزدق، ديوان الفرزدق، شرحه وضبطه د. عمر فاروق الطباع. ط1. بيروت: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، 1997م.
55. فندريس ، اللغة، تر: عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2014م.
56. القيرواني: أبو على الحسن بن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تح: محي الدين عبد الحميد، ط5، دار الجيل، 1981م.
57. كمال بشر، علم الأصوات، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، 2000م.
58. ماريو باي، أسس علم اللغة، تر: أحمد مختار عمر، مكتبة عالم الكتب، القاهرة، ط8، 1998م.
59. مجدي حسين ومحمد الدخيل، مفهوم المتلازمات الاصطلاحية دراسة تطبيقية في معجم المتقن، مجلة الرانيري العالمية للدراسات الإسلامية، العدد الثاني، 2015م.
60. محمد حلمي خليل، الأسس النظرية لوضع معجم للمتلازمات اللفظية العربية، مجلة المعجمية، عدد 12، تونس، 1997م.
61. محمد جواد النوري، علم الأصوات العربية، منشورات جامعة القدس المفتوحة، الأردن، ط1، 1996م.
62. محمد داود، العربية وعلم اللغة الحديث، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، د.ط، 2001م.
63. محمد شكري عياد، معجم المصطلحات اللغوية والأدبية، دار المريخ للنشر، الرياض، ط1، 1984م.
64. محمد محمد يونس علي، مدخل إلى اللسانيات، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2004.
65. محمد يوسف حبلص، البحث الدلالي عند الأصوليين، مكتبة عالم الكتب، السعودية، ط1، 1991م.
66. محمد عبد العزيز، علم اللغة الحديث، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2011.
67. محمد علي الخولي، معجم علم اللغة النظري، مكتبة لبنان، بيروت، 1982م.

68. محمود سامي البارودي، ديوان البارودي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، د.ط، 2013م.
69. محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ط1، د.ت.
70. محمود نحلة، علم اللغة النظامي عند هاليدي، جامعة الإسكندرية، مصر، ط2، 2001م.
71. مختار درقاوي، نظرية السياق في المدوّنة اللسانية، مجلة الدراسات اللغوية، العدد الأول، جامعة حسيبة بن بو علي، الجزائر، 2015م.
72. مصطفى حركات، اللسانيات العامة وقضايا العربية، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1998.
73. مصطفى لطفي، اللغة العربية في إطارها الاجتماعي، معهد الإنماء العربي، بيروت، د.ط، 1976م.
74. مفلاح عبدالله، المصاحبات اللفظية في رسالة المعاش والمعاد للجاحظ، مجلة لغة–كلام، العدد2، مجلد 3، المركز الجامعي بغليزان، الجزائر، 2017م.
75. مكتب تنسيق التعريب، المعجم الموحّد لمصطلحات اللسانيات، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط2، 2002.
76. مليكة بلقاسمي، علم الدلالة اللغوي عند جون لاينز، رسالة دكتوراة، جامعة الجزائر، 2011م.
77. مهدي أسعد عرار، التراكيب النحوية في ضوء مدرسة السياق، مجلة اللغة العربية والترجمة، العدد الرابع والعشرين، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2015م.
78. ميشال زكريا، الألسنية التوليدية والتحويلية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، لبنان، د.ط، 1982م.
79. ناريمان براح، النظرية السياقية في الدرس اللساني قديماً وحديثاً، جامعة العربي بن مهيدي، الجزائر، د.ط، 2015م.

80. نايف خرما، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، عالم المعرفة، الكويت، د.ط، 1978م.
81. نسيم عون، الألسنية محاضرات في علم الدلالة، دار الفارابي، بيروت، لبنان، د.ط، 2005م.
82. نصر الدين دفع الله، المصاحبة اللغوية ودلالتها في سياق الأحاديث النبوية، جامعة الجزيرة، السودان، 2015م، ط1.
83. النويري، أحمد بن عبد الوهاب، نهاية الأرب في فنون الأدب، ط1، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 1423هـ.
84. يحيى أحمد، الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة، مجلة عالم الفكر، العدد الثالث، المجلس الوطني للثقافة، الكويت، 1989م.
85. يحيى عباينة وآمنة الزعبي، علم اللغة المعاصر مقدمات وتطبيقات، دار الكتاب الثقافي، الأردن، ط1، 2005م.
86. يوسف عبد الفتاح أحمد، قراءة النص وسؤال الثقافة، عالم الكتب الحديث، عمّان، د.ط، 1999م.
87. يوسف عوض، علم النص ونظرية الترجمة، دار الثقة للنشر والتوزيع، السعودية، ط1، 1410هـ.
88. John Robert Firth , Papers in linguistics, oxford university press, London,, 1957.
89. Daniel jones, The Phoneme, its Nature and Use, Cambridge, 1962.
90. John Lyons, New Horizons in Linguistics, Penguin Books, 1972.
91. S. Soon, Lexical Ambiguity in Poetry, Longman Publishing, New York, 1994.